ديوان المتنبي

في العالم العربي وعند المستشرقين

كتبه بالفرنسية

المستشرق الدكتور ر. بلاشير

وترجمه إلى العربية

أحمد أحمد بدوي

المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى



ملتزم الطبع والنشر

مكتبة نهضة مصر ومطبعتها

شارع كامل صدقي باشا « الفجالة سابقا »

مطبعة نهضة مصر



فى العالم العربى وعند المستشرقين

كتبه بالفرنسية

المستشرق الدكتور ر. بلاشير

وترجمه إلى العربية

أحمد أحمد بدوى

المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى



ملتزم الطبع والنشر

مكتبة نهضة مصر ومطبعتها

شارع كامل صدقى باشا « الفجالة سابقا »

مطبعة نهضة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح طفلي « أحمد »

بدأت ترجمة هذا الكتاب يابني بعد ولادتك ، وكثيرا ما آنستني في مكتبي ، وأنا أقوم بترجمة فصوله ، فكان وجهك الباسم يملأ حياتي بالنور ، وصوتك المغرد يغمر قلبي بالبهجة والحبور ، وكنت أؤمل أن تكبر وتقرأه ، ولكن لم أكد أتم نقله إلى العربية ، حتى استرد الله وديعته ، فإليك يارفيق في الترجمة ، أهدى ترجمة هذا الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

كتب المستشرق الفرنسي الدكتور «بلاشير» كتابا عن المتنبي ، تناول في القسم الأول منه حياته ، متتبعاً مراحلها ، من طفولته إلى وفاته ، وتناول في القسم الثاني منه تاريخ دراسة ديوانه عند العرب والمستشرقين ، منذ حياة صاحبه إلى عصرنا الحاضر ، وقد آثرت نقل هذا القسم الأخير إلى العربية ، لأن دراسة كهذه لم توجد في لغتنا إلى اليوم ، أما حياة المتنبي فقد كتب فيها كثيرون ، وتأثر بعضهم ما كتبه هذا المستشرق .

وكان بودي أن أضيف إلى هذا الكتاب فصلا ، أتناول فيه الأبحاث التي درست المتنبي بعد ظهور كتاب بلاشير سنة ١٩٣٥ ، ولكنني أرجأت ذلك إلى حين ، راجياً أن يوفقني الله إلى كتابة هذا الفصل في القريب .

وألحقت بالكتاب فصلا ، ذكرت فيه الكتب التي رجع إليها المستشرق بلاشير عند ما ألف كتابه عن المتنبي ، لما في ذلك من فائدة محققة لكل من يريد دراسة الشاعر ، ولما فيه من بيان الجهد الذي يبذله العلماء في صبر ودأب لتحقيق ما يدرسونه ، حتى تصبح نتائجهم أقرب ما تكون إلى الصواب .

والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

مقدمة المؤلف

قال جوت فى إحدى محادثاته مع إكرمان Eckermann : « لا عبقرية من غير قدرة على إنتاج يظهر بعد الموت ويبقى » . وعلى هذا المعنى نستطيع أن نرى فى هذا الشاعر نوعا من النبوغ ، إذا اعتبرنا الشهرة التى استمتع بها ديوانه ، وهذا القدر الضخم من الأدب الذى خلقه هذا الديوان. وفى الحق أن شاعراً عربياً لم يثر مثله مجادلات هامة حية ، ولم يوح — خاصة — بهذا القدر من المؤلفات النقدية فى العالم العربى وعند المستشرقين .

ولأجل أن نوضح ما نال قصائد المتنبى من اهتمام العرب بها — مدحا أو قدحاً — يجب ألا نجردها من الوسط الذى فيه ألفت ، أو قرئت ، أو أحبت ، أو نوقشت ؛ ففى كل مرة يهيأ لها وسط يشبه الوسط الذى ولدت فيه تنال شهرة جديدة. والمجتمع الإسلامى ، فى أثناء نموه التاريخى، لم يبعث هذا الوسط مراراً كثيرة على التعاقب فحسب ، ولكن خلقه فى وقت واحد فى أماكن عدة . ولهذا سندرس مكانة شاعر الكوفة فى الشعر والنقد العربى فى عصر يمتد زهاء عشرة قرون ، ملاحظين أنه قد وجدت مراكز لدراسة المتنبى فى وقت واحد ، فى أماكن شتى من العالم الإسلامى .

مثل هذه الدراسة تعترضها صعوبات كثيرة لا يستطاع التغلب على بعضها :

فمن جهة ، يجب — لكى يكون العرض واضحاً — أن نبحث المدارس

والأوساط الأدبية التي تعاصرت وأثر بعضها فى بعض ، كل مدرسة ووسط على حدة .

ومن جهة أخرى ، وهى وجهة النظر الأدبية الخالصة ، إذا كان ظهور أبى الطيب فى الشعر العربى يبدو أنه قاده إلى اتجاه جديد ، فإننا لا نجد أنفسنا فى مركز يسمح لنا بأن نقدر عمق الآثار التى تركها هذا الشاعر ؛ ففى الحقيقة لم يطبع شعر كثير من الشعراء المتأخرين عنه ، وبعضهم طبع جزء من شعره ، وزد على ذلك أن اتجاهات الشعر العربى ، واستخدام العبارات المحفوظة المتوارثة ، وتجديدها — بوجه خاص — لا تسمح لنا ، إلا قليلا ، بأن نميز هذا الذى يصدر من أصل مشترك من هذا الذى هو خاص بالمتنبي ، وينتج من ذلك أن من الواجب أن نكون محترسين غاية الاحتراس ، فلا نجزم إلا بما اعترف الشعراء أنفسهم أنهم تأثروا فيه بالمتنبي ، وسنرى كم كانت مثل هذه الاعترافات نادرة .

وفضلا عن ذلك ، نرى أن حركة نقد الديوان بعيدة عن أن تكون معروفة بتمامها ، فكثير من كتبها فى الحقيقة مفقود ، أو غير محقق تحقيقا علميا [1] ، أو لا يزال مخبوءاً فى المكاتب الخاصة .

وأخيراً نجد بعض المؤلفات المشهورة لم تؤرخ بدقة ، لدرجة أنه من الصعب أن نتتبع دائما تطورات دراسة المتنبي ، حتى حينما نتكلم عن كتاب معروف .

---

(١) هذا شأن مخطوطات الديوان رقم ٣٥٨٣ — ٣٥٧٤ و ٧٥٧٩ ببرلين ورقم ٣١٠٥ — ٣١٠٦ بباريس ورقم ٢٧٢ بالأسكوريال . وكتاب الصبح المنبي ج ١ ص ٤٢٤ وما يليها ، قد ذكر ، فضلا عن ذلك ، كتباً صنفها على ديوان المتنبي عبد الواحد بن محمد بن زكريا ، والحسين بن محمد بن طاهر ، وكمال الدين بن القاسم الواسطى ، وعبد الرحمن الصقلى ، ولكننا لا نعرف شيئاً مطلقاً عن هذه الشخصيات .

ومهما يكن من شيء ، فإنه مع ملاحظة ما استغرقته دراساتنا من وقت قصير ، يمكن أن نحاول رسم آثار ديوان أبى الطيب فى نفوس المثقفين والأدباء والشعراء والنقاد من العرب ، منذ القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) إلى أيامنا ، وسنعنى أولا بالقرون الوسطى العربية ، إلى النهضة المصرية السورية فى القرن التاسع عشر ؛ فندرس بالتتابع ديوان المتنبى فى الأوساط التى كانت تحت نفوذ العراق (بلاد الجزيرة وفارس وسوريا) ثم فى الأوساط التى ترتبط بمصر ، واخيراً فى الجماعات المثقفة بالمغرب (إفريقية والأندلس والمغرب) ثم ندرس على حدة ديوان المتنبي فى العالم العربى الحديث ، وفى أوربا .

الفصل الأول

ديوان المتنبي فى الأوساط العربية بالعراق والجزيرة وفارس وما وراء النهر فى القرون الوسطى

منذ حياة المتنبي تكونت أوساط معجبة به فى حلب ، والفسطاط ، وبغداد ، وشيراز ، حيث كان ديوان الشاعر يشرح . أما دائرة حلب فلأنها كانت فى جو معاد للشاعر قد تفرقت بموت سيف الدولة ، ولم تترك لها آثاراً ، وكذلك كان مصير دائرة شيراز ، فمنذ إقامة عضد الدولة فى بغداد ، ذابت فى دائرة عاصمة الخلافة ، التى ستكون المركز الذى تشع منه دراسات المتنبي فى كل أنحاء الجزيرة وفارس وما وراء النهر ، وفى سوريا أيضاً بعد حين .

أما فى بغداد فلم يضع موت المتنبي حداً للعداوة التى يحملها كثير من الكتاب والشعراء والعلماء للشاعر ولديوانه .

فأحيانا تبدو هذه العداوة بالصمت ، ويظهر أن ذلك كان حال أبى الفرج الأصفهانى الذى لم يذكر مرة واحدة شاعر سيف الدولة فى كتابه العظيم الأغانى[١] ، وحال المرزبانى أيضاً (المتوفى سنة ٣٨٣ هـ : ٩٩٣ م) إذ لم يشر إلى المتنبي أية إشارة بخير أو بشر فى كتابه : الموشح ، فى أخطاء شعراء العرب [٢] .

---

(١) هذا الافتراض يثير مشكلة ، فربما يكون كتاب الأغانى قد تم قبل أن يعرف أبو الفرج المتنبي .

(٢) انظر الموشح (القاهرة ١٣٤٣) ، وبقى أن نعرف هل ظل المرزبانى محافظاً على موقفه هذا فيما فقد من كتبه الأخرى على الشعر العربي .

ومع ذلك لم يظل النقد ملتزما هذا الصمت العاتب ، بل انتقل إلى دور الهجوم ، بعنفِ من لم يعد يخشى رد الشاعر الذى مات ، وقد بدأ ذلك ابن عباد الذى لم يغفر لأبى الطيب أنه فضل عليه الوزير ابن العميد ، فحوالى سنة ٣٦٤ ﻫ (٩٧٤ م) صنف مؤلفاً صغيراً سماه (الكشف عن مساوىء شعر المتنبي[1]) بين فيه — مع اعترافه ببعض مزايا عدوه — أخطاءه فى أمور جزئية وجناسه الممقوت ، واستعاراته التى هى « استعارة حداد فى عرس » .

وحول هذا التاريخ — بدون شك — عنى الحاتمى الذى كان قد حادث المتنبي[2] — بنقد ديوان أبى الطيب[3] ، ويظهر أن هذا العالم ألف فى ذلك الموضوع رسالتين[4] قصيرتين نوعا : إحداهما ، وتعرف بالرسالة الحاتمية ، عنوانها : « الموضحة فى ذكر سرقات المتنبي والساقط من شعره[5] » . بدأها بقصة المناقشة الفجائية التى حدثت بينه وبين الشاعر ، وختمها بذكر شواهد

---

(١) طبعة القاهرة سنة ١٣٤٩ تقع فى ٢٣ صفحة . والمصنف ضمن مخطوطات بالقاهرة (فهرس دار الكتب جـ ٣ ص ٣٠١ رقم ٥١٤ — ٨٩ م مخطوط يحمل اسم رسالة ... ولكن الفهرست لابن النديم ص ١٣٥ يؤيد العنوان المطبوع ، والصفحة الرابعة من هذه الطبعة تنص على أن الكتاب وضعه مؤلفه ، عند ما كان لديه أكثر من أربعين سنة وذلك عام ٣٦٤ ﻫ (٩٧٤ م) والآن نشير إلى أن فهرس دار الكتب الملكية بالقاهرة (جـ ٣ ص ٢٣ رقم ١١ — ٥٠٢٤ مخطوطة) . نسب إلى ابن عباد كتاب الأمثال السائرة من شعر المتنى ، ولم يؤيد ذلك فى مكان آخر . وأخيراً كتاب الخزانة جـ ١ ص ٣٨٢ سطر (٥) ينوه بذيل لشرح ابن جنى ، فهل هو مصنف ابن عباد الذى نعرفه ؟

(٢) راجع ابن خلكان جـ ١ ص ٥١٠ (المترجم)

(٣) نقل ابن خلكان قطعة المؤلف جـ ١ ص ٥١١ سطر ١٣ تظهر بدون شك أن الدراسات التى ستكون موضوع الكتاب ، كتبت بعد مجادلة الحاتمى مع الشاعر بوقت طويل

(٤) فؤاد أفرام البستانى فى المشرق سنة ١٩٣١ ص ٢٠٥ وما يليها يرى كذلك أن له رسالتين وكذلك السيوطى أيضاً فى كتابه بغية الوعاة ص ٣٥ يذكر أولا الموضحة فى مساوىء شعر المتنبي ، وثانياً الرسالة الحاتمية فى سرقاته ، وأخيراً يوقعنا الصبح المنبي فى التباس إذ يذكر رسالتين : الموضحة وجبهة الأدب .

(٥) عنوان سماها به مخطوطات الأسكوريال .

تظهر ما استعاره الشاعر من سابقيه ، غير انه لم يبق من هذه الرسالة سوى أولها ، والحاتمي حين يذكر حالته فى الوقت الذى جرت فيه الحوادث المروية يبدو عدواً صريح العداوة .

والرسالة الثانية لا نعرف اسمها الحقيق[1] ، وتعرف أيضا بالرسالة الحاتمية ، وقد طبعت مرارا مع اختلافات جليـــلة الخطر[2] . وقد ذكر الحاتمي ، فى مقدمة قصيرة ، أنه دعى ليحقق أن بعض شعر المتنبي يذكّر بأفكار أرسطو. ولم يؤكد المؤلف مع ذلك أن الشاعر عرف حكم أرسطو، ولو أن ثقافته ربما تكون قد امتدت إليها، لأن هذه الحكم عظيمة الشهرة، ولكى يوضح الحاتمي دعواه ، ذكر مائة حكمة من حكم أرسطو ، وأتبع كل حكمة ببيت من الشعر ، يشتمل على فكرة مشابهة ، ونرى هذا التشابه بوجه عام ، ليس مغتصبا ، فغير بعيد مثلا أن نرى علاقة بين حكمة أرسطو القائلة « إن الملل والاشمئزاز يلحقان الأجسام من ضعف الآلة الجسدية » وبين قول المتنبي :

وإذا الشيخ قال : « أف » ، فما مـل حياة ، وإنما الضعف ملا[3]

---

(١) إذا لم يكن اسمها جبهة الأدب التى ذكرها الصبح المنبي ج ١ ص ٤٢٦ . والتى بين مخطوطات برلين رقم ٣٩٠٦ (أنظر أهلواردت) تحمل اسم مناقل المتنبي عن أرسطو .

(٢) طبع أنطونيو بولاد جزءاً منها فى المجموعة المسماة : راشد سوريا (بيروت سنة ١٨٦٨) كما طبع جزء منها فى المجموعة المسماة : التحفة البهية ، والطرفة الشهية باسطنبول . وطبعها كاملة أ . رسشر باسم الرسالة الحاتمية ، والبستانى بالمشرق سنة ١٩٣١ بالصفحات ٢٧٣ـ ٨٠ و٣٤٨ ـ ٥٥ و ٤٦١ ـ ٤ و ٦٢٣ ـ ٣٢ و ٧٥٩ ـ ٦٨ و ٩٢٥ ـ ٣٤ وقد أدخل العكبرى منها فى شرحه كل ما يشبه فيه أبوالطيب أرسطو الذى يدعوه باسم الحكيم انظر مثلا العكبري ج ٢ ص١٠١ فى البيتين ٢٥ و ٢٦ .

(٣) رسشر ص ٤٣٣ .

ومع ذلك يكون هذا التشابه فى كثير من الأحيان مختلقا [١] ، وأحيانا أيضا يكون خياليا ، فقول المتنبي :

أرى أناسا ، ومحصولى على غنم   وذكر جود ، ومحصولى على الكلم

يراه الحاتمى صدى لجملة أرسطو : « إن من لا يفكر إلا فى الطعام والشراب والحب ، يحمل غريزة الحيوان ، لأن الحيوانات إذا تركت وشأنها — كما نعلم — لا تفعل غير ذلك[٢] » . وربما لا يكون بيت أبى الطيب إلا اقتباسا من القرآن (سورة الأعراف : ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) ومن المؤكد أن ذلك معين مشترك [٣] . ومهما يكن من شىء ، فإن رسالة الحاتمى الأخيرة تمتاز عن المؤلفات الأخرى التى ألفت فى الموضوع نفسه بأنها توجه عناية الجمهور إلى المظهر الوحيد المؤثر من ديوان المتنبي ، وهو اتجاهه الفلسفى . غير أننا لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من أن نتساءل ، برغم ما أبداه المؤلف من روح طيبة فى أول كتابه : ألم تكن فكرة المؤلف بيان الاتجاه غير الدينى ، فى ديوان سبق أن كشف ما فيه من أخطاء أدبية ؟

هذا ويبدو أن موقف العسكرى [٤] الناقد البغدادى ، والمؤلف

---

(١) رسشر رقم ٧٣ ص ٤٦٤ .

(٢) رسشر رقم ٧٦ ص ٤٦٤ والعكبرى جـ ٢ ص ٣٠٣ فى الأسفل .

(٣) انظر الوساطة ص ٢٦٠ (طبعة صبيح ص ٢٦٤) .

(٤) أبوهلال الحسن بن عبدالله مات بعد سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م) انظر دائرة المعارف الإسلامية ، وزكى مبارك ص ١٢٢ وما يليها (فى كتاب النثر العربي فى القرن الرابع الهجرى المطبوع بالفرنسية) .

لكتاب يدرس قوانين الأسلوب يسمى (كتاب الصناعتين[١]) — يختلف عن ذلك اختلافا كبيرا ، إذ يظهر أنه لم يقابل المتنبي ، وأن عداوته ناشئة من آراء شخصية، قال[٢] : « لا أعرف أحدا كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث إلا المتنبي، فإنه ضمن شعره جميع عيوب الكلام ماأعدمه شيئا منها».

بعد هذا التصريح كنا نتوقع نقدا لا يرحم ، مبنيا على أساس ، غير أننا بعد الاختبار نرى أن الأمر يتعلق فقط بنقـد المدح المبالغ فيه ، والعبارات الفلسفية أو الموهمة[٣] ، أو بأخطاء فى أمور جزئية كعدم اختيار اللفظ الصالح ، وقلة المهارة فى بعض المطالع الشعرية[٤] . وفى هـذا النقد يبدو تحيز العسكرى واضحا ، ذلك التحيز الذى يدفع هذا الرجل الذكى إلى أشد ألوان الانحراف ، وهاك مثلا واحدا يبرهن عليه ، فهو قد منح — جادا — الحروف المنفصلة الخالية من المعنى ، والتى يبتدئ بها بعض سور القرآن — قيمة أدبية أعلى من قيمة بعض أبيات المتنبي . إن من الصعب أن نرى احتراما أعظم من هذا الاحترام للنصوص المقدسة !

مهما كانت تلك الخصومة التى يمثلها العسكرى صريحة ، وكل القرائن تدل على أنه لم يكن الوحيد الذى يعتنق هذا المذهب — فمن الواجب ألا نغالى فى قيمة هذا الرأى ، لأن أمام هذا الاتجاه قد نهض حب المعجبين بالمتنبي ، وأخذ عدد هؤلاء المعجبين يزداد فى كل يوم .

فالصابئ ، رئيس ديوان الإنشاء فى بغداد ، والذى كان يتحدث عن

---

(١) طبع فى اسطنبول سنة ١٣٢٠ وطبع طبعة ثانية بالقاهرة بدون تاريخ .

(٢) كتاب الصناعتين الطبعة الأولى ص ١١٩ فى الأسفل .

(٣) كتاب الصناعتين الطبعة الثانية ص ٢٨٧ — ٥٨ — ١٣٠ .

(٤) كتاب الصناعتين الطبعة الثانية ص ١٤٣ — ٤٢١ فى الأسفل ، ٤٢٣ .

المتنبي ، ويفكر فى أن يمدحه الشاعر ، لم يخطىء عند ما كان يقتبس [١] من شاعر الكوفة . وفى بلاط البويهيين بالرى ، لا ندهش عند ما نرى الضبى ، أحد كتاب الإنشاء ، والذى كان من المخلصين فى خدمة ابن عباد يستعير بعض أخيلة شاعر سيف الدولة [٢] . وهاك ما هو أجدر بالنظر : ذلك أن الوزير ابن عباد وجد نفسه مقودا بغير إرادته إلى أن يعترف بمواهب الشاعر الذى يهاجمه ، بأن نثر أو تمثل علانية ببعض شعره [٣] الجيد .

بعد هذا الاحترام غير الإرادى ، لن نستغرب إذا رأينا أبا بكر الخوارزمى الكاتب والشاعر ، والمعجب دائما بالمتنبي — ناشرا ومقلدا لديوان أبى الطيب منذ عودته إلى خراسان [٤] .

ولن ندهش أخيراً من أن واحداً من أكثر تلاميذ المتنبي تحمساً له ، وكان الشاعر يعده أميناً على آرائه [٥] وهو ابن جنى — يدافع عن ديوان أستاذه فى شرح سنتحدث عنه فيما بعد ، وفى مصنفين صغيرين : أحدهما يدرس ما تناوله الديوان من الفنون الشعرية ، والثانى يفند الهجات التى وجهها إلى الشاعر ، ابن وكيع المصرى [٦] .

---

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٩٠ (١٠٤ طبعة المكتبة الحسينية) وما يليها . الصبح المنبي ج ١ ص ٤٣٦ — ٤٤٠ جبريلى دراسة ص ١٨ فى الأسفل .

(٢) على الضبي واسمه أبو العباس أحمد بن إبراهيم ، انظر اليتيمة ج ١ ص ٢٦ و ٩١ والصبح ج ١ ص ٤٤٠ ، وعلى اقتباسه من المتنبي انظر جبريلى . دراسة ص ١٩ — ٢٠ .

(٣) اليتيمه ج ١ ص ٨٧ وما يليها والصبح ج ١ ص ٤٢٨ — ٤٤٠ ، جبريلى ، دراسة ص ١٧ — ١٨ .

(٤) على هذا المؤلف انظر بلاشير ص ١٣١ و ١٤١ وعلى ما أخذه من المتنبي انظر جبريلى ص ١٩ .

(٥) انظر أخبار ذلك فى إرشاد الأريب ج ٥ ص ١٧ — ١٨ و ٢٥ (ج ١٢ ص ٨٦ —٨٧ — ٨٨ — ٨٩ و ١٠١ — ١٠٢ طبعة رفاعي) والعكبرى ج ٢ ص ٢٣١ والصبح ج ١ ص ٩٠ وما يليها .

(٦) هذان المصنفان الأخيران فقدا ولكن أثبت وجودهما إرشاد الأريب ج ٥ ص ٢٥ و ٣١ . (ص ١١٠ و ١١٣ من ج ١٢ طبعة رفاعى)

الاتجاه التقريظى فى مؤلفـات ابن جنى ، ليس خاصا به ولا بوسطه ، لأننا نجده فى بخارى عاصمة السامانيين ؛ ففى حكم نوح بن منصور ٣٦٥ — ٣٨٧ هـ (٩٧٦—٩٩٧ م) نجد المتيم[١] قد كتب مؤلفا عنوانه : « الانتصار المنبى ، عن فضل المتنبى » و يظهر أن الكتاب غير موجود اليوم ؛ ولكن عنوانه يبين اتجاهه ، ومن ناحية أخرى ، كان المتيم نفسه شديد الإلحاد ، ومن الممكن أن كتابه كان مدحا لعقيدة أبى الطيب .

فى هذا التاريخ تقريبا وضع الكتاب الذى صنفه أحد كتاب البويهيين وهو أبو الحسين حمزة بن محمود الأصفهانى [٢] وسماه : « رسالة فى كشف عيون المتنبى » وفيه يرينا بالشواهد التفوق الأدبى للمتنبى .

والخلاصة أن هذا الحزب كان الحزب المعارض للنقد الذى وجهه ابن عبـاد .

خصومة بعض الناس للمتنبى ، وغرام البعض الآخر به ، ترك المكان لموقف ثالث ، هو النقد الذى لا ينكر قدر المتنبى ، ويأبى أن يغمض العين أيضا عن هفوات ديوانه ، وقد كان أبطال هذا الاتجاه فى آخر القرن الرابع الهجرى (١٠ م) ثلاثة رجال :

وكان القاضى الجرجانى[٣] الحائز لفضيلة السبق : فلكى يرد على ابن عباد

---

(١) أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقى والمشهور بالمتيم . انظر يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٨ وما يليها . و (باربييه دى مينارد Barbier de Meynard) فى الجريدة الأسيوية سنة ١٨٥٣ العدد ١ ص ١٦٩ وما يليها . وإرشاد الأريب ج ٢ ص ٧ وما يليها . هذه الشخصية نقلت أخباراً شفهية للثعالبى . انظر اليتيمة ج ١ ص ١٩ و ٢٢٠ . واليازجى ص ٦٦٣ ينقل عن هذا العالم قصة على المتنبى من غير أن يذكر من أين أخذها .

(٢) هـــذه الشخصية لا نعرفها إلا من مخطوطات الأسكوريال رقم ٤٧٠١ : (انظر درنبورج) وتحتوى على هذا المصنف عن المتنبى .

(٣) أبو الحسن على بن عبـد العزيز الجرجانى مشهور ، محدثاً وأديباً ، وشاعراً ،=

ألف كتابا سماه : « الوساطة بين المتنبي وخصومه [1] » ؛ حيث أراد أن يؤيد ما هو صحيح من الهجمات التي وجهت إلى الشاعر ، ويبين أيضا مايستحقه بجدارة من مدح المعجبين به .

بين المؤلف أولا الموقفين المتضادين لمن جاء بعد المتنبي (ص ١١) ثم قال (ص ١٢) : « أي عالم سمعت به ، ولم يزل ويغلط ، أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يهف ولم يسقط ؟! دونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية ، فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر ، لا يمكن لعائب القدح فيه » (ص ١٢ — ٥٩) . فلنقبل إذاً أن الشاعر في القرن الرابع يعيش في وسط مخالف لوسط القرن الأول والثاني (ص ٢٠ — ٢٢) ، وأن الرغبة في اتباع الشعراء الأقدمين اتباعا دقيقا ، يؤدي إلى عدة أخطاء ، كما حدث لأبي تمام (ص ٢٢ في أسفل — ص ٢٦) فالزمن غير الزمن ، والأخلاق غير الأخلاق ، والقواعد الشعرية قد تبدلت لكل أنواع الشعر ، واختير في الأسلوب نمط أوسط يرتفع عن الساقط السوقي ، وينحط عن البدوي الوحشي (ص ٢٧) والبحتري وجرير وغيرهما يقدمون لنا أمثلة كثيرة كذلك (ص ٢٨ — ٣٥) وأيضا كان استخدام المجاز والجناس نادراً في عصر الجاهلية ، ولكن يجب قبوله منذ الآن ، بدون مناقشة ، ما دام الاستعمال يفرضه (ص ٣٥ — ٤٤) ؛ فديوان أبي الطيب كما هو بين أيدينا (والجرجاني يدمجه مع غيره ، ولا يذكره بصراحة) يجب أن يقدر بحسب

= وخطاطاً ، ورحالة كبيراً ، وكان قاضي الري ، ومات بهذه المدينة سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠٢م) انظر يتيمة الدهر ج ١ و ج ٣ ص ٢٣٨ — ٢٥٩ وابن خلكان ج ١ ص ٣٢٤ . وإرشاد الأريب ج ٥ ص ٢٤٩ — ٢٥٨ والسبكي ج ٢ ص ٣٠٨ — ٣١٠ وأحمد ضيف ص ١٦١ — ١٧٢ و ١٨٧ (في كتابه : دراسة الشعر الغنائي والنقد الأدبي عند العرب . المطبوع بباريس سنة ١٩١٧) وزكي مبارك ص ١٩٦ وما بعدها .

(١) طبع بصيدا سنة ١٣٣١ .

وقته ، لا بموازنته بالشعر الجاهلى . وهؤلاء الذين يعيبون قصائد المتنبى ، يجدون فى الشعر القديم وما ينهج نهجه ، مظاهر الكمال ، التى يأبون الاعتراف بها لهذا الشاعر أو ذاك ، لأنهما لسوء الحظ من معاصريهم (ص٤٥ —٤٩) ، هذه الخطة خالية من السداد ، وليس ثمت إلا طريقة واحدة للحكم على المتنبى ، تلك هى أن نأخذ ديوانه ونقرأه ونمتحنه ، و سنجد حينئذ بكل سيئة عشر حسنات (ص ٥٠) ، وأن بعض عظماء الشعراء كأبى نواس (ص ٥١ —٥٨) وأبى تمام (ص ٥٨ —٧٢) ممن يقدرهم العلماء المتعصبون للمحدثين تقديراً تاما — لا يدانون المتنبى فى ذلك . ولنختبر إذاً أولا الشعر الردىء للمتنبى (ص ٧٢ — ٨٥) ولكن لا نتسرع فنحكم بأن الباقى لا قيمة له (ص ٨٦) . « فليس من العدل أن تؤخر الشاعر للهفوة المنفردة ولا تقدمه للفضائل المجتمعة » . وكيف لا نعجب بكل ما ذكره الجرجانى من شعر المتنبى سنداً لرأيه ؟ (ص ٨٦ — ١٢٧) ، مما تربو فيه محاسنه على أخطائه (ص ١٢٨ — ١٣٠) ولن نذهب بعيداً لنبحث : إذا كان هذا الشعر لم يسبق الشاعر إليه ، فإن هذا الإشكال عبث، إذ لا يمكن حله (ص١٣١ — ١٣٣) . ولنعجب أيضاً بالشعر الذى تزدحم فيه أفكاره الفلسفية (ص١٣٣ —١٣٩) ، على ألا يدفعنا ذلك إلى أن نعفو له عن شعر آخر قليل الجودة.

بقيت المشكلة الدقيقة ، وهى مشكلة السرقة، التى يتهمون بها أباالطيب غيرة منه . ولكن ، ما السرقة ؟ أيعد سارقاً ممن سبقه من يشبه مثله البليد بالحمار ، والجواد بالغيث ، والحسن بالشمس والبدر ؟ الجواب : لا ، بكل تأكيد ، (ص ١٤٣ أسفل — ص ١٤٦) « فلم تزل العامة والخاصة تشبه الورد بالخدود ، والخدود بالورد » . وهذه عبارات متداولة (١٤٧ — ١٥٠) . إن من الواجب ألا يقال: سرقة، إلا حيث يتضح أمام العين التشابه فى الوزن الشعرى ، والألفاظ اللغوية ، والمجاز المستعمل (ص ١٥١ — ١٥٧)، ويلتبس الأمر حين تأتى الفكرة نفسها فى أسلوب مخالف ، وهنا تكون

السرقة في المعنى لا في اللفظ (ص ١٥٧ أسفل — ص ١٦١) أو حيث يأتي في بيت من الشعر عبارة متداولة (ص ١٦٢). من الخطر إذاً أن نجد في كل شيء سرقة، فدائما — على وجه التقريب، (والأمثلة على ذلك كثيرة) لا نجد عند المتنبي إلا عبارات متداولة، استعملت مراراً، وهذبت (ص ١٦٧ — ٢٠٥).

لماذا أثار ديوان المتنبي هذا القدر من النقد؟ إن الأسباب الحقيقية لهذه الخصومة هي الميول الشخصية، والأثر الذي ينتج من تقويم كل بيت وحده لا في قصيدته، والتصميم على ألا يسامح المتنبي فيما سومح فيه غيره، والقسوة المتناهية التي حكم بها على مبالغات الشاعر في المدح (ص ٣٠٦ – ٣٢٧)، ومع ذلك نرى لدى الشعراء الأقدمين أغلب الأخطاء والمخالفات للقوانين العروضية والنحوية التي ليم عليها أبو الطيب. (ص ٣٢٩ — ٣٦١).

وقد ظهرت ثلاثة دراسات، مفقودة اليوم، وكانت تتجه هذا الاتجاه، ألفها تلميذ المتنبي في بغداد محمد المغربي[1]؛ في الكتاب الأول المسمى: «الانتصار المنبي، عن فضائل المتنبي»، والمردف بآخر يحمل اسم: «بقية الانتصار»، المكثر الانتصار» يجب أن يكون المؤلف قد دافع عن الشاعر الذي درسه؛ وعلى العكس «. ذلك في كتاب ثالث يسمى: «التنبيه المنبي عن رذائل المتنبي» يجب أن يكون المؤلف قد بين ما يستحق النقد في ديوان هذا الشاعر. فهل كان عرض هذين الرأيين المتعارضين نتيجة التطور؟ أو كان على العكس إظهاراً لرغبة عدم التحيز؟ لا نستطيع أن نعرف؛ والخلاصة الوحيدة الحقة هي أن رجلا واحداً في عهد واحد،

---

(١) أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد المغربي (وفي الصبح المنبي ج ١ ص ٤٢٦: أبو الحسن أحمد). هذه الشخصية عاشت في حلب وبغداد، وبعد ذلك في بلاط ابن عباد، في الري بفارس، انظر إرشاد الأريب ج ٦ ص ٢٧٤ — ٧، والصبح المنبي، عليه وعلى مؤلفاته

أو عهدين من عهود حياته استطاع أن يقف موقفين مختلفين من أبي الطيب.

إلى جانب هذه الأعمال النقدية ، يجب أن نضع الفصل الذى كتبه المؤلف ذو التصانيف المتنوعة : الثعالبي [١] ، وكرسه لشاعر الكوفة ولديوانه ، فى كتابه : يتيمة الدهر [٢] . وإذا صدقنا المؤلف رأينا أنه تحت إلحاح صديق له ، فكر فى أن يكتب تاريخا للمتنبى ، ولكنه انتهى بالاكتفاء بهذا الفصل من اليتيمة ، ويمكن مع ذلك عدّه كلا كاملا لأهميته [٣] .

هذه الدراسة قسمت ثمانية أقسام : فى القسمين الأولين بين الثعالبي أهمية المتنبي الأدبية ، والنواحى البارزة فى حياته (ص ٧٨) ، وفى القسم الثالث ذكر ما سرقه الشعراء منه (ص ٨٧ وما يليها) ، وفى القسم الرابع ما سرقه هو من سابقيه (ص ٩٥ وما يليها) ، وفى القسم الخامس ما تكرر فى شعره من معانيه (ص ١٠٠ وما يليها) ، وفى السادس (ص ١٠٥ وما يليها) درس نقائص ديوانه ، كالتراكيب المعيبة ، والخروج على الوزن ، واستعمال الكلمات الغريبة أو العامية ، والإفراط فى تكرير اللفظ فى البيت الواحد ، والأفكار الصادمة للشعور : إما لمنافاتها للحشمة والأدب ، وإما لخروجها على الدين ، وقبح التخلص .

تلك الأجزاء ليست كبيرة القيمة ؛ فهى فى الأغلب نقول أو استشهادات

---

(١) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، كانت أغلب إقامته بنيسابور حيث مات فى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٨ م) . انظر زكى مبارك ص ٢١٠ وما يليها ، ودائرة المعارف الإسلامية جـ ٤ ص ٧٦٨ .

(٢) طبعة دمشق سنة ١٣٠٤ جـ ١ ص ٧٨ — ١٦٤ . انظر جبريلى فى كتابه (دراسة) ص ٣٧ وما يليها ، لمعرفة قيمة هذا الفصل من اليتيمة .

(٣) وقد طبع هذا الفصل على حدة تحت عنوان : أبو الطيب المتنبي وأخباره . طبعة على عطية بالقاهرة سنة ١٣٠٥ و سنة ١٣٤٣ .

أخذت من ابن عباد ، أو الجرجانى : أما القسم السابع ، فعلى العكس — شخصى ، جمع فيه الثعالبي العناصر التى تميز فن المتنبي ، وأتى فى ستة عشر فصلا (ص١٢٦ — ١٦١) باستشهادات ، تُرى أن الشاعر تفوق فى المطالع الغزلية ، والتصوير ، والتشبيه ، وحسن الانتقال ، والمدح ، والوصف ، والهجاء ... إلخ . وفى القسم الثامن والأخير ، تحدث عن آخر قصائد المتنبي، ونهاية الشاعر .

هذه الدراسة مبنية على خطة شخصية ، وهى مع ذلك تظهر شيئا أكثر من أفكار الرجل ، فالثعالبي له فى الحقيقة شخصية ضعيفة ، تسمح لنا بأن نجد فى أحكامه على المتنبي الصدى لمذهب معتدل ، ظهر فى نهاية القرن الرابع (العاشر الميلادى) . والثعالبي كالجرجانى وازن بين مزايا الديوان الذى درسه ، ونقائصه ، وأوحى إلينا أن هذا الرأى هو الأكثر قبولا فى الغالب.

لو أن مراقباً غير متحيز عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع ، ولاحظ الاتجاهات التى ظهرت — لأمكنه أن يتنبأ بما سيكون عليه حتما موقف الأجيال المستقبلة إزاء المتنبي ؛ فمن جهة يرى معجبين جد متحمسين بلا حذق ولا فطنة ، ومن جهة أخرى يرى نفوسا أكثر هدوءاً ، تجتهد فى ألا تكون متحيزة ، ولكن تميل برغم كل ذلك إلى الشاعر ، وأخيراً يجد خصوما مقتنعين فى أنفسهم بقيمة الفنان الذى يثلبونه ، ولكنهم يعلنون عداوة ، منشؤها نفس أهينت فى عزتها ، ويوحون بأفكارهم إلى مادحيهم ومتملقيهم ، متدرجين فى النهاية أحيانا كالحاتمى إلى تقدير أكثر اعتدالا . وكان الناقد يتنبأ بأن موت الشاعر سيخفى هؤلاء الخصوم ، وأن التقويم سينتهى برفعه فى أنفس العلماء ، وأن ديوان المتنبي لن يتأخر عن أن يكون ديوانا تقليديا ، يدرس بهذا التقديس الذى يسرف الشرقيون فى منحه للأعمال التى قدسها الزمن .

سوف نشاهد، بدون شك ، فى هذا الجزء من العالم الإسلامى (فارس، والعراق ، وسوريا) بعض مناظرات بين الناقدين ، ولكنها على ما يظهر ستكون قليلة ، لا صدى لها .

رأينا أنه قد أقيمت موازنة بين ثلاثة من الشعراء الأمويين : جرير ، والفرزدق ، والأخطل[١] ، والشعراء العباسيين : أبى نواس ، ومروان ، وبشار[٢]، وتبعا لهذه العادة الجارية، اعتادوا كذلك أن يوازنوا بين المتنبي وسابقيه : أبي تمام ، والبحترى[٣] . وقد ذهب الشريف الرضى[٤] الشاعر إلى مدى بعيد ، واعترف بالمواهب العليا للمتنبي ، وقال عنه : إنه قائد عسكر[٥] . مذكراً بالاتجاه الحماسى الواضح فى ديوان الشاعر .

ولكى ينال المتنبي — مع كل ذلك — المكان النهائى ، الذى يجب أن يشغله فى الشعر العربى ، يلزم أن يتحقق لذلك شرط ضرورى ، هو الوصول إلى فهم دقيق لشعر المتنبي الصعب ، فبينما كانت المناقشات تأخذ طريقها ، عنى بهذا بعض المعجبين بالشاعر : فأبو بكر الخوارزمى صنف شرحا مفقوداً

---

(١) انظر « لامنس Lammens » : شاعر الأمويين ، ص ١٤٦ — ١٥٥ .

(٢) انظر الأغانى (الطبعة الثالثة) ج ٣ ص ١٥٥ فى الأسفل وما يليها . والجزء الرابع ص ١ فى الأسفل يوازن بين الشعراء الثلاثة : بشار ، وأبى نواس ، والسيد الحميرى . والمسعودي في مروج الذهب ج ٨ ص ٨٦٤ يلاحظ أن العرب يعدون بالثلاثة كلما ينال تفضيلهم ، وهكذا أحد الفرس المحدثين فى سنة ١٩٢٧ يوازن بين الشعراء الثلاثة : السعدى، وحافظ، والفردوسى، الرحالة « هرمان نورون » (انظر تحت سماء فارس ص ١٣٥) .

(٣) اتجاه عام يشهد عليه الصبح المنبى ج ١ ص ٢٤٥ — ٦ .

(٤) شاعر بغدادى مات سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٦ م) انظر دائرة المعارف الإسلامية ج ٤ ص ٤٣١ .

(٥) الصبح المنبى ج١ ص٢٥٢ سطر١٠٦ ، ابن الأثير فى المثل السائر ص ٤٨٩ مع بعض تغيير . وفيه أما المتنبي فقاتل عسكر . انظر جبريلى « فى كتابه : Studi ص ٣٦ .

اليوم[١] ، وفى هذا العصر تقريبا، كتب الوحيد[٢] العالم الشاعر العراقى — كتابا مماثلا لم يصل إلينا. وإنما يرجع الشرف إلى شرح ابن جنى، فى أنه استخدم أساسا لدراسة المتنبي فى الشرق .

نحن نجهل التاريخ الذى اختمرت فيه فكرة هذا الكتاب المهم، ومتى تم وضعه . (وهو مكون من ثلاثة مجلدات ، تحوى زهاء ألف صفحة[٣]) ، ولكن من المستطاع فقط ، أن نؤكد أن ذلك كان متأخراً عن موت أبى الطيب[٤] .

القصائد الشعرية فى هذا الشرح مرتبة حسب الحروف الأبجدية للقوافى، وابن جنى يهتم عظيم الاهتمام بالشرح النحوى واللغوى، الذى يثقله بشواهد مأخوذة من الأقدمين .

برغم هذه العيوب الشائنة ، يستطيع هذا المؤلف أن ينفعنا نفعاً عظيما ، بعرضه فكرة المتنبي ، بالقدر الذى استطاع به الشاعر أن يحددها لتلميذه ،

---

(١) شهد بوجود هذا الكتاب العكبرى جـ ١ ص ٢ فى الأسفل ، والصبح المنبى جـ ١ ص ٤٢٤ ، والواحدى يذكره كثيرا . ونرى فى الواحدى اختلافات كثيرة فى الأبيات الشعرية على حسب الرواية المقبولة من الخوارزمى .

(٢) هو سعد (لا سعيد) بن محمد الأزدى الملقب بالوحيد ، عاش فى بلاط الوزير البويهى سابور بن أردشير، ومات سنة ٣٨٥هـ (٩٩٥م) انظر كتاب اليتيمة جـ ٢ ص٢٩٦، وإرشاد اللبيب جـ ٤ ص ٢٣٣ (جـ ١١ص١٩٧ طبعة رفاعى) وبغية الألباء ص ٢٥٣، وحاج خليفة جـ ٣ ص ٣١١ ، وفلوجل ص٢٤٤ .

(٣) الباقى منها المجلد الثانى فى مجموعة خطية بلننجراد رقم ٢٧٥ (انظر روزن) ، والأسكوريال رقم ٣٠٩ (انظر درنبورج).

(٤) كلما قص ابن جنى فى شرحه الكبير حادثا وقع بينه وبين المتنبي ، يتحدث عنه كأنه حادث قديم ، انظر العكبرى جـ ٢ ص ٢٣١ سطر ٢١ وما يليه . كما حدث أنه انتقد بعض شعر المتنبي، مما لا يمكن أن يكون فى حياة الشاعر ، انظر العكبرى جـ ٢ ص ٤٢٨ سطر ٥ من الأسفل .

ولكن يحدث كثيراً ، لسوء الحظ ؟ أن ابن جنى ، مدفوعا بحبه للنادر والدقيق ، يدع المعنى الواضح ، ويلجأ إلى تفسيرات تذهب باللب[١] .

من الصعب أن يسد مثل هذا الكتاب حاجات علماء الشرق ، ومن المستبعد أنهم — وهم مغرمون بأن يضعوا شرحا على شرح — لا يندفعون إلى أن يؤلفوا كتباً تصحح أخطاء ابن جنى .

وفى فارس ، وربما فى قاشان منها ، اختصر عبد الله الأصفهانى[٢] كتاب هذا النحوى ، وصححه فى كتاب سماه : إيضاح المشكل لشعر المتنبى ، وأهداه إلى السلطان البويهى : بهاء الدولة ، ولكن لم يصل إلينا من هذا الكتاب سوى المقدمة[٣] ، التى تقص تاريخ حياة الشاعر ، والمؤلف يجب أن يكون قد بين فى كتابه العيوب والمحاسن للديوان الذى درسه .

وفى بغداد ، قام الربعى[٤] النحوى تلميذ المتنبى فى شيراز ، وحرر بدوره مصنفاً من هذا النوع ، سماه: التنبيه على خطأ ابن جنى ، ولم يبق لنا منه سوى قطع قصيرة[٥] .

---

(١) انظر العكبرى ج ١ ص ٢٠٨ سطر ١٦ — ١٨ و ج ٢ ص ٣١٢ سطر ١٥ وما يليه .

(٢) أبو القاسم عبدالله بن عبد الرحمن الأصفهانى ، مدرس الأدب فى قاشان سنة ٣٧٠هـ (٩٨٠ م) عاش إلى أيام حكم بهاء الدولة البويهى سنة ٣٧٩هـ (٩٨٩ م) انظر خزانة الأدب ج ١ ص ٣٨٢ وما يليها ، والكتاب أثبت وجوده أيضا الصبح المنبى ج ١ ص ٤٢٥ .

(٣) نقلها كتاب الخزانة .

(٤) أبو الحسين على بن عيسى الربعى ولد فى بغداد حول سنة ٣٣٠ هـ (٩٤١م)، ومات بهذه المدينة سنة ٤٢٠ هـ (١٠٣٠ م). انظر الصبح المنبى ج١ ص١٨٢ ، والنزهة ص٤١٤، وبغية الوعاة ص ٣٤٤ ، وابن خلكان ج١ ص ٣٤٣ ، وياقوت فى إرشاد الأريب ج ٥ ص ٢٨٣ — ٦ ، وأبا بكر بن خير ص ٤٠٤ .

(٥) قد ذكر الكتاب وعنوانه فى إرشاد الأريب ج ٥ ص ٢٨٤ ، والصبح المنبى ج١ ص ٤٣٥ ، وأتى العكبرى باستشهادات منه ج ١ ص ٣٨٦ . والنص الشعرى الذى اختاره الربعى اختير من بين خمسة عشر مخطوطا كان أفضلها مخطوط على بن حمزة البصرى . انظر الزيادات ص ٩ .

وفى هذا العصر تقريباً ، كتب كذلك التوحيدى [١] الفيلسوف — وكانت أفكاره تقارب أفكار المتنبي — كتابه : الرد على ابن جنى [٢] ، ويظهر أنه فقد .

بعد ذلك بوقت قصير ، بدون شك ، درس العروضى [٣] النحوى ديوان الشاعر ، تحت إرشاد الشعرانى كاتب المتنبي ، وأبى بكر الخوارزمى ، وشرح للجمهور هذا الديوان ، وأملى ملحوظات قاسية ضد ابن جنى [٤] .

هذا ، ولن نستطيع إلا أن نصدر فروضاً على الشرحين المفقودين اليوم ، واللذين ربما كان قد كتبهما فى خراسان محمد الهروى [٥] ، ومحمد الهرشى [٦] ، وكلاهما تلميذ لأبى بكر الخوارزمى ، ومن الممكن أن يكون كتاباهما ككتاب العروضى نقد كتاب ابن جنى .

على العكس من ذلك ، لا يوجد شك فى اتجاه دراستين كتبتا فى

(١) أبو حيان على بن محمد التوحيدى ، مات بعد سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠م) انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ٩٠ .

(٢) شهد بوجوده كتاب الإرشاد جـ ٥ ص ٣٨١ . انظر دائرة المعارف الإسلامية .

(٣) أحمد بن محمد العروضي ، ولد فى نيسابور سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م) ، وكرس نفسه ، بوجه خاص ، على التعليم ، مات بعد سنه ٤١٦هـ (١٠٢٥ م) انظر إرشاد الأريب جـ ٢ ص ٨٧ ، والبغية ص ١٦٠ ، والعكبرى جـ ١ ص ٣٧٦ سطر ٢٩ و جـ ٢ ص ٤٠٢ سطر ٦ ، والواحدى ص ٧٥٤ سطر ١٠ .

(٤) هذه الأمالى جمعها تلاميذه بلا شك فى مجلد واحد ، والواحدى (ص ٥٣ سطر ٤ و ص ٣٤٠ سطر ٧ و ص ٢٦٦ فى الأسفل) يتحدث عنها كملحوظات أمليت فحسب ، بينما الصبح المنبى (جـ ١ ص ٤٢٥) يتحدث عنها بعنوانها كتابا . انظر الواحدى (جدول ٨٢٥) ففيه الأخطاء التى كشفها هذا الأستاذ عند ابن جنى .

(٥) محمد بن آدم بن كمال الهروى ، مات سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) انظر كتاب البغية ص ٤ ، وإرشاد الأريب جـ ٤ ص ٢٦٧ ، وحاج خليفة جـ ٣ ص ٣١١ .

(٦) محمد بن على بن إبراهيم الهرشى مات سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م) انظر اليتيمة ص ٧٣ ، والصبح المنبى جـ ١ ص ٤٢٤ ، وحاج خليفة جـ ٣ ص ١١٣ .

ذلك العصر تقريباً ، بالرى من أعمال فارس ، كتبهما ابن فورجه[١] .
عنوان إحداهما : التجنى ، على ابن جنى ، والأخرى تسمى : الفتح ، على أبي الفتح . ولكن لم يصل إلينا سوى أولاهما[٢] .

نرى فى هذا الشرح — زيادة على القصص التي تستطيع أن توضح حياة أبي الطيب — عدة تصحيحات للشروح الخيالية لابن جنى ، وهو المثال لتأليف تكون فيه سعة المعرفة اللغوية ضرورية لا مندوحة عنها ، وفضلا عن ذلك مضت دراسات المتنبي مع ابن فورجة ، تتصل بالوسط السورى ، الذى أخذت فيه هده الدراسات تنبعث مرة ثانية .

فى هذا الوقت تقريبا ، وجد ديوان المتنبي فى معرة النعمان ، معجبا متحمسا فى شخص الشاعر الفيلسوف أبى العلاء[٣] ، المتأثر تأثراً أدبيا بأبي الطيب ، والذى يرفعه فوق أعاظم المحدثين[٤] ، وقد قلده فى الشطر الأول من حياته ، وكان يود أن يخلفه فى ميدانه[٥] ، ومن الناحية الفلسفية بوجه

---

(١) حمد (لا محمد) بن محمد ، نحوى وشاعر ، ولد فى بروجيرو ، بالقرب من أصبهان سنة ٣٣٠هـ (٩٤١ م) وقابل أبا العلاء في بغداد ، سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) . عاش غالباً فى الرى ، حيث تتلمذ له الباخرزى (الذى مات سنه ٤٦٧ هـ — ١٠٧٤ م) ومات فى تاريخ غير معروف (وما قيل من أنه سنة ٤٥٥ خطأ كالتاريخ الذى ذكره فوات الوفيات) . انظر بغية الوعاة ص ٣٩ وص١٣٦ سطر ١٦ ، والباخرزى ج ٢ ص ٩١ ، وحاج خليفه ج٣ص٣١٠ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ١٩٨ .

(٢) مخطوطات الأسكوريال رقم ٣٠٧ (انظر درنبورج) ونجد استشهادات من هذين الكتابين فى الواحدى (الفهرست ٨٢٤) والعكبرى ج ٢ ص ٧٨ — ٧٩ ، والصبح المنبي ج ١ ص ٧٨ — ٨١ .

(٣) أبوالعلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان ، ولد فى سورية بمعرة النعمان سنة ٣٦٣هـ ، وقضى بعض الوقت فى بغداد ، وعاش كل حياته تقريباً بمسقط رأسه حيث مات سنة ٤٤٩هـ (١٠٥٨ م) . راجع دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٧٧ ، وبروكلمان ج ١ ص ٢٥٤ .

(٤) إرشاد الأريب ج ١ص ١٦٩ ، وبغية الوعاة ص١٣٦ ، والصبح المنبي ج ١ ص ٤٧

(٥) يرى جبرييلى (Studi ص٣٦ ، والملحوظة ٣) أن تأثير المتنبي فى أبي العلاء كان =

خاص ، كان المعرى سائداً عليه الشك الدينى ، والتشاؤم ، والمذهب الخلق للمتنبي .

هذا الذى يسمى : حكيم المعرة ، ألزم نفسه بدوره ، أن يسهل للمثقفين مأخذ ديوان عظيم الأهمية ، لأسلوبه الفنى ، وقيمته الخلقية . وقد قام بذلك فى كتابين ، عنوان أحدهما : كتاب معجز أحمد ، ويظهر أنه مفقود اليوم ، وهو مختارات من أجود شعر أبى الطيب ، مصحوبة بآراء نقدية[1] . واسم الثانى اللمع العزيزى[2] ، لأنه أهدى إلى الأمير عزيز الدولة ، وقد وصل إلينا جزء منه ، وهو كتاب عظيم لسعته ، ولمادته ، والمؤلف يهتم عظيم الاهتمام بالدراسة النحوية للنص ، ومع ذلك ، هو ، فنانا ، يطنب فى بيان القيمة الفنية للقصائد التقليدية ، حين تدعو الضرورة إلى ذلك .

لا نستطيع قول شىء عن مؤلفات أبى منصور[3] السامانى ، وعبدالقاهر

= أدبياً فقط ، لافلسفيا ، وأن هذا التأثير لم يكن إلا فى الشطر الأول من حياة أبى العلاء ، هذا الشطر الذى ألف فيه قصائد سقط الزند . وأرى أن القرابة العقلية والخلقية بين الرجلين كانت أقوى من أن تحد بهذا التأثير القليل من المتنبي فى أبى العلاء . ولهذا يبدو شبهها بالحق أن يكون الأول مبشراً بالثانى .

(١) هذا الكتاب أثبت وجوده الصبح المنبى جـ ١ ص ٤٢٣ ، وابن خلكان جـ ١ ص ٣٤ سطر ١١ وما يليه .

(٢) لا اللمع الغريزى كما فى الصبح المنبى جـ ١ ص ٤٢٣ . ولا لمع العزيزى كما فى كتاب حاج خليفة جـ ٣ ص ٣٠٧ ، والعنوان مذكور فى ابن خلكان جـ ١ ص ٤٧ ، ومخطوطات أخرى ، انظرها فى بروكلمان جـ ١ ص ٨٨ سطر ١٩ . وفى القاهرة نسختان مصورتان مأخوذتان من مخطوطات محفوظة بالمتحف البريطانى . (انظر فهرس دار الكتب جـ ٣ ص ٣٦١) . والأمير عزيز الدولة كان حاكم حلب من قبل الفاطميين من ٤٠٧ — ٤١٣ هـ (١٠١٦ — ١٠٢٢ م) .

(٣) أبو منصور محمد بن عبد الجبار السامانى ، لغوى من مرو ، مات سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٨م) راجع الزركلى ص ٩١٣ ، والصبح المنبى جـ ١ ص ٤٢٣ .

الجرجانى[١] ، وعبد الله الشاماتى[٢] ، وسلمان الحلوانى[٣] التى لم يعثر عليها إلى اليوم . وفى شرح ابن دوسط[٤]، الذى فقد كذلك، ولكن بقى منه قطع كثيرة — نجد كتابا مشابها لكتاب ابن جنى ، وربما يكون أوجز منه ، ولكنه مثله فى شرحه الخيالى لبعض أبيات الشعر .

لكن يجب أن نعترف للواحدى[٥] العالم النحوى بميزة أنه فسر أفكار المتنبى أفضل تفسير، ففى شرحه الذى تم سنة ٤٦٢هـ (١٠٦٠ م) استفاد من مؤلفات الخوارزمى ، والعروضى ، وابن جنى ، وابن فورجه ، وأبى العلاء، وابن دوسط ، ومع ذلك لم يقف عند حد النقل من هؤلاء المؤلفين ، بل كان يشعر بالعيوب ، وعدم الكفاية ، والأخطاء التى تحويها مؤلفاتهم ، ورغب فى أن يستدركها ، على حسب طاقته ، بأن يؤلف كتابا ، « سالما من التطويل ، بذكر ما يستغنى عنه من الكثير بالقليل ، مشتملا على البيان

---

(١) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى ، أحد واضعى علم البلاغة العربية ، مات فى جرجان سنة ٤٧١هـ (١٠٧٨م) انظر نزهة الألباء ص ٤٣٤، وبغية الوعاة ص ٢١٠، وأحمد ضيف ص ١٥٠ وما يليها ، والصبح المنبى ج ١ ص ٤٢٣، وبروكلمان ج ١ ص٢٨٧ .

(٢) أبو الحسين عبد الله بن أحمد الشاماتى (لا السامانى) لغوى من كرمان ، مات سنة ٤٧٥هـ (١٠٨٢ م). انظر بغية الوعاة ص ٢٧٨.

(٣) أبو عبد الله سلمان بن عبد الله الحلوانى ، أقام فى العراق ، ومات فى أصبهان حول سنة ٤٩٣هـ (١٠٩٩م). راجع البغية ص٢٦٠ ، وإرشاد اللبيب ج ٤ ص٢٤٦، وحاج خليفة ج ٣ ص ٣١١ ، والنزهة ص ٤٣٩ ، وتسميه سليمان .

(٤) أبو سعيد عبد الرحمن بن دوسط النحوى من خراسان مات سنة ٤٣١ هـ (١٠٣٩ م) . راجع اليتيمة ج ١ ص ٢٢٤ وما يليها ، وابن خلكان ج ١ ص ٣٩ سطر ٢٨ ، والبغية ص ٣٠٢ ، والصبح ج ١ ص ٤٢٥ ، وفوات ج ١ ص ٢٦٣ .

(٥) أبو الحسن على بن أحمد الواحدى ، ولد فى خراسان ، ورحل كثيراً ، وكان تلميذ ابن دوسط ، والعروضى ، وشهر بأنه نحوى ومفسر للقرآن ؛ ومات في نيسابور سنة ٤٦٨هـ (١٠٧٥م) . انظر البغية ص ٣٢٧ ، وابن خلكان ج ١ ص ٣٣٣ ، والإرشاد ج ٥ ص ٩٧ — ١٠٢ ، وهمربرجستال ص X ، وبروكلمان ج ١ ص ٤١١ . وهذا الشرح طبعه ديتريشى فى برلين سنة ١٨٦١ .

والإيضاح ، الذى به يوقف على المغزى المقصود ، والرى المطلوب[١] » .

رتب الواحدى القطع ترتيبا تاريخيا دقيقا إلى حد ما ، ولكنه لم يعتن كثيراً بالظروف التى دعت إلى قرض القصائد ، ولاهتمامه بالإيجاز اختصر بقدر ما يستطيع الدراسة النحوية ، وجعل شرحه ترجمة ، وفى النقط الغامضة ينقل ما قالته الشروح الأخرى ، فيصحح بعضها ببعض ، وينقدها نقداً شخصيا . والواحدى فى المجموع شديد الحب للمتنبى ، فهو يجتهد — بوجه خاص — أن يمر مرآ سريعا على دعاية المتنبى ببادية السماوة ، وأن يقلل من شأن التصرف الإلحادى[٢] فيها ، ولكنه — مع ذلك — لا يخفى احتقاره لما فى الديوان من شعر الطفولة ، الذى لا يستحق الشرح ، بل كان أولى به أن يحذف[٣] .

كتاب الواحدى قطعياً أرقى من كتب غيره من المؤلفين المعروفين ، والشرقيون أنفسهم يرونه من بين ما كرس لديوان[٤] المتنبى أكثرها كمالا ، ولذلك استفادوا به ، بعد ظهوره ، بالسرقة منه أو النقل عنه .

إذا وازنا بهذا الكتاب ، كتاب اللغوى التبريزى[٥] ، تلميذ أبى العلاء ، يبدو أن هذا الأخير ليس له إلا مركز ثانوى ، فهذا الشرح المسمى : « الموضح[٦] » فقير فى الجوهر ، برغم سعته ، وقد رتبت فيه القصائد على

---

(١) الواحدى ص ٣ .

(٢) الواحدى ص ٤٩ وما يليها ، و ٨٤ وما يليها .

(٣) الواحدى ص ١٧ .

(٤) حاج خليفه جـ ٣ ص ٣٠٦ ، همر ص X .

(٥) أبو زكريا يحي بن على ولد سنة ٤٢١هـ (١٠٣٠ م) مات فى بغداد سنة ٥٠٢هـ (١١٠٠ م) راجع دائرة المعارف الإسلامية جـ ٤ ص ٧٨٢ .

(٦) مخطوطات في باريس رقم ٣١٠١ — ٣٣٠٣ (انظر دى سلان) وهذا العنوان منصوص عليه فى كل مكان ، ولكن نسخة محفوظة بالقاهرة تحمل اسم : « شرح المشكل من ديوان أبى تمام وأبى الطيب » (انظر فهرس دار الكتب جـ ٣ ص ٢١٩) .

حسب الترتيب الأبجدى للقوافى ، والمؤلف يذكر ما فى المصادر الوثيقة الضرورية فقط ، ويتوسع فى الدراسات النحوية ، ويقف بشرحه عند حد ترجمة النص الشعرى ، وبرغم قلة ما فيه من جديد ، نال هذا التصنيف فى كل مكان حظا من الشهرة .

وقد كان التبريزى ذا نفوذ عظيم فى الدراسات المتنبية ، بصفته أستاذاً فى جامعة بغداد ، الشهيرة بالنظامية ، والتى أسسها الوزير السلجوقى: نظام الملك سنة ٤٥٧ هـ (١٠٦٤ م) ، فابن الشجرى[١] ، أحد تلاميذه ، يذكره مصدراً فى أماليه المدرسية ، (وقد جمعت هذه الأمالى بعد ذلك فى كتاب[٢] واحد) ، والمؤرخ ابن الأنبارى[٣] ، أحد تلاميذ ابن الشجرى ، مؤلف كتاب نزهة الألباء ، كتب بدوره شرحا لديوان المتنبى ، سماه : مغانى المعانى ، وهو مفقود الآن[٤] ، ولا بد أنه كان محتويا لترجمة كاملة نوعا للمتنبى[٥] .

إذا لم نستطع أن نقول شيئا متأكدين منه عن الكتاب السابق . فالأمر

---

(١) أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد الملقب بابن الشجرى ، ولد سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨م) ومات فى بغداد سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) راجع ابن خلكان ج ٢ ص ١٨٣ ، والنزهة ص ٤٨٥ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٣١٠ وما يليها .

(٢) توجد نقول طويلة من هذه الأمالى المدرسيه فى العكبري ج ١ ص ٤٧ ، ٣٨٧ ، ٤٢٣ ، ٤٥٠ و ج ٢ ص ٢٨٩ ، ٣٥٧ والكتاب يطبع الآن . وقد ظهر الجزء الأول منه فى القاهرة سنة ١٩٣٠ وتحتوى صفحاته ١٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ شرحاً نحوياً ولغوياً لبعض الشعر . والمجلس الأخير دراسة خاصة ببعض شعر المتنبي . راجع ابن خلكان ج ٢ ص ١٧٣ ، وكامل حلمي ص ١٥٢ ملحوظة ٢ .

(٣) عبد الرحمن بن محمد الأنبارى مات سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) انظر دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٣٥٣ .

(٤) الكتاب ، مع العنوان ، يذكرهما ابن الأنبارى نفسه . انظر النزهة ص ٣٧٤ سطر ٥ ، والبغية ص ٣٠٢ تذكر الكتاب بدون عنوان .

(٥) ابن الأنبارى ينقل منه فى كتاب النزهة .

بالعكس من كتاب النحوى البغدادى ابن الدهان[١] ، والذى أقام بعد ذلك بالموصل ، ففى هذه الرسالة الوجيزة المفقودة اليوم ، والمسماة : « الرسالة السعيدية ، فى المآخذ الكندية ، من المعانى الطائية »[٢] يتناول المؤلف الموضوع المثير وهو السرقات ، ويظهر أنه لم يضف شيئا له قيمة إلى ما كتب فى هذا الموضوع من قبل . وتحت نفوذ هذا الأستاذ تأسس فى أعلى الجزيرة مركز هام جداً للدراسات المتنبية ، فالماكسينى[٣] ، تلميذ ابن الدهان بالموصل شرح شفهياً قصائد أبى الطيب لتلاميذه . وفى سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢م) تبع العكبرى[٤]، وهو فى التاسعة والخمسين من عمره ، دروس الماكسينى ، والعكبرى أحد نحاة البغداديين ، وقد شرع بعد ذلك بوقت قصير — بدون شك — فى تأليف شرح للديوان، هو جمع لا يدل على ذكاء، ولكنه نقل أمين .

والعكبرى قد راجع ابن جنى ، وأبا العلاء ، وابن فورجة ، والعروضى، والواحدى ، والتبريزى ، والشراح المصريين والمغاربة ، مثل ابن وكيع ، وابن القطة ، وابن الإفليلى ، الذين سنتحدث عنهم بعد . ولقد كان بمصر ، حيث تبع دروس عبد المنعم التيمى ، فى شرحه للمتنبى ؛ فكان شرحه إذاً

(١) أبو محمد سعيد بن المبارك ، الملقب بابن الدهان ، ولد فى بغداد ، ومات بالموصل، سنة ٥٦٩هـ (١١٧٤ م) انظر البغية ص ٢٥٦ ، وابن خلكان جـ ١ ص ٢٠٩ ، وإرشاد الأريب جـ ٤ ص ٢٤١، وبروكلمان جـ ١ ص ٢٨١ .

(٢) ينقل الصبح المنبى (جـ ١ ص ٦٥ — ٨٣) جزءاً من هذه الرسالة ، والعنوان الكامل مذكور فى ابن خلكان، والكتاب مكون من مجلد واحد .

(٣) أبو الحرم مكى بن زيان الماكسينى ، ولد فى إربل ، ودرس فى بغداد ، ثم فى الموصل، حيث مات سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م) . راجع البغية ص ٣٩٧ ، والعكبرى جـ ١ ص ٢ ، ٢٤٩ ، ٤٦٢ .

(٤) أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى ، ولد فى بغداد سنة ٥٣٨هـ (١١٤٣ م)، ومات بهذه المدينة سنة ٦١٦هـ (١٢١٩ م) . انظر ابن خلكان جـ ١ ص ٢٦٦، والبغية ص ٢٨١ ، وبروكلمان جـ ١ ص ٢٨٢ .

مكوناً من أجزاء نقلت عما ذكر من الأصول[١] ، وقد رتبت القصائد على حسب الحروف الأبجدية للقوافى ، وذكرت فى أول الكتاب ملحوظة مهمة بوجه عام ، تبين الظروف ، التى ألف فيها الكتاب . والشرح له ثلاثة اتجاهات ؛ فهو : نحوى ، ولغوى ، وأدبى ؛ وبعض المناقشات العلمية تجعله ثقيلا غالباً ، ولخطته الجمعية حاز عند الجمهور المثقف شهرة ، تساوى على الأقل شهرة كتاب الواحدى .

فى إربل ، غير بعيد من الموصل ، صار ديوان المتنبى ، فى ذلك الحين موضوعا للدراسة ، فالشيبانى[٢] النحوى قد انتقده فى بعض نقط جزئية ، والمؤرخ ابن المستوفى[٣] : تلميذ الماكسينى ، الذى عاش طول حياته تقريباً فى إربل — ألف كتابا ضخما فى عشرة مجلدات ، سماه : « النظام ، فى شرح شعر المتنبى وأبى تمام » ولكن هذا المؤلف لم يصل إلينا .

يدين الوزير ضياء الدين[٤] بن الأثير ، الذى وصل إلى إربل سنة ٦١١ﻫ (١٢١٤ م) ، لابن المستوفى هذا بجزء من معرفته بديوان المتنبى . هذا الوزير كثيراً ما يعلن إعجابه بأبى الطيب فى كتبه على الشعر والأسلوب ، وفضلا عن ذلك كتب مختصراً[٥] فقد اليوم ، اسمه : « الاستدراك على ابن الدهان »

---

(١) راجع العكبرى ج ١ ص ٨ ، ففيه قطعة تحدد جلياً خطة المؤلف .

(٢) أبو الحسن على بن القاسم الشيبانى ، مات فى إربل سنة ٦٢١ ﻫ (١٢٢٤ م) . انظر البغية ص ٤٦٤ .

(٣) أبو البركات مبارك بن أحمد الإربلى الملقب بابن المستوفى . ولد فى إربل سنة ٥٦٤ ﻫ (١١٦٨ م) ، مشهور بتاريخه لهذه المدينة . أقام فى الموصل سنة ٦٣٤ ﻫ (١٢٣٦ م) حيث مات سنة ٦٣٥ﻫ (١٢٣٩م) . انظر البغية ص ٣٨٤ ، وابن خلكان ج ١ ص ٤٤٢ — ٤ ، وحاج خليفه ج ٣ ص ٣١٠ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٥٥٧ حرف A .

(٤) ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن الأثير ، أخو المؤرخ ابن الأثير . ولد سنة ٥٥٨ ﻫ (١١٦٣ م) ، ومات فى بغداد سنة ٦٣٧ﻫ (١٢٢٩ م) . انظر دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٣٨٧ .

(٥) الصبح المنبى ج ١ ص ٤٢٧ .

يدافع فيه عن شاعره المفضل ، ومع ذلك لم يقصر إعجابه على المتنبى ، شأنه فى ذلك شأن كثير من العلماء ، بل وسع ثلاثة من الشعراء ، هم : أبو تمام ، والبحترى ، والمتنبى . وقدجمع منتخبا فقد اليوم ، كان يضم أجود قصائدهم [١] . هذا التبجيل لهؤلاء الشعراء الثلاثة مقرر فى كتاب مشهور ، هو المثل السائر [٢] فى أدب الكاتب والشاعر ، ففى موازنة صارت تقليدية [٣] أعلن ابن الأثير أنه بعد أن قضى جزءاً من حياته فى دراسة شعراء العرب ، وبعد أن رأى من اللائق وجوب الوقوف عند المهم والأفضل ، وجد طلبته فى شعر هؤلاء الثلاثة ، فقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين ، إلى فصاحة الأقدمين ، وجمعت بين الأمثال السائرة ، وحكمة الحكماء ، أما أبو تمام فإنه رب معان ، وصيقل ألباب وأذهان ، وإن أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، وأما أبو الطيب فإنه أراد أن يسلك مسلك أبى تمام ، فقصرت عنه خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظى فى شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالابداع فى وصف مواقف القتال ، وأنا أقول قولا لست فيه متأثما ، ولا منه متلثما ، وذلك أنه إذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلا [٤] » . إﻫ .

---

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٥٩ سطر ١٧ .

(٢) طبع فى بولاق سنة ١٢٨٢ ﻫ .

(٣) المثل ص ٤٧٠ وما يليها . ونقلها الصبح المنبى ج ١ ص ٢٤٦ — ٢٥٢ ، وشيخو فى كتاب المجانى ج ٤ ص ١٥٤ — ١٥٧ ، وكتاب الصبح ج ٢ ص ٢٤١ — ٢٥٩ ينقل استشهاداً آخر من المؤلف نفسه ، ولتعرف قيمة تقدير ابن الأثير ، انظر جبريلى (Studi) ص ٣٨ وجولدزيهر (Abhanlungen) ج ١ ص ١٦٣ وما يليها .

(٤) المثل السائر ص ٣٠٢ .

إعجاب ابن الأثير لم يكن إعجابا أعمى ، فهو غالبا ما ينتقد [١] أبا الطيب بقسوة ، ويرى أن خمس شعره متوسط ، وخمساً آخر لا يستحق أن يحتفظ به . ومما لا شك فيه أنه يفضل أبا تمام على شاعر بنى حمدان ، ولكنه يعرف جيداً ما فى ديوان المتنبى من جديد ، وبوجه قاطع ، هو يعجب به أكثر من أبى تمام ، مع أنه يحبه أقل منه .

يدين ياقوت[٢] الرومى ، صاحب التآليف المتنوعة — لابن المستوفى أيضاً ، بما جمعه فى أثناء مروره بإربل سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) وسنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م)، ففى قاموسه الجغرافى : « معجم البلدان »[٣] يذكر المتنبى مراراً بعنوان أنه شاعر تقليدى ، وتبعاً للطريقة المختارة فى هذا النوع من المؤلفات ، يتخذ المؤلف أبا الطيب حجة ، فى تحديد وضبط كتابة الكلمات لبعض الأماكن ، عند دراسة أصول الأسماء دراسة لغوية أو تاريخية . ومن الواجب أيضاً أن قاموسه المؤرخ لحياة الأشخاص ، والمسمى : « إرشاد الأريب »[٤] ، كان يحوى دراسة وجيزة لأبى الطيب ، لم تصل إلينا[٥] ، وأخيراً كرس هذا

---

(١) انظر المثل السائر ص ٩٨ — ١٧٩ — ١٨٤ — ١٨٥ — ٢٢٩ — ٣٦٤ — ٣٨٩ — ٤٢٨ — ٤٧٧ .

(٢) أبو عبد الله ياقوت الرومى ، ولد فى آسيا الصغرى سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) ، قضى حياته تقريباً فى الرحلات ، ومات سنة ٦٢٦ هـ (١٧٢٩ م) فى حلب . انظر دائرة المعارف الإسلامية ج ٤ ص ١٢١٦ .

(٣) طبعة « وستنفلد » بليبزج فى ٦ مجلدات . ولمعرفة المواضع التى ذكر فيها المتنبى انظر الفهرس .

(٤) طبعة مرجليوث : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، فى ٧ مجلدات .

(٥) المجلد الأول من الكتاب به نقص : فجوة .

المؤلف للمتنبي دراسة تاريخية [1] تسمى « أخبار المتنبي » لم تحفظ لنا ، ومن المحقق أنها كانت ذات فائدة عظيمة .

حول هذا الوقت الذى أسست فيه هذه المدرسة فى أعلى الجزيرة ، عاد إلى الظهور مرة ثانية ، مدرسة أخرى فى سوريا ، انبعثت هذه المدرسة من العلماء البغداديين ، ولكنها تأثرت بمصر خاصة .

(١) أثبتها ابن خلكان ج ٢ ص ٢١٠ فى الأسفل ، وياقوت فى معجم البلدان ينقل منها قطعتين فى مقاليه عن بسيطة وحسمى .

الفصل الثانى

ديوان المتنبى فى الأوساط المصرية والسورية فى القرون الوسطى

ظلت الدراسات المتنبية منتشرة فى مصر ، كما فى العراق وفارس وقتاً طويلا ، فمنذ حياة أبى الطيب ، تكونت فى الفسطاط حلقة حول الشاعر ، لتدرس ديوانه تحت إرشاده [1] ، وبعد هرب المتنبى صار صالح بن رشدين الكاتب رئيس هذه المدرسة ، وتحت نفوذ الشخصيات المعادية كالوزير ابن حنزبة ، تكونت أيضاً طائفة كارهة ، وكان أشهر ممثلى هذه الطائفة الشاعر العالم : ابن وكيع [2] ، الذى ألف دراسة ، سماها : « المنصف للسارق والمسروق من المتنبى » ، وهذا الكتاب خال من الجدة ، خلو اسمه من الصحة [3] ، ويشبه فى كل شىء مصنف ابن عباد . هذا المصنف ذاتى صرف ، شأن غيره ، ويعنى بالجزئيات ، وأحياناً يهتم بكلمة ، والمؤلف يكشف فى كل شىء سرقة ، فبيت المتنبى :

ونرتبط السوابق مقربات   وما ينجين من خبب الليالى [4]

---

(١) انظر بلاشير ص ١٩٧ .

(٢) أبو محمد الحسن بن على ، المكنى بابن وكيع ، ولد ومات فى تنيس ، بالقرب من دمياط سنة ٣٩٣هـ (١٠٠٣ م). راجع اليتيمة ج ١ ص ٢٨١ ـ ٣٠٥ ، وابن خلكان ج ١ ص ١٣٧ ، وابن رشيق ج٢ص ٢١٦ ، وبروكلمان ج ١ ص ٨٨ ، وجبرييلى (Studi) ص ١٣ .

(٣) مخطوطات فى برلين رقم ٧٥٧٧ (انظر هلواردت) ونقل عنه العكبرى ج ١ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٥ وج ٢ ص ٢٠ ـ ٢١ ، ٢٢

(٤) انظر العكبرى ج ٢ ص ٢١ ـ القطعة ١٩٢

يراه ابن وكيع صدى لبيت عبد الله بن طاهر :

كأننا فى حروب من حوادثه فنحن من بين مجروح ومطعون

هذا التصميم على القدح ، سيجعل فيما بعد أحد نقاد مدينة القيروان ، وهو ابن رشيق ، يقول : « ما أبعد كتاب المنصف عن الإنصاف » ، وابن جنى المعجب بالمتنبي لم يجد تعباً فى أن ينقض حجج ابن وكيع ، فى رسالة تفنيدية مفقودة اليوم [١] .

يتجه هذا الاتجاه نفسه كتاب[٢] ، ربما يكون قد ألف فى أول القرن الحادى عشر ، يسمى : « نزهة الأديب ، فى سرقات المتنبي من حبيب » ألفه مصرى يسمى ابن حسنون .

ولمثل هذا الغرض ألف العميدى[٣] القاهرى رسالة، تسمى : « الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى » . والذى أوحى إليه بتأليف هذا الكتاب أنه سمع يوما تفخيما للمتنبي لا حد له (ص ٤ وما يليها) ، وفيه يثور ضد جنون بعض الناس الذين يرون معجزات فى شعر مسروق ، ويسخر ، كالقاضى الجرجانى ، من هؤلاء الذين يعلنون فى كل حين أن مثل هذه الفكرة لم يعبر عنها قبل المتنبي ، ولكنه بدون شك (ص ٥ وما يليها) قد تحفظ من أن يجحد « فضل المتنبي ، وجودة شعره ، وصفاء طبعه »

ومع ذلك لم يستطع أن يبرئه من السرقات ، ولا أن يرفعه إلى صف أبى تمام ، والبحترى ، وابن الرومى ؛ ولم يغفر له أنه ثلب ، أو تظاهر بجهله

(١) انظر فيما مضى ص ١٠

(٢) أثبت الصبح وجود هذا الكتاب ج ١ ص ٤٢٦ .

(٣) هو أبو سعد (لا سعيد) محمد بن أحمد العميدى ، نحوى لغوى من القاهرة، مات سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) . انظر البغية ص ١٩ ، وبروكلمان ج ١ ص ٨٩ .

هؤلاء الشعراء يضخم مجده الخاص . ومضى العميدى يظهر بشواهد لا عداد لها كل ما أخذه أبو الطيب من سابقيه (ص ٨ وما يليها) ، وهنا نرى أنفسنا مرة ثانية فى الطريق المألوف ، فإلى جانب الحالات الصريحة[١] ، يكشف العميدى سرقات فى العبارات المتوارثة[٢] ، ويرى أن شعر المتنبي : وألذ شكوى عاشق ما أعلنا .

مأخوذ من قول أبي نواس[٣] :

فلا خير فى اللذات من دونها ستر .

إن الإسراف فى هذه الانتقادات تقلل من فائدة هذا الكتاب ، كما سهلت فى عصره للمعجبين بالمتنبي الرد عليه ، وانتهى هؤلاء المعجبون فى مصر ، كما فى العراق وفارس وخراسان ، بنصر المتنبي .

شرح ابن البر[٤] ، أحد تلاميذ صالح بن رشدين ، ديوان أبى الطيب شرحا شفهياً للجمهور فى القاهرة . وفى سنة ٤٥٩ ﻫ (١٠٦٦م) تبع دروسه الصيرفى[٥] أحد تلاميذه . وفى هذا الوقت تقريباً تلقى عليه ابن القطة[٦]

---

(١) طبعة القاهرة هى التى أتحدث عنها . والصبح جـ١ ص ٢٥٦—٢٧٤ ، ٣١٣—٤١٥ ينقل الكتاب مع تصحيحات للبديعى . انظر تحليلا موجزا للكتاب فى جبريلى ص ١٣ .

(٢) انظر مثلا ص ٢٥ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٦٠،٦٢ ، ٦٣،٦٤ ، ٦٨،٧٦ . الخ.

(٣) انظر ص ٦٤ .

(٤) أبو بكر محمد بن على بن الحسن التميمى ، والمكنى بابن البر ، لغوى ، ولد فى القيروان ، وقضى بعض الوقت فى صقلية ، وأقام فى مصر ، ومات فيها بعد سنة ٤٥٩ ﻫ (١٠٦٦م). انظر ابن الأبار ص ٣٦٧ ، والبغية ص ٧٥ .

(٥) أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الصيرفى . انظر ابن الأبار فى كتابه التكملة لكتاب الصلة .

(٦) أبو القاسم على بن جعفر المعروف بابن القطة ، ولد فى صقلية سنة ٤٣٣ﻫ (١٠٣١م)، وطرده منها النورمانديون، فجاء إلى القاهرة، وعاش بها حتى مات سنة ٥١٥ﻫ (١١٢١ م)، راجع ابن خلكان جـ ١ ص ٣٣٩ ، والبغية ص ٣٣١ ، ومحاضرات السيوطي جـ١ ص ٢٥٥، =

الصقلى تعليمه ، وألف شرحا مفقوداً [1] اليوم ، ومن الواجب أنه كان من ناحية نقلا من مؤلفات ابن جنى ، وأبى العلاء ، والتبريزى ، ومن ناحية أخرى — تقييداً كتابياً للشرح الشفهى لصالح بن رشدين عن طريق ابن البر .

يظهر أن المدرسة العراقية لشرح ديوان المتنبي ، كان لها تأثير فى المدرسة المصرية، فى عصر ابن القطة ، فإن الدلنى [2] تلميذ الرمانى اللغوى البغدادى ، قد جاء إلى القاهرة سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) ، وكتب مؤلفاً فى عشرة أجزاء على ديوان المتنبي ، ولكن الكتاب مفقود [3] اليوم . وقد تأكد هذا التأثير فى أثناء القرن الثانى عشر والثالث عشر ، أيام الأيوبيين الذين حكموا مصر وسوريا وشمال الجزيرة ، وخلق ارتباطا بين الأوساط المختلفة للدراسات المتنبية فى هذه الأجزاء من العالم الإسلامى ، وفى حكم هذه الأسرة ، عظم صيت أبى الطيب فى تلك النواحى من الشرق ، ويظهر أن البلاط الملكى عرف ديوانه جيداً [4] ، وصار اسم المتنبى معادلا (للشاعر

= والإرشاد جـ٥ ص ١٠٧ ، وبروكلمان جـ١ ص٣٠٨ . والعكبرى جـ ٢ ص٢٩، ٢٦٧ يقرر أن ابن القطة درس ديوان المتنبي تحت إرشاد ابن البر .

(١) شهد بوجود الكتاب الصبح جـ ١ ص ٤٢٥ ، ومنه قطع فى العكبرى جـ ٢ ص ٢٩ ، ٢٦٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ .

(٢) أبو الحسن محمد بن عبدالله بن حمدان الدلنى، مات فى القاهرة سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧م) ، راجع البغية ص ٥٢ .

(٣) شهد بوجود الكتاب البغية ص ٥٤ ، والصبح جـ ١ ص ٤٢٤ ، وحاج خليفة جـ ٣ ص ٣١١ .

(٤) السلطان الملك الكامل ، المتوفى سنة ٦٣٥هـ (١٢٣٨ م) عرف الديوان جيدا . راجع العكبري جـ ١ ص ١٣ سطر ١٧ وما يليه .

العبقرى)[١]. ولم يستطع الشاعران: ابن مطروح[٢]، وبهاء الدين زهير[٣]، أن ينكرا نفوذه[٤]، والشاعر الصوفى: البوصيرى[٥] فى قصيدته المشهورة، التى مدح بها النبي محمداً سرق بيتا من شعره[٦].

كان العلم من ناحيته مستمراً فى عمله الدقيق، فعبد القادر الوأواء[٧] السورى كتب قبل سنة ٥٥١هـ (١١٥٦ م) شرحا لا نملكه اليوم، وأضاف إليه الكندى[٨]، وهو أحد العلماء المشهورين فى زمنه — بعض الحواشى. ومن هذا الوقت يظهر أن ديوان شاعر الكوفة لم يثر، لا فى مصر، ولا فى سوريا أية دراسة هامة، وإن استمر بعض اللغويين والنحويين فى

---

(١) الشاعر ابن الأصار المتوفى سنة ٦٣٠هـ (١٢٣٢ م) كان يدعي « متنبي عصره » فى مصر. انظر ابن سعيد فى كتاب المغرب في حلى المغرب، ج ٤ النص ١٠٥.

(٢) أبو الحسن يحيي بن محمد مات سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١ م). انظر بروكلمان ج ١ ص ٢٦٣.

(٣) أبو الفضل زهير بن محمد مات سنة ٦٥٨هـ (١٢٥٨م). انظر بروكلمان ج١ ص٢٦٣.

(٤) راجع ابن خلكان ج ٢ ص ٢٠٩.

(٥) أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى مات سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤ م). انظر دائرة المعارف الإسلامية ج١ ص ٨٢٤.

(٦) انظر « باست » (البردة) ص ١٧.

(٧) أبو الفرج عبد القادر بن عبدالله، المعروف بالوأواء، ولد فى حلب، وقام بالتدريس فى دمشق، ومات فى حلب سنة ٥٥١هـ (١١٥٦ م). راجع البغية ص ٣١٠، وحاج خليفة ج ٣ ص ٣١١.

(٨) أبو اليمن بن الحسن الكندى، ولد فى بغداد سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م)، وكان تلميذ ابن الشجرى فى هذه المدينة، ثم عاش بحلب سنة ٥٦٣هـ (١١٦٧ م)، ثم فى دمشق حيث قام بالتدريس، ومات سنة ٦١٣هـ (١٢١٦ م). راجع الإرشاد ج ٤ ص ٢٢٢، والبغية ص ٢٤٩، وابن خلكان ج ١ ص ١٩٦، وحاج خليفة ج ٣ ص ١١٣، والصبح المنبي ج ١ ص ٤٢٤.

شرحه ، فقد كان شرحهم شفهيا ، كما فعل التيمى[١] فى القاهرة ، وقد كان العكبرى من بين سامعيه سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩م)، وابن الحاجب[٢] فى دمشق، وقد جمعت أماليه وكتبت[٣] ، وكذلك صنع تلميذا الكندى : الهذيانى[٤]، وعلى بن عدلان[٥] .

قيام دولة المماليك بسوريا ومصر ، فى الشطر الثانى من القرن السابع (العاشر الميلادى) ، لم يغير شيئا من هذه الحالة ؛ فديوان المتنبي فى الأساط المثقفة بالقاهرة ودمشق ، عُدّ كتابا تقليديا ، وفى الوقت الذى كان فيه العلم الشرقى — وهو على وشك الاحتضار — يتجمع فى دوائر معارف ، وموجزات ، ومختصرات ، قبل أن ينام أربعة قرون — احتملت دراسة المتنبي هذا القدَر الغام ؛ فى حكم السلطان بيبرس جمع محمود الحلبى[٦] مختارات من الديوان[٧] ، وكتب ابن قوبع التونسى[٨] شرحا مختصراً ،

---

(١) أبو محمد عبد المنعم بن صالح التيمى ، ولد بمكة ، ومات في مصر سنة ٦٣٣هـ (١٢٣٥ م) انظر البغية ص ٣١٥ ، والعكبرى جـ ١ ص ٢ ، ١٣ ، ٦٢ ، ٤ ، وبروكلمان جـ ١ ص ٢٨٣ ، ٣٠٧ .

(٢) أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب ، مات في مصر سنة ٦٤٦هـ (١٢٤٩م) .

(٣) مخطوطات فى برلين رقم ٦٦١٣ (انظر أهلواردت) ، انظر بروكلمان جـ١ ص٣٠٥ ، فى الأسفل .

(٤) أبو يوسف الحسن بن إبراهيم الهذيانى ، ولد فى بغداد سنة ٥٦٨هـ (١١٦٢ م)، ومات فى دمشق سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨ م) . انظر البغية ص ٢٣١ .

(٥) أبو الحسن على بن عدلان ، ولد فى العراق سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧ م) ومات فى القاهرة سنة ٦٦٦هـ (١٢٦٧م) . انظر البغية ص٣٤٣ ، والعكبرى جـ٢ ص ٤١١ سطر ٢٣ .

(٦) محمود بن سليمان الحلبى مات سنة ٧٢٥هـ (١٣٢٥ م) . انظر بروكلمان جـ١ ص٢٢٨ و جـ ٢ ص ٤٤ — ٥٥ .

(٧) مخطوطات ببرلين (انظر أهلواردت) رقم ٧٥٧٥ .

(٨) أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن قوبع ، ولد فى تونس سنة ٦٦٤هـ (١٢٦٥م). عاش فى دمشق ، ثم فى القاهرة حيث مات سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٧ م) . انظر البغية ص ٩٧، والزركلى ص ٩٧٦ .

مفقوداً اليوم ، كما أن الفقيه الدمشقى ابن قيم الجوزية [١] فى كتابه : روضة المحبين [٢] ، وأصحاب دوائر المعارف : النويرى [٣] فى كتابه : نهاية الأرب ، وابن فضل الله العمرى [٤] فى كتابه : مسالك الأبصار ، والقلقشندى [٥] فى صبح الأعشى — يعرفون ديوان أبى الطيب جيداً ، وينقلون منه قليلا أو كثيرا ، بصفته نموذجا ، ومرجعاً .

فى خلال القرن التاسع والعاشر الهجرى ، كانت الفوضى التى جاهدت للتخلص منها مصر وسوريا ، غير صالحة للنشاط العقلى ، وكان أى كتاب أيا كان نوعه لا يستطيع الظهور فيها ، ولم يكن استيلاء الترك عليهما إلا ليساعد هذا الانحطاط .

وفى أثناء القرن العاشر الهجرى (الخامس عشر الميلادى) استيقظت الدراسات المتنبية فى مكة ، ذلك الجزء من العالم الإسلامى الذى لم تكن فيه هذه الدراسات — فى الحق — معروفة حتى ذلك الحين ، فقد أهدى باكثير الشافعى [٦] ، أحد الأدباء ، إلى شريف هذه المدينة : محمد بن نمى ، فى سنة ٩١٣ هـ (١٥٢٤ م) دراسة سماها : « تنبيه

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، ولد فى دمشق سنة ٦٩١هـ (١٢٩٢ م)، ومات بها سنة ٧٥١هـ (١٣٥٠ م) . راجع دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢ ص ٤١٦ .

(٢) استشهادات ص ١٠٨ — ١٠٩ ، ٢٩٨ ، ٥٠٦ .

(٣) أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب النويرى ، مات فى مصر سنة ٧٣٢هـ (١٣٣٢ م). راجع بروكلمان جـ ٢ ص ١٣٩ .

(٤) أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمرى ، مات فى دمشق سنة ٧٤٨هـ (١٣٤٧ م) . راجع دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢ ص ٣٩ .

(٥) أبو العباس أحمد بن على القلقشندى مات سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) .

(٦) وجيه الدين عبد الرحمن باكثير الشافعى المكى . راجع بروكلمان جـ ٢ ص ٣٨٠ ، ٦٩١ .

الأديب الغريب ، على ما فى شعر أبى الطيب من الحسن والمعيب »[١] . والكتاب مكون من مقدمة تبين موقف النقد من المتنبى ، ومن قسم أولى يتحدث عن محاسن الديوان ، وقسم ثان يذكر النقائص ، وخلاصة يظهر فيها المؤلف إعجابه بالشاعر الذى تربو فضائله على عيوبه .

ومن المحتمل جداً ، أن الزمزمى [٢] ، فى مكة أيضاً ، أتم سنة ٩٩٣ هـ (١٥٨٥ م) دراسته فى سرقات المتنبى ، وسماها : « تنبيه ذوى الهمم ، على مآخذ أبى الطيب من الشعر والحكم » [٣] .

وأخيراً كتب ، بمكة أيضا ، الشاعر والخطيب ، عبد القادر المكى [٤] ، شرحا موجزا على ديوان المتنبى مسبوقا بمقدمة على الشعر ، وسماه : « الكلم الطيب ، على كلام أبى الطيب » [٥] .

وفى القرن الحادى عشر (السابع عشر الميلادى) ، قام بدراسة المتنبى فى مصر وسوريا مؤلفان : أحدهما البغدادى [٦] ، وقد وقف فى الحقيقة عند حد أنه نقل أول الشرح الذى كرسه لديوان أبى الطيب ، عبد الله الأصفهانى

---

(١) مخطوط فى لينجراد (انظر روزن) رقم ٨٤ ، والأسكوريال (انظر ليفى بروفنسال) رقم ١٧٠٢ ، والقاهرة (انظر فهرس دار الكتب جـ ٣ ص ٦٨) .

(٢) أبو بكر بن عبد العزيز الزمزمى ، ربما يكون ابن الشاعر المكى : عبدالعزيز بن على الزمزمى ، مات سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٦ م) . انظر بروكلمان جـ ٢ ص ٣٧٨ .

(٣) مخطوط بالقاهرة (انظر فهرس دار الكتب جـ ٣ ص ٦٩) .

(٤) عبد القادر بن محمد بن يحيى المكى ، ولد بمكة سنة ٩٧٦ هـ (١٥٧٦ م) ، ومات بتلك المدينة سنة ١٠٣٣ هـ (١٦٢٤ م) . انظر بروكلمان جـ ٣ ص ٣٧٨ .

(٥) مخطوط بالقاهرة . (انظر فهرس دار الكتب جـ ٣ ص ٣٠٥) .

(٦) عبد القادر بن عمر البغدادى ، ولد فى بغداد سنة ١٠٣٠ هـ (١٦٢١ م) ، ودرس فى سوريا والقاهرة ، حيث مات سنة ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢ م) . انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ٤٦ .

منذ سبعة قرون[١] ، وأدمج هذا الجزء فى كتابه : « خزانة الأدب » . وعلى العكس من ذلك المؤلف الثانى البديعى[٢] ، فقد كتب عن حياة أبي الطيب وديوانه كتابا خاصا ، سماه « الصبح المنبي ، عن حيثية المتنبي[٣] » وهو مقسم ثلاثة أقسام : فى القسم الأول (ج ١ ص ٢ — ٦) يبين المؤلف منهج كتابه ، بعد حمد الله بأسلوب فى غاية السحر والامتياز ، وإهداء الكتاب إلى الأمير عبد الرحمن البديعى ؛ والقسم الثانى (ج ١ ص ٦ — ٢٤٥) كرسه لترجمة حياة المتنبي ، وهو يتبع عن قرب حوادث التاريخ ؛ والقسم الثالث (ج ١ ص ٢٤٥ — ٤٧٢ ، و ج ٢ ص ٢ — ٤٥٦) يحوى دراسة أدبية على طريقة النقاد الشرقيين .

كتاب البديعى له كل صفات الكتب ، التى تنحدر من عصور متدهورة وبرغم اتساع معارفنا اليوم ، نجد أن قيمة هذا الكتاب عظيمة[٤] ، وفى الحقيقة أنه إلى جانب الأجزاء التى أخذت من المؤلفات المعروفة كيتيمة الدهر للثعالبي ، والوساطة للجرجانى ، والمثل السائر لابن الأثير ، والإبانة

---

(١) انظر ص ١٩.

(٢) يوسف البديعي شاعر وأديب ؛ عاش في حلب ، ومات سنة ١٠٧٣ هـ (١٦٦٢ م). انظر بروكلمان ج ٢ ص ٢٨٦ .

(٣) طبع طبعة معيبة بالقاهرة على هامش العكبرى ، وطبع مرة أخرى فى القاهرة بمطبعة الاعتماد سنة ١٣٥٠ ، تحت عناية محمد ياسين عرفة ، وروجع على طبعة سنة ١٣٠٨ وعلى مخطوط جديد ، وليست هذه الطبعة بأرقى من الأولى . ومخطوطات باريس رقم ٣١٠٧ و « رباط » رقم ٥٨٤ ، وجوت رقم ٢٢٢٣ ، وبرلين رقم ٥٨١٦ ، ولندن رقم ٥٩٧ تسمح بطبعة لائقة من هذا الكتاب الجليل .

(٤) يظهر أن سلفستردى ساسى في كتابه Anthologie grammaticale كان أول من قدر قيمة كتاب الصبح ، الذى حلله تحليلا موجزا .

للعميدى ، ورسالة ابن شرف ، والكشف لابن عبـــاد ، والمنصف لابن وكيع — نجد فى الكتاب أيضا استشهادات من ينابيع تاريخية مفقودة اليوم ، كخلاصة ياقوت .

يظهر أن هذا الجمع كان آخر نموذج لنشاط العلماء الشرقيين السائرين على مناهج القرون الوسطى . أما كل ما سيظهره النقد فيما بعد فإنه سيكون متأثرا بأوربا ، وبالأفكار الجديدة ، ويستحق دراسة مستقلة .

الفصل الثالث

المتنبي فى المغرب العربى [1]

عرف ديوان المتنبي فىالشرق شهرة سريعة ، حتىفى المقاطعات الشديدة البعد . وبعد موت الشاعر بقليل حدا منالسنوات ، أثار ديوانه فى المغرب العربي كذلك ، إلى جانب بعض الانتقادات ، جوقة من المدح الذى لم يضعف صداه إلى اليوم [2] ؛ فهناك أيضا صادف كتاب أبي الطيب ، فى أوقات مختلفة ، بيئة محبة ؛ لأنها تشبه البيئة التى ولد فيها .

أصبحت القيروان ، عاصمة إفريقية ، مركزا مهما للثقافة ، تحت حكم المعز [3] الخليفة الفاطمى . ومن المحتمل أنيكون هذا الأمير قد سمع بالمتنبي ، عند ما كان بمصر ، وربما فكر فى استقدامه إلى بلاطه ، ليكون شاعرهالرسمى [4]. وعندما نقلالمعزعرش الإمبراطورية إلى مصر سنة٣٦٢هـ

---

(١) هذا الوصف يراد به معناه اللغوى .

(٢) مختصر هذا الفصلكان قدنشر بمجلة الدراسات الإسلامية سنة١٩٢٩م ، الجزءالأول ص ١٢٧ ، وما يليها .

(٣) على هذا الخليفة الذى حكم من سنة ٣٤٢ ـ سنة٣٦٥هـ (٩٥٣ ـ ٩٧٥م) انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ٣ ص ٧٥٤ .

(٤) هذا الفرض يمكن أن يفهم منأن المعزحينما علم بموت شاعره ابن هانىء سنة ٣٦٢هـ (٩٨٣ م)، صاح قائلا : « كنا نود أن نفاخر به شعراء الشرق » انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢ ص٤٠٦ .وروى الصبح المنبي جـ ٢ ص٨٤ وما يليها ـ أنالمتنبي قابل ابن هانىء في القيروان بالمغرب ، ولا ريب فى أن القصة خيالية . (ولد ابن هانىء فى الأندلس نحو سنة ٣٢١هـ (٩٣٣ م) ، ولميأت إلى شمال إفريقية إلا بعد سنة ٣٥٠هـ (٩٦١ م) . ولكنها يمكن أن تكون تفسيرا لقصد الخليفة .

(٩٧٣ م) ، حرص عماله من البربر الذين كانوا يحكمون الولاية باسمه واسم خلفائه ، أن يحفظوا للقيروان أهميتها الفكرية ، وقد وجدت صلات قوية فى ذلك الحين بين القاهرة والقيروان ، ولم يلبث ديوان المتنبي أن عرف بهذا الطريق ، فى الأوساط المثقفة بإفريقية ، وكانت قيمته ، فضلا عن ذلك ، موضع مناقشة ، كما كان الشأن فى الأوساط القاهرية فى ذلك الحين .

فى السنوات الأولى من القرن الخامس (١١ م) ، كتب القزاز [١] اللغوى كتابين على ديوان المتنبي ، عنوان أحدهما : «كتاب ما أخذ على المتنبي» [٢] وهذا الكتاب لم يصل إلينا ، ولكن العنوان يبين بوضوح اتجاهه العدائى .

مثل هذا العالم لا يستطيع ، على ما يظهر ، أن يربى إلا تلاميذ أعداء للمتنبي ، ولكننا مع ذلك لم نجد له تلميذاً معادياً ، وها هو ذا ابن رشيق [٣] أكثرهم شهرة ، يعلن إعجابه العظيم بشاعر سيف الدولة . وذلك أن ابن رشيق لم يكن عالما فحسب ، بل كان شاعراً لبلاط ملئ بعظمة الأمير القيروانى : المعز بن باديس ، فاستطاع ، خيراً من كل إنسان آخر ، أن يقدر شعر المتنبي .

---

(١) أبو عبدالله محمد بن جعفر المعروف بالقزاز ، نحوى لغوى ، مات فى القيروان سنة ٤١٢ هـ (١٠٢١ م) . راجع البغية ص ٢٩ ، والإرشاد جـ ٦ ص ٤٦٨ ـ ٤٧١ ، وابن خلكان جـ ١ ص ٥١٤ ، والصبح جـ ١ ص ٤٢٥ .

(٢) الكتاب الثانى شهد بوجوده كتاب إرشاد الأريب فقط جـ ٦ ص ٤٧١ ، وكان اسمه « أبيات المعانى » .

(٣) أبو على الحسن بن رشيق ، ولد فى مسيلة نحو سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) ، وعاش فى بلاط الزياريين بالقيروان ، ومات فى صقلية نحو سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) . راجع دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢ ص ٤٣٤ .

لم يكرس ابن رشيق لهذا الشاعر دراسة خاصة ، ولكن نراه كثيراً فى كتابه على الشعر العربى ، المسمى : « العمدة ، فى صناعة الشعر ونقده » ينقل نوادر عن أبى الطيب ، ويستشهد بشعره [١] ، ليبين عيوبه [٢] أحيانا ، ولكن فى الأكثر الغالب يكون ذلك لبيان محاسنه ، وعنده أن المتنبى من نوع Malherbe الذى أحدث فى الشعر فتحاً جديداً [٣] ، ولكن لسوء الحظ لم يقتد به ، وقد كتب فى مكانين [٤] : « ويختمون الشعر بأبى الطيب ، وهو خاتمة الشعراء لا محالة » . وهو عظيم لدرجة أن كل معاصريه ، حتى أكثرهم ظهوراً — صغار ، إذا وزنوا به [٥] .

هذا الحكم هو حكم مثقفى القيروان فى ذلك الحين ، فان شاعراً وعالما آخر من هذه المدينة هو الحصرى [٦] قد نقل فى منتخبه [٧] ، الذى جمعه سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٨م) — عدة قطع من أبى الطيب ، خصصت كلها ، لترينا قيمة هذا الشاعر . كما أن ابن شرف [٨] ، أحد تلاميذه ، ارتضى هو أيضاً

---

(١) العمدة ج ١ ص ٢٢ — ٢٣ .

(٢) العمدة ج ١ ص ١٥٧ ، ج ٢ ص ٥١ — ٥٢ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ١٣٣ — ٤ ، وفى مختصر آخر عن السرقات فى الشعر العربى يبين ابن رشيق فى مواضع عدة فساد الاتهامات الموجهة إلى المتنبى . راجع ابن رشيق : قراضة الذهب ص ٢٠، ٢١، ٢٧، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) العمدة ج ١ ص ١٧٤ .

(٤) العمدة ج ١ ص ٥٦ ، ١٦٣ .

(٥) العمدة ج ١ ص ٦٤ من الأسفل .

(٦) أبو إسحق إبراهيم بن على الحصرى ، ولد فى القيروان ، ومات بها سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦١م) . راجع بروكلمان ج ١ ص ٢٦٧ .

(٧) زهر الآداب ج ٣ ص ٥ ، ١٠ ، ١١٩ ، ١٩٢ ، ٢٠٩ و ج ٤ ص ٩، ١٣٥ .

(٨) أبو عبد الله محمد بن أبى سعيد بن أحمد المعروف بابن شرف ، ولد فى القيروان سنة ٣٩٠هـ (٩٩٩ م) ، وعاش فى بلاط نائب الخليفة : المعز بن باديس، ثم سافر إلى صقلية =

فى كتابه : رسالة الانتقاد [1] الرأى الشائع ، إذ قال : «وأما المتنبي فقد شغلت به الألسن ، وسهرت فى أشعاره العيون الأعين ، وكثر الناسخ لشعره ، والآخذ لذكره ، والغائص فى بحره ، والمفتش فى قعره ، عن جمانه ودره ، وقد طال فيه الخلف ، وكثر عنه الكشف ، وله شيعة تغلو فى مدحه ، وعليه خوارج تتعايا فى جرحه ، والذى أقول : إن له حسنات وسيئات ، وحسناته أكثر عدداً ، وأقوى مدداً ، وغرائبه طائرة ، وأمثاله سائرة ، وعلمه فسيح ، وميزه صحيح ، يروم فيقدر ، ويدرى ما يورد ويصدر» .

من المؤكد أن ابن رشيق ، وابن شرف ، وغيرهما من مثقفى بلاط القيروان ، الذين هاجروا إلى صقلية تحت تأثير غارات العرب ، هم الذين جعلوا ديوان المتنبي معروفا فى هذه الجزيرة ، وقد يكون قريبا من الحق أن ابن القطة الذى تحدثنا عنه [2] قد عرف ديوان المتنبي فى وطنه ، قبل أن يدرسه تحت إشراف الأساتذة المصريين ، ومن المؤكد ، على كل حال، أن هجرة العلماء الإفريقيين إلى الأندلس ، بعد أن قضوا بعض الوقت فى صقلية كابن شرف ، ساعدت إلى حد ما على نشر دراسة المتنبي فى البلاطات الأندلسية .

ومع ذلك ، لم ينتظر ديوان أبي الطيب ، وصول بعض العلماء الصقليين ،

= ثم إلى الأندلس ، حيث مات فى إشبيلية سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) . انظر حسنى عبد الوهاب فى « رسائل البلغاء » ص ٢٣٣ — ٢٤٠ ، وبروكلمان جـ ١ ص ٢٦٨ .

(١) التى جمعها محمد كرد على ضمن رسائل البلغاء ص ٢٥١ ، انظر جبرييلى Studi ص ٣٦ .

(٢) انظر ص ٣٣ . والصبح جـ ١ ص ٤٢٦ يذكر أحد الصقليين باسم أبى الحسن عبد الرحمن ، مؤلفا لدراسه عن المتنبي ، فربما يكون من الواجب أن نضم هذه الشخصيه فى ذلك التاريخ .

ليكون معروفا فى الأندلس العربية [١] لأنه منذ وقت طويل ، قد صادف فى قرطبة ، بوجه خاص، تربة صالحة لانتشاره ؛ إذ أن عاصمة خلفاء المغرب صارت مركزاً لحضارة تشبه حضارة بغداد ، وهى فى أوج عظمتها .

فابن الأشج [٢] ، أحد التجار المغاربة ، قابل بالفسطاط ، فى أثناء رحلته بالمشرق ، أبا الطيب المتنبي ، حينما كان شاعر كافور ، وسمع منه شرحه لبعض القصائد ، التى تركت فى نفسه أثراً عميقا ، فما عاد إلى قرطبة حتى أخذ يشرح للجمهور ما حمله من ديوان شاعره المحبوب .

وفى الوقت نفسه عاد إلى وطنه أندلسى آخر هو ابن العريف [٣] ، بعد أن أقام عدة سنوات فى مصر عرف فيها قصائد أبى الطيب . ولكن هل نقلها كلها إلى الأندلس ؟ نشك فى ذلك ؛ فإن القصائد المتأخرة فى التاريخ ، ولا سيما هذه التى مدح بها عضد الدولة ، لم تكن قد وصلت إلى مصر عند

---

(١) هذه الكلمة يجب أن تفهم بمعناها اللغوى .

(٢) زكريا بن بكر الغسانى الملقب بابن الأشج (أو الأشح كما يروى بعضهم) ولد فى تاهرت سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢م) ، وذهب إلى الأندلس سنة ٣٢٦ هـ (٩٣٧م) ، حيث درس الفقه، وجاء إلى مصر حول سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) ، للتجارة، ثم عاد إلى الأندلس فى تاريخ غير معروف ، وظل فى التعليم إلى أن مات سنة ٣٩٣ هـ (١٠٠٢ م) . راجع الضبى فى كتابه « بغية الملتمس ، فى تاريخ رجال الأندلس » ، وابن الفرضى فى كتابه : « تاريخ علماء الأندلس » . وأبو بكر بن خير ص ٤٠٣ يذكر أيضاً ثلاثة تلاميذ للشاعر فى مصر ، هم أبو بكر الطائى ، وإبراهيم المغربى ، ومحمد بن أحمد بن قادم ، الذين شرحوا الديوان . والمقرى جـ ١ ص ٦٠٧ يذكر أيضاً تلميذاً أندلسياً آخر ، اسمه : « ابن المستكفى » (هكذا) وليس لدينا معلومات عنه . ولكن تاج العروس جـ ٤ ص ٩٩ يذكر لأبى الطيب صديقاً اسمه المستكفى .

(٣) أبو القاسم الحسين بن الوليد ، المعروف بابن العريف ، نحوى أديب ، ولد فى قرطبة وسافر إلى مصر ، ثم عاد ليقيم فى مسقط رأسه ، ومات فى أثناء غارة على إقليم طليطلة سنة ٣٩٠ هـ (٩٩٩ م) . وابن العريف درس ديوان المتنبى على تلميذى الشاعر فى مصر : أبى بكر الطائى ، وإبراهيم المغربى . راجع أبا بكر بن خير ص ٤٠٣ .

ما رحل منها ابن العريف ، وقد أخذ يعرف بالمتنبي ، شأنه فى ذلك شأن ابن الأشج ، بل بصورة أقوى منه ، لأن ابن العريف كان شاعراً فى عصره ، ولقد كان يستطيع عند موته سنة ٣٩٠هـ (٩٩٩ م) أن يفخر بأنه نجح ، فإن اسم شاعر سيف الدولة ، قد أصبح على كل لسان ، وصار مرادفا « للشاعر العظيم »[١] ، كما أن بعض العلماء والفقهاء ، مثل ابن الفرضى[٢] ، ومنذر بن سعيد[٣] تلميذى ابن الأشج — أخذ يدرسه بعناية .

لم يكن انقسام الخلافة الأموية فى أوائل القرن الخامس الهجرى (١١م) ليوقف النشاط العقلى ، بل على العكس ، ساعد على هذا النشاط عدم التركز ، فالولايات قد تكونت فى كل مكان ، وفى بلاط هذه الإمارات ، كانت تقاليد الخلافة الأموية البائدة تنقل بصورة تطابق الأصل غالبا ، فكثر رجال القلم بالقرب من بنى عباد[٤] فى إشبيلية . وبنى الأفطس[٥] فى بطليوس ، والزيارية[٦] فى غرناطة ، وذى النون[٧] فى طليطلة ، وكثير غيرهم من صغار الأمراء ، وكان الإنتاج الشعرى مبكرا وكثيرا ، وكانت الأنواع الرسمية ، بالطبيعة ، مرغوبا فيها ، وإذاً فمن المستحيل أن نتخيل تربة أفضل من تلك ، ينتشر فيها ديوان المتنبي ، فكل هؤلاء الذين يتظرفون أو يعنون

---

(١) الضبي ص ١٥٠ سطر ١٥ ، والمقرى جـ ٢ ص ١٣٢ ، ٢٦٢ .

(٢) أبو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضى ، ولد فى قرطبة سنة ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) ،ومات بهذه المدينة سنة ٤٠٣هـ (١٠١٣ م) . انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢ ص ٣٩٨ .

(٣) مات بقرطبة سنة ٤١٢هـ (١٠٢١ م). انظر ابن الأبار جـ١ (مكرر) ص ٣٨٨ .

(٤) على هذه الأسرة انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ٧ .

(٥) » » » » » » » جـ ١ ص ١٨٢.

(٦) » » » » » » » فى مقال (باديس) و جـ ٤ ص ١٣٠٠ .

(٧) على هذه الأسرة انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ٩٩٠ .

بالثقافة العقلية يعرفونه ، كما كان عظيم الانتشار فى الأوساط المثقفة بقرطبة وإشبيلية. وقد درس الشاعر ابن زيدون [١] ، ديوان المتنبى دراسة عميقة ، واستشهد ببعض شعره فى رسالته المشهورة ، التى وجهها إلى عدوه ابن عبدوس [٢] . والأمير المعتمد بن عباد [٣] يستشهد به ، أو يحلله بحماسة [٤] . وأخيراً نرى السكرى [٥] ، ذا التآليف المتعددة المواد ، يحتج بأبى الطيب فى قاموسه الجغرافى ، ليحدد ويحصر بعض الأماكن الشرقية ، حين يدرس تاريخها ، وأصل اسمها [٦] .

ذيوع ديوان المتنبى فى الأوساط المثقفة بالأندلس ، يجعلنا نفترض أنه منذ العصر الذى بدأ فيه ابن الأشج وابن العريف شرحهما ، قد أخذ عدد العلماء الذين عنوا بدراسته يزيد زيادة كبيرة .

ويظهر أن أبا الفتوح الجرجانى [٧] ، أحد علماء المشارقة قد لعب دوراً

---

(١) ولد فى قرطبة سنة ٣٩٤هـ (١٠٠٣م)، ومات فى إشبيلية سنة ٤٦٣هـ (١٠٦٧ م). راجع دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢ ص ٤٥٥ .

(٢) انظر ابن نباته فى سرح العيون فى شرح قصيدة ابن زيدون ، والديوان (طبعة كامل كيلانى) ص ٣٢٤ .

(٣) حكم مقاطعة إشبيلية وقرطبة من سنة ٤٦٢ ــ ٤٧٤ هـ (١٠٦٩ ــ ١٠٩١ م) . راجع دائرة المعارف الإسلامية جـ ٣ ص ٨٣٢

(٤) راجع ابن خلكان جـ ١ ص ٣٨ ، والصبح جـ ١ ص ٥٠ ، والمقرى فى نفح الطيب جـ ٢ ص ٦١١ .

(٥) مات فى قرطبة سنة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م). راجع دائرة المعارف الإسلامية جـ١ص٦١٩.

(٦) انظر معجم ما استعجم ، وبخاصة مادة نحلة والنقاب .

(٧) أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجانى، ولد بولاية جرجان فى جنوب بلاد فارس سنة ٣٥٠هـ (٩٦١ م)، ودرس ديوان المتنبى بأستراباد نحو سنة ٣٩١هـ (١٠٠٠ م) وبعدئذ بالبصرة وبغداد ، ثم أقام بغرناطة سنة ٤٠٦هـ (١٠١٥ م) وكرس نفسه للتعليم ، ثم عاقبه بالقتل الأمير البربرى باديس سنة ٤٣١هـ (١٠٣٩ م). انظر ابن بشكوال رقم ٢٨٦، والإرشاد جـ ٥ =

هاما فى ذلك ، فهو قد أقام سنة ٤٠٦هـ (١٠١٥م) فى بلاط « باديس » أمير غرناطة ؛ وبصفته تلميـــذ الربعى ، وابن جنى ، وعلى البصرى ، نقل إلى الأندلس قصائد المتنبى التى جمعتها المدرسة العراقية .

وكان غير المسلمين ، من المثقفين ثقافة عربيـة ، معجبين أيضا بديوان أبى الطيب ، فالفلاسفة اليهود فى القرن الخامس الهجرى (١١ م) كسليمان ابن جبريل ، ويهودا هاليفى ، ويحيا بن بقوده ، استشهدوا ببعض شعر الحـكمة لهذا الشاعر [١] .

فى هذا الوقت أيضا ، الف للمرة الأولى فى الأندلس شرح مكتوب ، ويرجع الفضل فى هذا إلى ابن الإفليلى [٢] النحوى ، أحد تلاميذ ابن العريف ، ويبدو أن هذه الشخصية كانت مؤهلة لتقوم بهذا العمل خير قيام ، فهو عالم فى كل فروع الأدب ، ويستطيع أن يقدر شعر البلاط ، وفضلا عن ذلك يؤمن بآراء دينية حرة نوعا ما ، لا يصطدم معها بعدم الاكتراث الدينى من المتنبى . وقد وصل إلينا كتاب ابن الإفليلى ، ولـكنه ظل إلى اليوم غير مطبوع [٣] ، وهو يخالف مخالفة تامة شرح ابن جنى والواحدى ، وغيرهما

= ص ٢٠٣ ، والبغية ص ٢١٠ ، وابن الخطيب فى الإحاطة ج ١ ص ٢٨٥ — ٨ وأبا بكر ابن خير ص ٤٠٤ .

(١) انظر يحيا بن بقوده ص ١١٢ وما يليها . الملحوظة الثالثة .

(٢) أبو القاسم إبراهيم بن محمد المعروف بابن الإفليلى ، ولد فى قرطبة سنة ٣٥٢هـ (٩٦٣م)، ومات فى هذه المدينة سنة ٤٤١هـ (١٠٤٩م) . راجع ابن خلـكان ج ١ ص ١٢ ، والبغية ص ٣٤ ، ١٨٦ ، وإرشاد الأريب ج ١ ص ٣١٦ — ٣١٨ ، والضبى رقم ٤٨٥ ، وابن بشكوال رقم ١٩٥ ، وأبا بكر بن خير ص ٤٠٣ — ٤٠٤ .

(٣) يظهر أن القسم الأول منه فى برلين (انظر أهلواردت) مخطوطات رقم ٧٥٦٩ ، والقسم الثانى فى «رباط» (انظر ليفى بروفنسال) مخطوطات رقم ٣٢٤ ورقم ١١٢٨ . وأحد مخطوطات القرن السادس عشر يحوى كل القطع التى قيلت فى سيف الدولة .

من شراح العصور الأولى ، ومنهجه أنه يأتي بمقدمة مهمة غالبا ، يبين فيها الظروف التي أوحت بكل قصيدة ، ثم يذكر القصيدة، متبعا كل بيت بشرح جاف ، ويندر أن يكوّن المؤلف رأيا عن جمال الأسلوب ، ثم هو لا يذكر المباحث النحوية واللغوية والأدبية ، التي اعتدناها لدى الشراح الشرقيين . ومن العجب أن هذا الكتاب مع نقائصه نال بعض الشهرة (١) خارج المغرب ، وهو على كل حال قد شجع علماء الأندلس على أن يؤلفوا عن المتنبي .

فالأعلم الشنتمرى (٢) أحد تلاميذ ابن الإفليلي ، ساعد أستاذه فى شرحه (٣) ، ووضع أيضا على ديوان المتنبي دراسة نالت شهرة كبيرة فى عصره ، غير أنها الآن مفقودة (٤) .

وحول هذا الوقت كتب اللغوى الأندلسى ابن سيده (٥) شرحا لا يزال غير مطبوع (٦) ، وقد عنونه بما يدل على موضوع الكتاب ، وهو « شرح مشكل أبي الطيب » . وأخيراً ينسبون خطأ — إلى عالم بطليوس : السيد البطليوسى (٧) ، كتابا من النوع نفسه .

---

(١) ابن خلكان ج ١ ص ١٢ ، والعكبرى ج ١ ص ٢ فى الأسفل .

(٢) أبو الحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم ، ولد سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) فى شنتمرية ، وأقام فى قرطبة سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م). انظر دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٢٥٢ .

(٣) راجع ابن خلكان ج ٢ ص ٣٥٣ سطر ١٩ .

(٤) شهد بوجود هذا الكتاب المقرى ج ٢ ص ١٢٤ . والصبح يذكره حينا بدون عنوان ، ج ١ ص ٤٢٣ ، وحينا بعنوان معمى هو (قصائد الصبا ؟) ج ١ ص ٤٢٦ .

(٥) أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده ، ولد في مرسية ، ومات فى دانية سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) انظر دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٤٤٤ .

(٦) انظر حاج خليفة ج ٣ ص ٣١٠ ، وهو مخطوط بالقاهرة . راجع فهرس دار الكتب ج ٣ ص ٢١٨ حرف ب ، ومنه استشهادات فى الخزانة ج ١ ص ٣٨١ .

(٧) أبو محمد عبدالله بن محمد المعروف بالسيد البطليوسى، مات سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) ، =

كان استيلاء المرابطين ، القادمين من المغرب الأقصى ، على الأندلس ، موقفا، بطبيعة الحال، الشهرة التى تمتع بها ديوان أبى الطيب ، فقد حملوا معهم تعصبا ضد كل ما هو غير دينى ، ولكن ذلك لم يستمر إلا بضع سنين . فمنذ سقوط هذه الأسرة استرجع الديوان كل نفوذه ، لدى المثقفين الأندلسيين . وفى الربع الثانى من القرن السادس (١٢ م) شرح الديوان شفهيا كثير من علماء إشبيلية وقرطبة ، ولا سيما ابن أبى الخصال [1] ، وفى هذا الوقت أيضا عرفه معرفة عميقة ابن بسام [2] الجامع للشعر ، ويذكر ديوانه كشعر تقليدى [3] .

نتج من وصول الموحدين إلى السلطة فى المغرب الأقصى وإسبانيا إعادة نفوذهم الرسمى — إذا استطعنا قول ذلك — إلى الدراسات المتنبية ، التى أخذت ، فضلا عن ذلك ، تتغلغل فى الأوساط المثقفة فى مراكش ، حيث لم يكن لها ما يمثلها إلى هذا الحين على ما يظهر ، وكان مؤسس الأسرة المالكة « ابن تومارت » [4] برغم قسوة عظاته الدينية ، يضمر للمتنبى شديد

= وابن خلكان يذكر هذا الشرح جـ١ ص ٢٦٥ . وابن بشكوال جـ١ ص٢٨٧ رقم٦٣٩ ، لا يتحدث عنه ، ولكنه يذكر العنوان شرحا لديوان أبى العلاء المعرى ، ومن هنا هذا الاضطراب .

(١) أبو عبد الله محمد بن أبى الخصال الغافقى ، ولد بالقرب من سقوره ، وعاش فى غرناطة ، وشغل مناصب عالية فى قرطبة حيث مات سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٦م) . راجع بروكلمان جـ ١ ص ٣٦٨ .

(٢) أبو الحسن على بن بسام ، أقام فى قرطبة سنة ٤٩٤هـ (١١٠٠م) ، ومات سنة ٥٤٢هـ (١١٤٧ م). انظر بروكلمان جـ١ ص ٣٣٩ .

(٣) راجع الذخيرة ورقة ١٧ أ . وفى الصبح جـ١ ص٢٥٤ استشهاد آخر يتعلق بالمتنبى منقول عن هذا الكتاب .

(٤) راجع السلاوى فى كتابه : الاستقصا ، فى أخبار دول المغرب الأقصى ، جـ١ ص١٢ ، عن ابن تومارت ، وقد مات سنة ٥٣٤ هـ (١١٣٠ م) . انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢ ص ٤٥١ .

الإعجاب ، ثم إلى أى مدى من الشهرة يجب أن نتوقع للمتنبى ، عندما نسى خلفاء عبد المؤمن [١] عقائد سيدهم ، وصاروا أمراء يعنون بسلطانهم أكثر من عنايتهم برسالتهم مصلحين دينيين ؟ وقد صار اسم المتنبى تحت حكمهم ، أكثر من كل وقت مضى ، مرادفا للشاعر العبقرى [٢] ، وفى بلاط الخلفاء كان المثقفون يستشهدون بديوانه بحماسة [٣] . وبعض علماء الدين يحفظون قصائده عن ظهر قلب ، ويدرسونها لأبنائهم [٤] . والعالم أبو بكر ابن خير [٥] شرح له الديوان أربعة أساتذة مختلفون [٦] . وقد عرفه

(١) حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٢٤ ـ سنة ٥٥٨ هـ (١١٣٠ـ١١٦٣ م) . راجع الاستقصا ودائرة المعارف .

(٢) المراكشى فى كتابه : «المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب» ص ٩٤ ـ ٩٥ .

(٣) المراكشى ص ٢٥١ وما يليها .

(٤) المراكشى ص ٢٥١ وما يليها .

(٥) أبو بكر محمد بن خير ، ولد فى إشبيلية سنة ٥٠٢ هـ (١١٠٨م) ، ومات فى قرطبة سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩م) . انظر بروكلمان ج ١ ص ٤٩٩.

(٦) ربما يكون من المفيد أن ننقل هنا سلسلة الأساتذة المتتابعين الذين شرحوا ديوان المتنبى حتى أبى بكر بن خير .

أبو الفتوح الجرجانى — انظر ص ٤٧ | ابن العريف — انظر ص ٤٥

هشام بن المصحفى — مات سنة ٤٨١ هـ (١٠٨٨م) | ابن الإفليلى — انظر ص ٤٨

محمد بن عبد الرحمن | المعز بن محمد بن بقونة — مات سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) | الأعلم — انظر ص ٤٩ | عبد الملك بن سراج — مات سنة ٤٨٩ هـ (١٠٩٥ م)

محمد بن أبى الخصال — انظر ص ٥٠ | محمد بن عبد الغنى بن عمر — مات سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) | جعفر بن محمد بن مكى — مات سنة ٥٣٥ هـ (١١٤٠ م)

أبو بكر بن خير

على هذه السلسلة من الأساتذة ، انظر أبا بكر بن خير ص ٤٠٣ وما يليها .

الفيلسوف ابن رشد [١] معرفة كاملة [٢] ، ونادى القاضي الشقندى [٣] بالمتنبى أميراً للشعراء فى رسالة مشهورة [٤] ، وبرغم هذا الصيت ، لم تكرس إلى هذا الحين أية دراسة جديدة فى شبه الجزيرة ، على شاعر سيف الدولة ، ويجب أن نذهب إلى المغرب لنرى الجزولى [٥] النحوى يختصر شرح ابن جنى ، تابعاً فى ذلك عادة عزيزة لدى بنى وطنه ، وليس من الممكن أن نعرف ما أخذه الجزولى من سلفه [٦] ، لأن كتابه مفقود اليوم .

لم تر الأزمان التى تلت سقوط الموحدين ، أى كتاب جديد عن ديوان أبى الطيب ، لا فى المغرب ، ولا فى إسبانيا ؛ فهل كان ذلك لضعف نفوذه ؟ لا يظهر ذلك ؛ فتحت حكم بنى مرين وبنى نصر بغرناطة ، كان شعر البلاط فى الحقيقة مستساغا جداً لدى الذوق ، لدرجة أن نجد الشاعر الذى يمثله لا يناله خسوف ، ومن المستحيل ، بوجه خاص ، أن ابن الخطيب [٧] مثلا لم يتأثر بشاعر كالمتنبى [٨] . ولكن فى النصف الثانى من

---

(١) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، ولد فى قرطبة سنة ٥٢٠هـ (١١٢٦ م) ، ومات فى مراكش سنة ٥٩٥هـ (١١٩٨ م) . راجع دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢ ص ٤٣٥ .

(٢) ابن الأبار فى كتابه : «التكملة لكتاب الصلة» ص ٢٦٩ .

(٣) أبو الوليد إسماعيل بن محمد ، ولد فى شقنده من ضواحى قرطبة ، مات سنة ٦٢٩هـ (١٢٣١ ــ ١٢٣٢ م) . راجع دائرة المعارف الإسلامية جـ ٤ ص ٣٠١ .

(٤) مذكورة فى المقرى جـ١ ص١٣٢ .

(٥) أبو موسى عيسى بن عبد العزيز ، نحوى ، أصله من قبيلة بربرية من جزولة ، فى جنوب مراكش ، قام برحلة فى المشرق ، وأقام بالقاهرة ، ثم عاد إلى الأندلس ، وأقام بمراكش ، ومات فى هكونه نحو سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) . راجع دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ١٠٦١ ، وابن خلكان جـ ١ ص ٣٩٤ ، والبغية ص ٣٦٩ .

(٦) شهد بوجود الكتاب مؤرخو الجزولى . راجع دائرة المعارف الإسلامية ، ومصادرها .

(٧) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المشهور بلسان الدين بن الخطيب ، مؤلف فى مواد شتى ، وأديب ، وشاعر ، ولد فى قرية «لوشه» بالقرب من غرناطة سنة ٧١٣هـ (١٣١٣م) ، ومات بفاس سنة ٧٧٦ هـ (١٣٦٤ م) . راجع دائرة المعارف الاسلامية جـ ٢ ص ٤٢١ .

(٨) المقرى (طبعة بولاق) جـ ٤ ص ٤٢٧ ــ ٤٣١ ، يذكر قصيدة مدح لابن =

القرن الثامن (١٤ م) ، تحت تأثير نوبة من التقوى والزهد التي شملت إسلام أهل المغرب ، نظر كثير من الفقهاء إلى ديوان المتنبي نظرة كراهية ، لأنه قلما يعنى بالتقاليد ، بينما هو دنيوى ، وكان صدى هذا الاتجاه المؤرخ ابن خلدون [١] حين كتب : « وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا فى هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعرى ليس من الشعر فى شيء ؛ لأنهما لم يجريا على أساليب العرب [٢] » . ولنسرع بأن نقول : إن ابن خلدون ، برغم احترامه لأساتذته ، لم يرتض أبداً هذا الحكم [٣] ، فهو يعيب المتنبي فقط ، كما يعيب كل نظرائه « بأنهم جعلوا غرض الشعر فى الغالب إنما هو الكذب والاستجداء » . [٤]

سقوط بنى نصر بغرناطة سنة ٤٩٢هـ ، وقيام الترك فى تونس والجزائر فى القرن السادس عشر . حصرا نهائياً دراسة المتنبي فى مراكش ، ففى آخر القرن كان بلاط السعديين بمراكش وسطا دنيويا ملائما لديوان أبي الطيب ،

= الخطيب يمكن أن تكون مأخوذة من القطعة رقم ٤٠ ، لأن لها نفس الوزن والقافية .

(١) أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون ، ولد فى تونس سنة ٧٣٣هـ (١٣٣٢ م) ، وجاء إلى مصر سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٢ م) ، ومات بالقاهرة سنة ٨١٨هـ (١٤٠٦ م) . راجع المقرى ج ٢ ص ٤١٨ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٥ (طبعة عبد الرحمن محمد) ، وقد ترجم هذا الفصل دى ساسى فى كتابه . Anthol. gramm ص ٤٣١ ، ودى سلان ج٣ ص ٣٧٥ ، وجولد زيهر ج١ ص ١٧٠ . وجبرى فى كتابه « المتنبي » ص ١٠٨ يذكر سببا معقولا لكراهية أساتذة ابن خلدون للمتنبي ، هو أنه استعار لغة رجال اللاهوت والفلاسفة ، تلك اللغة التى تختص بالنثر .

(٣) لم يزد ابن خلدون على أن ذكر رأي أساتذته ، وهاك فضلا عن ذلك حد الشعر عنده : « الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجارى على أساليب العرب المخصوصة به » . راجع مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٥ (ويرى أن البدء كله يقدر ديوان المتنبي ، وأنه إلى آخر لحظة لم يفه ابن خلدون بشيء ضد المتنبي).

(٤) المقدمة ص ٥٣٢ . نحو الأسفل .

فهذا الفشتالى [١] الشاعر ، أحد أعوان السلطان المنصور [٢] ، يكرس له كتاباسماه: «مقدمة لترتيب ديوان المتنبي»[٣]، وليس لدينا الآن هذا الكتاب، ولكن وجوده فى زمن عرَف فيه الشعر الرسمى فى مراكش شهرة يعسر تصورها ، لا يدع مجالا للشك فى الرعاية التى تمتع بها المتنبى عند المثقفين أو المتظرفين .

يظهر أنه بعد عبدالعزيز الفشتالى ، لم يكتب شىء فى مراكش على شاعر الكوفة ، ومع ذلك استمرت دراسته، لأنه صار من الشعراء التقليديين ؛ ففى القرن السابع عشر، حفظه الشيخ عبدالقادرالفاسى[٤] عن ظهر قلب، مثله مثل الشعراء الجاهليين ، والفقيه أبو على اليوسى[٥] كان يستطيع ، كما يقال ، أن يروى من ذاكرته كل الديوان ، والمؤرخ السلاوى الناصرى [٦] درس ديوان المتنبى باعتناء تام جداً . وإعجاب هؤلاء الأشخاص المعتدلين الذين يحتقرون الأدب الضعيف ، يكفى لأن يمثل لنا مكانة شاعر سيف الدولة فى نظر المثقفين الظرفاء .

---

(١) أبو محمد عبد العزيز محمد الفشتالى ولد سنة ٩٥٦ هـ (١٥٤٩ م)، ومات سنة ١٠٣١ هـ (١٦٢١ ــ ٢٢ م) . راجع ليفى بروفنسال ص ٩٢ ــ ٩٧ .

(٢) حكم مراكش من سنة ٩٨٦ ــ سنة ١٠١٢ هـ (١٥٧٨ ــ ١٦٠٢ م) .

(٣) راجع ليفى بروفنسال ص ٩٧ ملحوظة ٢ . وأول الكتاب منقول فى منتقى المقصور، لابن القاضي (مات بفاس سنة ١٠٢٥ هـ (١٦١٦ م) .

(٤) مات بفاس سنة ١٠٩١ هـ (١٦٨٠ م) . راجع ليفى بروفنسال ، وابن شنب فى كتابه على إجازة الشيخ عبد القادر الفاسى ص ٢٩ .

(٥) راجع ليفى بروفنسال ص ٢٧٠ . اليوسى مات سنة ١١٠٢ هـ (١٦٩١ م) . هذا العالم يذكر المتنبي غالبا فى منتخبه المسمى : زهر الأكم فى الأمثال والحكم .

(٦) أبو العباس أحمد بن خالد السلاوى ، المعروف فى مراكش باسم الناصرى ، ولد فى سلا سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٥ م) ، ومات فى هذه المدينة سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧م). راجع ليفي بروفنسال ص ٣٥٠ وما يليها ، هذا ويجب ألا ندهش من رؤية هؤلاء المثقفين مذكورين مختلطين بمثقفى القرون الوسطى ؛ لأن العصر الحديث لمراكش يبدأ نحو سنة ١٩٠٠ م .

فى العصر الحاضر أخذ الشرق العربى منذ عدة سنوات ، يوجه دراسة المتنبى إلى طريق جديد ، تحت تأثير النقد الأوربى ، فالمحدثون يجدون فى كل الكتب التى كرسها العلماء فى القرون الوسطى ، على المتنبى ، نقائص من اللائق إصلاحها حقا . أهذه النقائص تتعلق بالشروح ؟ إن أفضلها كشرح الواحدى ، ليس سهل الاستعمال ، لأنه غالبا محمل باستطرادات ، لا علاقة بينها وبين الموضوع ، ثم هو متعصب فى بعض تقديراته ، لا يهتم إلا بما يتعلق بالشرح الحرفى للنص . هل فحصت ترجمات حياته ؟! إنها تكويم لنصوص مبتورة ، وقصص ينقصها تسلسل الحوادث ، وحكايات متناقضة ، أو غير دقيقة ، وشهادات مرتاب فيها . هل وضعت دراسات من نوع أدبى صرف ؟ هنا يظهر بصورة أوضح قلة غناء دراسات القرون الوسطى ، فإذا وضعنا كتاب الوساطة لأبى الحسن الجرجانى جانبا ، فماذا يستطيع عربى معاصر أن يستخلصه من مصنفات ابن عباد أو العميدى ؟! هذه الطعون التى ينظر فيها إلى الرجل من خلال الشعر ، والانتقادات الجزئية التى تعنى ببيت أو بكلمة ، والتقويمات الشخصية ، وهذا الجنون برؤية السرقة فى كل مكان ؟ ماذا يستطيع محدث أن يستخلص منها ما يوافقه ، ويرضى حاجته من الوضوح ؟

فى الحقيقة إن عملا كاملا بقى ليحقق ، وذلك قد كاف من جهة علماء العرب فى نهاية القرن التاسع عشر أن يذيعوا بكل الوسائل التى وضعتها الحضارة تحت تصرفهم ديوان شاعر عظيم ، ومن ناحية أخرى يجب بمساعدة المواد النادرة ، والمتفرقة ، والتى نقلتها إلينا القرون الوسطى ، أن يرسم العلماء حياة هذا الشاعر ، وأن يبينوا نظام تفكيره ، وأن يستقصوا مميزات فنه ، وأن يبحثوا الأسباب التى دعت إلى الإعجاب به .

إلى أى مدى استطاع النقد الحديث المعاصر أن يحقق من ذلك كله ؟ هذا ما سنحاول أن نراه .

الفصل الرابع

ديوان المتنبي والعالم العربي الحديث

دخول الطباعة فى العالم الإسلامى ، فى أول القرن التاسع عشر ، أذاع ديوان المتنبي .

كان ذلك فى كلكته بالهند عام ١٢٣٠ھ (١٨١٤م) ، حيث لعبت المطبعة للمرة الأولى دوراً فى حظ ديوان أبى الطيب [١] . ومن هذا الوقت أخذت الطبعات تكثر فى هوجلى (Hougli) سنة ١٢٥٦ھ (١٨٤٠م) [٢] ، وفى ديوباند [٣] (diüband) ، وكلكته سنة ١٢٥٧ھ (١٨٤٠م) وسنة ١٢٦١ھ (١٨٤٥م) مع حواش [٤] بالفارسية ، وسنة ١٢٦١ ھ (١٨٤٥م) مرة أخرى مع شرح العكبرى [٥] ، وسنة ١٢٨٣ھ (١٨٦٦م) وسنة ١٣٠٢ھ (١٨٨٤م) مع شرح مأخوذ من الواحدى والعكبرى [٦] ، وفى بمباى سنة ١٢٧١ ھ (١٨٥٤م) مع

---

(١) طبعه أحمد الشروانى فى مجلد واحد ، فى ١٠٢ صفحة ، ولا يعثر عليه اليوم . راجع بروكلمان ج ١ ص ٨٨ ، وسركيس ص ١٦١٦ (وذكر خطأً سنة ١٣٢٠) ، وراجكوتى ، فى مقدمة الزيادات . وسلفستر دى ساسى فى المنتخبات العربية (الطبعة الثانية ج ٣ ص ٤٤ ــ ٤٥ ، ٦٠) انتفع بالطبعة الأولى من الديوان فى مواضع شتى .

(٢) طبعه عبد الله وصيحان خان في مجلدين في ٣٩٠ صفحة . انظر سركيس ص ١٦١٦ .

(٣) منه نسخة بالقاهرة (راجع فهرس دار الكتب ج ٣ ص ١٤٦ ب بدون تاريخ).

(٤) تعليقات من محبى . والديوان فى ٦٦٤ صفحة . انظر سركيس وراجكوتى .

(٥) طبعه بديرناوى فى ٨٥٦ صفحة . انظر سركيس ص ٢٩٥ ، ١٦١٦ .

(٦) طبعات أثبت وجودها فؤاد أفرام البستانى فى المشرق سنة ١٩٢٧ م ص ٩٠٢ .

ترجمة مأخوذة من ابن خلكان وشرح[١] الواحدى ، وكذلك سنة ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م)[٢] ، وسنة ١٣١٠هـ (١٨٩٢م)[٣] .

ظلت مصر نصف قرن قبل أن تحذو حذو الهند ، ففى سنة ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦م) ظهر فى القاهرة نص ديوان المتنبي ، وعلى هامشه تعليقات مأخوذة من الواحدى والعكبرى[٤] . ومنذ هذا الحين أخذت الطبعات تتوالى فى مصر أيضاً بصورة لا تنقطع، فى بولاق سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م) مع الشرح الكامل للعكبرى[٥]، وفى القاهرة سنة ١٣٠٢هـ (١٨٨٤م) مع شرح العكبرى والواحدى بالهامش[٦] ، وفى سنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠م) مع شرح العكبرى ، وفى الهامش الصبح المنبي للبديعى ، وفى سنة ١٣١٠هـ (١٨٩٠م) النص وحده[٧] ، وأخيراً فى سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧م) .

نشر ديوان أبى الطيب بالمطبعة ، نتج منه تغلغل هذا الديوان فى كل أقطار العالم الإسلامى ، ففى شمال إفريقية ، يستشهد به فى مناسبات كثيرة المثقفون ثقافة قديمة ، وبوجه خاص المراكشيون والتونسيون . والجيل الحديث منهم ، تحت مؤثرات شرقية ، يظهر أنه أيضاً — بروح تخالف روح

---

(١) طبعه عبد الحسين حسام الدين طبعة حجر فى ٣٥٨ صفحة . راجع سركيس ص ١٦١٦ .

(٢) طبعه المولى جلال الدين طبعة حجر فى ٢٩٦ صفحة . انظر سركيس .

(٣) طبع مرة ثانية طبعة مختصرة من السابقة فى ٢٥٤ صفحة . راجع بروكلمان ج ١ ص ٨٨ .

(٤) راجع النص محمود منقارى الفرضى ، وذكر خلاصة من الواحدى والعكبرى عمر الرافعى ، والديوان مطبوع على الحجر فى ٢٩٢ صفحة . وبعض النسخ بالقاهرة ، (فهرس دار الكتب ج ٣ ص ١٤٦ حرف أ) . وفى « رباط » .

(٥) في مجلدين يندر وجودها . انظر سركيس ص ٢٩٦ ، ١٦١٦ .

(٦) بمطبعة أبى زيد على الحجر فى ٢٥٦ صفحة . سركيس ص ١٤١٧ .

(٧) بمطبعة أمين هندية ، ومنه نسخة بالقاهرة ، (فهرس دار الكتب ج٣ ص١٤٦ ب) .

آبائه – رأى واجباً عليه أن يخص المتنبي بتقدير سام ، لايخلو من التحيز(١) .

وفى جزء آخر من أجزاء العالم العربى ، وهو عمان(٢) ، كان ديوان أبي الطيب معروفا لدى الرجال المثقفين منذ أربعين عاما . ولا زالت الهند التى كانت الأولى فى طبع ديوان المتنبى — تعنى به ، كما يدل على ذلك الجهد الحديث الذى بذله الراجكوتى ar-Rajkoüti ، الأستاذ بجامعة «عليكره» Aligarh ، حيث جمع قطعاً للمتنبي لم تنشر قبل فى الطبعات الأخيرة من الديوان(٣) .

ظل العلم بشعر المتنبى قاصراً على عدد محدود من المثقفين . سواء فى إفريقية أو الهند أو أى قطر آخر من العالم الإسلامى ، وكالشأن فى القرون

---

(١) منذ بضع سنوات طلب مني بعض المراكشيين أن أشرح لهم قطعتين أو ثلاثة من شعر شاعر الكوفة ، فبعضهم كان طيب النية ، فأخذ يبتسم لدى قراءة الشعر لما فيه من التصنع ، واستطعت أن أميز عند البعض الآخر الخيبة عند قراءة كتاب لا يستطيعون فهمه إلا بمجهود عظيم من الشراح ، وكان إعجابهم الأول مؤسسا على الوهم . (هكذا) .

(٢) رنهاردت فى كتابه : اللهجات العربية . لهجة عمان .

(٣) نشرت هذه القطع بالقاهرة سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) تحت عنوان: «زيادات ديوان شعر المتنبى» وهي مأخوذة :

أ — من طبعات الديوان التى ظهرت فى كلكته سنة ١٢٥٧ و ١٢٦١هـ .

ب — من مجموعات أدبية مختلفة .

حـ — من مخطوطات للديوان محفوظة في بمباى ، وواحـد منها يرتفع إلى القرن السادس (١٢ م) .

د — من مخطوط للديوان محفوظ بحيدر أباد ، مؤرخ بسنة ١١٥٣هـ (١٧٤٠ م) .

هـ — من مخطوط آخر محفوظ بحيدر أباد ، مؤرخ بسنة ٦١٥هـ (١٢١٨م) ، ويعتمد على أصلين : أحدهما مخطوط رجاء بن الحسن الذى تمت مراجعته على المتنبى وابن جنى ؛ وثانيهما مخطوط على بن عبد الرحيم السلمى سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) أستاذ العكبرى (انظر إرشاد الأريب جـ ٥ ص ٢٤٧ ، والبغية ص ٣٤١)، وقد تم بعد مراجعته على على القمى من ناحية ، وعلى علي البصرى من ناحية أخرى ، والاثنان ينتهيان في مراجعتهما إلى المتنبي .

الوسطى ، كان الأشخاص القادرون على أن يفهموا العربى القديم بسهولة ، هم الذين يستطيعون وحدهم ادعاء المعرفة بشعر المتنبى ، ومع ذلك كان لهذه القصائد جمهور كبير مثقف . فى مصر وسوريا ، أكثر من أى مكان آخر ، لأن الثقافة فيهما تعتمد على معرفة قوية باللغة العربية ، وإذن ففى هذين القطرين أخذت الدراسة الحديثة للمتنبى أعظم ما قدر لها من الانتشار .

* * *

وللبدء فى ذلك أخذوا يجدّدون الشروح ، ويظهر أن شرحى الواحدى والعكبرى قد أهملا ، ورغب فى شروح أوضح ، وأوجز ، وأكثر تدقيقا . ففى سنة ١٨٦٠ كتب ببيروت العالم المارونى بطرس البستانى [١] ، الذى تدين له الآداب العربية بالكثير — شرحا جافا جداً ، ولكنه نال نجاحا سريعا ، وأعيد طبعه مرات عدة [٢] .

وفى هذا العصر تقريبا ، أخذ نصيف اليازجى السورى [٣] ، الذى لعب دوراً مساويا على الأقل لدور البستانى فى النهضة الفكرية لبلاده — يدرس بحماسة قصائد شاعر سيف الدولة ، كما تأثر به تأثراً عميقا فى إنتاجه الشعرى الخاص ، وظل طول حياته يؤلف شرحا لم يسمح له الموت بإتمامه ، فجاء ابنه إبراهيم اليازجى [٤] وجمع هذه المواد ، وأذاعها فى بيروت سنة ١٨٨٢ م

---

(١) ولد فى لبنان سنة ١٨١٩م ، ومات ببيروت سنة ١٨٨٣م . راجع دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ٨٢٥ .

(٢) بيروت، المطبعة السورية سنة ١٨٦٠م، فى ٣٨٢ صفحة، وأعيد طبعه سنة ١٨٦٧م وسنة ١٨٨٢م وسنة ١٨٨٧م .

(٣) ولد فى لبنان سنة ١٨٠٠م ومات فى بيروت سنة ١٨٧١م . راجع دائرة المعارف الإسلامية جـ ٤ ص ١٢٣٣ — ٥ .

(٤) ولد فى بيروت سنة ١٨٤٧م ، ومات بهذه المدينة سنة ١٩٠٦م. انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ٤ ص ١٢٣٥ ب .

تحت عنوان « العرف الطيب فى شرح أبى الطيب »[١] ، وفى هذه الطبعة الجديدة ، رتبت قصائد المتنبي ومقطوعاته ترتيبا تاريخيا غير دقيق ، ولكنه أدق من الواحدى، كما أن بعض القطع قد هذبت ، وبعضها بدل فيها وحذف[٢] ، وبعض التغييرات المذكورة ليست صحيحة[٣] دائما . ويظهر بوضوح أن شرح الواحدى هو الذى استخدم أساسا لشرح نصيف اليازجي ، ولقد كان شرحه أكثر بسطا من شرح البستانى ، ويقتصر على الأساسى ، وفى بعض الأحيان يختزل إلى أن يصير ترجمة للنص الشعرى ، وهو بأسلوبه الوجيز ، وبعرضه السهل ، يكمل إكمالا حسنا شرح العكبرى والواحدى ، وقد اعتبر بمرور الزمن تقليديا . ولايذكر بعده إلا للذكرى الطبعة المنقحة للديوان ، مع تعليقات عليه لسليم صادر المارونى[٤] .

لم تتبع مصر عمل لبنان إلا متأخرة جداً ، وكان ذلك فى الحقيقة عام ١٣٤٨هـ (١٩٣٠م) حين أظهر الناقد البرقوقى[٥] «شرح ديوان المتنبى»[٦] ، وهذا الكتاب بترتيبه القطع على حسب نظام القوافى الأبجدى ، وبما يبديه

---

(١) الصفحة الثانية حديث عن المتنبي ، ومن ص ٣ — ٦٢٣ الشرح ، ومن ص ٦٢٥ — ٦٣٦ ملحق ، ومن ص ٦٣٧ إلى الآخر دراسة من إبراهيم اليازجي على المتنبي .

(٢) القطعة ٢٤ (الأبيات من ٥ — ٨ مفقودة) والقطعة ١٦٨ فيها البيت ١٩ مكان ٣٩ .

(٣) انظر اليازجي ص ٨٤ سطر ٤ .

(٤) «ديوان أبي الطيب المتنبي» بيروت سنة ١٩٠٠م فى ٥٠٠ صفحة. به نبذة قصيرة عن تاريخ حياة الشاعر ، مأخوذة من الصبح المنبي ، والقطع مرتبة ترتيبا تاريخيا ، وبعدها فهرس القوافي . وقد طبع طبعة جديدة سنة ١٩٢٥ .

(٥) عبد الرحمن البرقوقي مؤسس المجلة القاهرية : البيان . انظر شيخو فى المشرق عدد ديسمبر سنة ١٩٢٧م ، والأدب العربي فى القرن العشرين ص ١٨٦ ، وسركيس ص ٥٥١ .

(٦) طبع بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) فى مجلدين يحويان مقدمة ، والنص مع الشرح بشكل تعليق ثم ملحقا وفهرسا .

المؤلف من قلة اهتمام بالوسط التاريخى ، والمعلومات التى تتعلق بتاريخ[1] حياة الشاعر — ضئيل القيمة ، لم يبدد ما فى الشروح الأخرى من الغموض ، ولكنه ضمن أن ينتفع به لأنه مطبوع .

كل الشروح التى عددناها تبدو بدون شك ، تجديداً لشروح القرون الوسطى ، أكثر من أنها أعمال مبتكرة ، لأن مادتها فى الحقيقة ليس لها مصدر سوى تلك الشروح .

وعلى العكس من ذلك، هذه الدراسات التى سيكرسها العلماء السوريون والمصريون لحياة المتنبى وديوانه ، فإنها تدل على الانقطاع عن القرون الوسطى ، ولكن هذا الانقطاع ليس تاما ، فعند كثيرين نجد نكوصا إلى الوراء ، وترددا ، وآثاراً باقية من الماضى .

وهكذا رأينا فى دراسة ظهرت ببيروت سنة ١٨٨٧م أن إبراهيم اليازجى أراد (ص ٦٥٢) أن يتكلم عن شعر المتنبى « من حيث هو كلام ترادمنه المطابقة بين المسموع والمفهوم » ولكنه ينسى هذا الغرض دائماً ، ويعنى بوجه خاص أن يبين نقائص مؤلفات القرون الوسطى ، وأن يقوم أخطاء من يزدرى ديوان شاعر فنى ممتاز ، استطاع فى أيام صباه « أن يدع نفسه تنشط لمثل السفاسف التى لا يتصور أن تصدر من أضعف الشعراء ، ويرضى بتلك الطمأنينة التى لا يرضى محدث ولا جاهلى أن تروى عنه (ص ٦٦٥)، ولكن محاسنه أصبحت لاعداد لها فى عصر نضجه .

---

(١) يرى البرقوقى أن معرفة تاريخ حياة المتنبى لا تفيد شيئا فى فهم النص . انظر المقدمة ج ١ ص ١ .

(٢) طبعت مع العرف الطيب ، ص ٦٥٢ وما يليها .

فى هذه العصر تقريبا ذكر البارودى [١] ، الشاعر المصرى الذى يدين له الأدب العربى بنهضته الحاضرة ، فى منتخبه : المختارات — نحو ثلاثمائة بيت من شعر المتنبى ، نماذج للمدح والرثاء والحكمة [٢] .

وبعد ذلك ببضع سنين ، كتب توفيق البكرى [٣] ، وهو شاعر مصرى آخر — مقالا عنوانه « مناقب المتنبى ، ومعايبه » [٤] قد يكون مكرساً للناحية الخلقية من الشاعر .

من الممكن أن نرى أنه لا البارودى ولا البكرى كانا متحررين من الأفكار الأدبية للقرون الوسطى ، وأنهما قد وقفا عند حد موافقتهما على الأحكام التى صدرت على المتنبى منذ قرون عدة .

نرى الأفكار القديمة تحيا أيضاً عند حسين المرصفى [٥] الذى يعتقد المرء عند سماعه أنه ينصت إلى أحد أساتذة ابن خلدون [٦] ، حينما يعلن لتلاميذه [٧]

---

(١) محمود سامى باشا البارودى ، ولد فى القاهرة سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) ومات بهذه المدينة سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) . راجع سركيس ص ٥١٤ ، وزيدان جـ ٤ ص ٢٤٩ من كتاب أدب اللغة ، وجـ ١ ص ٢٩٨ من كتاب تراجم مشاهير الشرق (الطبعة الثانية) .

(٢) مختارات البارودى جـ ١ ص ٣٥ وما يليها ، و جـ ٣ ص ١ وما يليها ، و ص ٣٢٩ وما يليها ، و ص ٤٧٤ وما يليها .

(٣) شاعر كاتب ناقد ، ولد بالقاهرة سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) ومات فى بيروت . راجع زكى مبارك فى كتابه (النثر العربى) ص ٧١ — ٧٢ ، وأحمد عبيد في كتابه « مشاهير شعراء العصر » المطبوع بدمشق . ص ١٦٨ — ١٧١ ، وسركيس في كتابه « معجم المطبوعات العربية ص ٥٨١ .

(٤) ربما يكون قد ظهر فى مجلة المقتطف سنة ١٨٩٣ م العدد ١٧ ص ٣٦١ ، وهو مرجع أشار إليه فؤاد البستانى فى كتاب الروائع جـ ٢ ص ٢٧١١١ X ، ولكن هذه الإشارة خطأ ، فبرغم كل أبحاثى لم أستطع أن أجد المقال .

(٥) الحسين بن أحمد المرصفى ، أستاذ بالأزهر فى القاهرة ، مات سنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) . راجع سركيس ص ١٧٣٥ ، وزيدان فى أدب اللغة جـ ٤ ص ٢٦٥ ، وشيخو فى كتابه « الأدب العربى فى القرن التاسع عشر » جـ ٢ ص ٩٤ .

(٦) راجع ص ٥٣ .

(٧) نقل ذلك طه حسين فى « ذكرى أبى العلاء » ص ٢ من المقدمة .

أن « مسلم بن الوليد ، وحبيب بن أوس ، وأبا الطيب المتنبي ، وأبا العلاء المعرى ، قوم تكلفوا البديع ، وأخضعوا المعنى للفظ ، وتعمقوا فى درس مذاهب الفلسفة ، ولم يخل كلامهم من يونانية تباعد بينهم وبين مذاهب العرب البادين ، فدرسهم خطل ، والعناية بهم حمق ، والإعراض عنهم إلى الشعراء المطبوعين إصابة وتوفيق » .

هذا الموقف العدائى كان مع ذلك فرديا بكل تأكيد ، فتلاميذ المرصفى أنفسهم أول من عارضه ، لمخالفته مع ما أخذ يتأكد فى الشرق من الاتجاهات الحديثة ، هذا الشرق الذى تزداد دائماً معرفته نقاء بالنقد التاريخى ، والطريقة الأدبية ، وقد تم الانقطاع عما بقى من آثار القرون الوسطى ، وأيد هذا الانقطاع ظهور القرن العشرين .

* * *

هذه التأثيرات أخذت تظهر أولا ، فى محاولة إيجاد أسلوب جمعى تاليفى ، ميز خاصة مختصرات تاريخ الأدب التى نشرت حول هذا العصر ، كالدراسات التى كرسها للمتنبي محمد المرصفى[1] ، وجورجى زيدان[2] ، والإسكندرى[3] ، والزيات[4] .

وفضلا عن ذلك عنى النقد تدريجياً ، أن يكشف لدى المتنبي مفكراً

(١) كتاب أدب اللغة العربية . هذه الخلاصة وصفت ، ولكنى لم أستطع أن أتحقق من مضمونها .

(٢) كتاب تاريخ آداب العربية ج٢ ص ٢٤٥ — ٩ ، به تاريخ حياة الشاعر ، ودراسة أدبية ، وتعداد لأهم الدراسات النقدية ، وطبعات ديوان المتنبي .

(٣) تاريخ أدب اللغة العربية فى العصر العباسى ص٢٧٥—٢٨٨ ، فيه تاريخ حياة الشاعر وصفاته ، وأهميته ، ومميزات نبوغه ، وشعره الحكمى . وفى الوسيط مع اشتراك مصطفى العنانى ص ٢٧٢ — ٢٧٦ ، تاريخ حياته ، وموازنة بين المتنبي وأبي تمام والبحترى .

(٤) تاريخ الأدب ، ص ٢٢٥ — ٢٢٧ ، به تاريخ حياة مأخوذ من يتيمة الدهر ، وتقديرات أخذ جزء منها من الكتاب نفسه ، مع نظرات للمؤلف .

مبتكراً عميقاً ، على عكس منهج الشرق فى القرون الوسطى ، فقد كان قليل الاهتمام بالابتكار والعمق ، ويعجب ، بوجه خاص ، بفن الشاعر[١] ، أما معاصرونا فعلى الضد ، يرون أن الشعر الحقيقى لا يكون من غير عمق فى الشعور ، ولاذاتية فى التفكير ، يرتفعان فقط بجمال الأسلوب الذى ليس هو بأكثر من أداة لبيان الفكرة[٢] .

شهرة المتنبي فى الأوساط المثقفة بدمشق ، والقاهرة ، وتونس ، فى عصرنا ، لها سبب آخر ، ذلك أنه تحت التأثيرات الوطنية والعربية التى تدفع المسلمين إلى أن يبحثوا فى الشرق بالقرون الوسطى عن رجال يقابلون رجال الغرب ، صار شاعر أمراء سوريا ومصر وفارس ممثلا للنبوغ العربى ، يقوم فى مقابلة النبوغ الغربى ؛ فهو يظهر مثل فيني Vigny ، أو جوت Gœthe ، أو نيتشه Nietzsche الشرقى ، ويشهد بوضوح على المساواة الثقافية لبلاد هى اليوم تحت الوصاية العقلية والسياسية لأوربا .

لن نقف إلا قليلا عند الملحوظات الدقيقة الموجزة عن فلسفة المتنبى ،

---

(١) تصريحات قطعية عديدة فى القرون الوسطى قال قدامة فى كتابه نقد الشعر ص ٤٥ : « إذ كان الشعر إنما هو قول ، وإذا أجاد فيه القائل لم يطالب بالاعتقاد » . وقال الجاحظ فى كتاب الحيوان الجزء الثالث ص ٤١ : « والمعانى مطروحة فى الطريق ، يعرفها العجمى ، والعربى ، والبدوي ، والقروى ، وإنما الشأن فى إقامة الوزن ، وتمييز اللفظ ، وسهولته ، وسهولة المخرج ، وفى صحة الطبع ، وجودة السبك » . وقال أبو هلال العسكرى فى كتاب الصناعتين ، ص ٥٥ ومايليها : « وليس الشأن فى إيراد المعانى ، وإنما هو فى جودة اللفظ وصفائه ، وحسنه وبهائه . والكلام إذا كان لفظه حلوا عذبا ، وسلسا سهلا ، ومعناه وسطا ، دخل فى جملة الجيد ، وجرى مع الرائع » . ولنلاحظ أخيراً أن الثعالبي فى كتابه اليتيمة ج ١ ص ١٢٤ يعد من عيوب صناعة المتنبي « الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة » ، وأيضا عندما أثنى الحاتمى على المتنبي بأنه خلق الشعر الفلسفى (انظر ص ٦ من هذا الكتاب) لم يعجب بغرابة الفكرة ، ولكن بمهارة الفنان الذي أدخل فى اللغة العربية أفكارا مستعارة من أرسطو .

(٢) كما يستخلص ذلك من رأى لشوقي ذكره عبدالفتاح في كتابه : « أشهر أدباء العصر » ج ١ ص ٢٦ .

والسمة العربية الخالصة لديوانه ، تلك الملحوظات التى نصادفها فى مختصرات زيدان والإسكندرى [١] ، فليس هناك فى الحقيقة إلا أفكار شائعة ، لا تكاد تخفى الفقر فى التفكير النقدى . والمفيد أن نذكر أقوال الزيات [٢] الذى يرى فى أبى الطيب لا فنانا فحسب ، « وفق بين الشعر والفلسفة ، وجعل أكثر عنايته بالمعنى » ، ولكنه أيضاً مجدد ، « أطلق الشعر من القيود التى قيده بها أبو تمام وشيعته ، وخرج به عن أساليب العرب المخصوصة ، فهو زعيم الطريقة الابتداعية Romantique » . هنا شاعر أمراء القرن العاشر ، الذى كان شديد الاحترام للتقاليد الأدبية ، لا يعد مفكراً فحسب ، بل ينظر إليه كهيجو ، الذى جاء ، باسم حرية التفكير ، يهدم القواعد التقليدية المحترمة عظيم الاحترام .

ولو وازنا ذلك بأقوال الشاعرين : حافظ إبراهيم [٣] ، وشوقى [٤] ،

---

(١) انظر تاريخ الأدب فى العصر العباسى ص ٢٧٥ — ٢٧٩ — ٢٨٠ ، وزيدان في آداب اللغة ج ٤ ص ٢٤٧ .

(٢) تاريخ الأدب العربى ص ٢٢٧ . وبالطبعة السادسة ص ٢٩٥ .

(٣) محمد حافظ إبراهيم ، ولد بالقاهرة سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) ، كان ضابطا، ثم أمينا لدار الكتب منذ سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) . انظر سركيس ص ٧٣٦ ، والسندوبى فى كتاب « الشعراء الثلاثة » المطبوع بالقاهرة سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) ص ٣٤٩ وما يليها . وقد كتب حافظ فى مقدمة ديوانه ج ١ ص ١٣ : « وأكثرت التأمل فى شعر أبى الطيب، فإذا شعره حى يتفزز ، ولم أر فى الشعراء نفسا أعلى من نفسه ، ولا طريقا إلى المعانى أخصر من طريقه ، وخير شعره ما كان فى الحكم والأمثال ، ولو سلمت أقواله من ذلك التفاوت ، ولم يكن أسلوبه عاقا لأساليب اللغة العربية، لكان أشعر شاعر فى الإسلام » كتب هذا سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) .

(٤) أحمد شوقى بك ولد بالقاهرة سنة ١٨٦٨ م ودرس دروسه العالية فى مونبليه ، وزار الجزائر وإنجلترة . انظر عبد الفتاح ج ١ ص ٣ ، وعبيد ج ١ ص ٦٢ ، وسركيس ص ١١٥٨ ، والسندوبى ص ٦ وما يليها ، وهيكل فى مقدمة الشوقيات . وقد قال الشاعر فى مقدمته لطبعة الأولى من كتابه الشوقيات ج ١ ص د — ٦ « معجز المتنبى لا يزال يرفع الشعر ويعليه ، ويغرى الناس به فيجدده ويحييه ، وحسبك أن المشتغلين بالقريض عموما، والمطبوعين منهم خصوصا ، لا يتطلعون إلا إلى غباره ، ولا يجدون الهدى إلا على مناره » كتب ذلك نحو سنة ١٣١٨ هـ (١٨٩٨ م).

والاثنان قد تشبعا تشبعا عميقا بفن المتنبي ، والتقدير الحازم للناقد ، أحمد ضيف[١] الذى لم ير فيه سوى ممهد لأبى العلاء ، لبدت هذه الأحكام مترددة غير واضحة .

برغم الشهرة المتزايدة التى ظفر بها ديوان المتنبي ، فى الأوساط المثقفه بمصر وسورية ، لم تظهر إلى هذه اللحظة أية دراسة ذات شأن لمجموع الديوان ، بل اكتفى بنظرات عامة سطحية ، وبخلاصات فى مختصرات تاريخ الأدب ، وببعض مقالات لا قيمة لها ، ولكن منذ سنة ١٩٢٠ بدأ عصر جديد لدراسة المتنبي .

فأحيانا يعالج النقد الشرقى بعمق بعض نواحى حياة شاعر الحمدانيين ، وبعض مظاهر إنتاجه الأدبى ؛ وذلك شأن المقالات التى كتبها مثلا كامل كيلانى [٢] ، عن العلاقات بين أبى الطيب وابن خالويه وأبى فراس بحلب ، وكذلك استطرادات زكى مبارك فى مؤلفه ، على النثر العربى فى القرن الرابع ، [٣] ، والدراسة المجهول صاحبها التى ظهرت فى القبس على المزاج العربى للشاعر [٤] .

وفى بعض الأحيان يعنى النقد بأن يقدم للجمهور دراسات لمجموع ديوان الشاعر ، تكون أكثر جدة ، وأوسع من هذه التى حوتها مختصرات تاريخ الادب .

---

(١) ولد بالقاهرة ، وهو أستاذ بالجامعة المصرية (كان) ، وهاك ما قاله هذا الناقد فى كتابه : « دراسة الشعر الغنائى ، والنقد الأدبي عند العرب » (مطبوع بالفرنسية) ص١٧١ : « شهر المتنبي بوجه خاص بأفكاره الفلسفية (هكذا) التى تبدو فى أشعاره ؛ هذه السمة الفلسفية لشعره ، هى التى دفعت المتنبي إلى مستوى أبى العلا (هكذا) ، وإن كان المفكر العظيم الأعمى لايزال أعلى منه ، وهذا النوع من الشعر الإنسانى كان غير معروف تقريبا عند العرب» . (ظهر الكتاب سنة ١٩١٧م).

(٢) مقالات ظهرت فى مجلة المقتطف ، نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٢٩م ويناير سنة ١٩٣٠م.

(٣) ص ١٤٣ — ٥ ، ١٥٨ — ٩ ، ١٧٤ ، ١٩٨ — ٢٠٠ .

(٤) ظهرت فى فبراير سنة ١٩٣١م بدمشق .

هذا ما قام به فؤاد أفرام البستانى ، وأذاعه ببيروت سنة ١٩٢٧ م تحت عنوان « أبو الطيب المتنبى ، الرجل والشاعر »[١] فى القسم الاول يرسم البستانى تاريخ حياة شاعر الكوفة وشعره (ص ٨٣١ — ٨٤١) مستمداً من ينابيع القرون الوسطى والحديثة[٢] ، وفى القسم الثانى يحدثنا عن أخلاق الشاعر ، (ص ٩٠٠ ومايليها) ، وفى القسم الثالث يعد المؤلفات المهمة التى تدرس الشاعر (ص٩٠٣ومايليها) ، وختم بحثه ببيان النفوذ الأدبى للمتنبى ، ثم استخلص قائلا : « والحقيقة أن المتنبى شاعر عظيم ، وهو ككل شاعر عظيم ، عظيم الحسنات ، وعظيم السيئات كذلك ... وبينا نشاهد حوله الجماعات من شعراء الغزل اللطيف ، والوصف الدقيق ، والمجون المستملح ، نراه هو وحده « شاعر العظمة » . (ص ٩٠٦ وما يليها) .

إذا كان البستانى ، وكل شىء يجعلنا نعتقد ذلك ، يرمى إلى أن ينشر بين الشباب الجامعى ، بوجه خاص ، ما يجب أن يُعرَف من حياة أبى الطيب ، وديوانه — فقد نجح نجاحا تاما ، ولنقل أيضاً : إن بحثه مكملًا بالكراستين من المختارات[٣] ، اللتين ظهرتا ببيروت فى (مجموعة الروائع) — يؤلف نموذجا من أجمل النماذج التى ظهرت إلى الآن فى الشرق ، لنشر التاريخ الأدبى بين الجمهور .

---

(١) ظهر فى مجلة المشرق : نوفبر ، وديسمبر سنة ١٩٢٧م ، (ص ٨٣٠ — ٤١ ، (ص ٩٠٠ — ٩٠٩) ، وهذه الدراسة نقلت على رأس قطع مختارة للمتنبى فى مجموعة الروائع (بيروت سنه ١٩٢٧ م) فى العدد (١١) ص ا — كح . والعدد (١٢) ص ا — يج) (من الطبعة الثانية) .

(٢) تراها فى الروائع :العدد (١١) ص (كز) وما يليها وهى : ابن خلكان ، نزهة الألباء ، وابن نباته ، والعكبرى ، والواحدى ، والوساطة ، واليتيمة ، والحاتمى ، والصبح . من القرون الوسطى ؛ وتوفيق البكرى ، والعقاد ، وجبرييلى . من العصر الحديث .

(٣) بيروت سنة ١٩٢٧ م . العدد (١١) به المدح والهجاء ، والعدد (١٢) به المراثى ، والفخر ، والحكم ، مع شرح وملحوظات أدبية موجزة ، ولكنها شديدة التدقيق .

نستطيع أن نتحدث أيضاً ، عن سلسلة مقالات الدريني ، التى ظهرت[1] بالقاهرة سنة ١٩٢٨م . يرى هذا الناقد أن أبا الطيب « أعظم شعراء العرب » بلا شك ، وهو أيضا الفنان الحافظ « للأثر العميق الذى تركته فيه مصر المضيافة » . وهنا خطا النقد خطوة جديدة ، فبعد أن جعل الشرقيون من المتنبي شاعراً فيلسوفا عربيا ، فى مقابلة الشعراء الفلاسفة الأوربيين ، أخذوا يُشرِّحون المتنبي نفسه ، ويوازنون بينه عراقيا ومصريا . بعد هذا البدء لن نعجب من الصبيانية التى تحويها هذه المقالات ، فالدريني يكتب بكل هدوء : إن سيف الدولة ذهب إلى حلب قصداً ، ليستقبل أبا الطيب ، وإن هذا لم يدع النبوة بالسماوة ، ما دام هو نفسه قد أنكر ذلك فى إحدى قصائده ! وهذه الدراسة ، فضلا عن ذلك ، تكشف عن عدم كفاءة ، لا تكاد تصدق ، على الحكم على الأعمال بالنسبة لوقتها ، فالناقد لم يتذوق الجانب التقليدى من وضع الشعر الغزلى على رأس شعر المدح ، ويقبل بدون تردد الحكم القاسى الذى أصدره الخصوم ، فى القرون الوسطى ، على جميع القصائد التى نظمها الشاعر قبل اتصاله ببلاط الحمدانيين ، وهو يذكر قطعا من القصائد التى مدح بها سيف الدولة ، ويثنى عليها بلا شك ، ولكن فقر القصائد التى خوطب بها كافور ، لم تمنعه من أن يقول : « إن أجمل شعر ألفه المتنبي ، هو هذا الذى كتبه فى مصر »[2] ، والخلاصة أن بحث الدريني ليس له أية قيمة علمية ، ولا فائدة له سوى تأكيد بعض الاتجاهات للنقد المعاصر فى مصر .

وأخيراً ، لا يقتصر النقد على إذاعة الديوان ، والتعريف بالشاعر ، بل يقدم دراسات لحياة المتنبي ، وفلسفته ، وخلقه ، والميزات البارزة فى ديوانه .

---

(١) ظهرت فى الأخبار ١ ــ ٦ ــ ١٢ ــ ١٨ ربيع الثانى سنه ١٣٤٧هـ (١٥ ، ٢٠ ، ٢٦ سبتمبر ٢ أكتوبر سنة ١٩٢٨م) .

(٢) هذا الحكم ليس فرديا ، بل أخذبه أنيس المقدسى ، فى الاحتفالات بالعيد الألفى للمتنبي . انظر جريدة « ألف . باء » بتاريخ ٤ يونية سنة ١٩٣٥م .

نجد أول هذه الدراسات ، من حيث التاريخ ، كتاب « محمد كمال حلمى » المسمى : « أبو الطيب المتنبي : حياته ، وخلقه ، وشعره ، وأسلوبه »[1] ، ومن المقدمة تتضح مقاصد المؤلف : فقديما (ص ى) كان النقد العربى لا يرى فى الشعراء إلا مادحين وهجائين ، « أما اليوم فإننا نريد أن نتعرف تلك الوجوه (وجوه الشعراء) ، ونتفهم تلك النفوس ، ونتغلغل إلى صميم تلك الضمائر . نريد أن نقف على حقيقة الشاعر أو الناثر ، طفلا ويافعا ، محصلا متعلما ، وكهلا مرتزقا ، معلما ومرشدا . يعز علينا ، ونحن فى عصر (اشتراكية فكرية) إن صحت هذه القسمية . أن نرى أمثال « دانتى » و « شكسبير » و «هوجو» و«جوت» تعزى إليهم القواعد الهادية ، والمذاهب الاجتماعية ، والمرامى الفلسفية ، والمعارف النفسية ، ولا نعرف عن نظرائهم فى لغتنا إلا أنهم مداحون هجاءون .

لكثير من المتأدبين عندنا اليوم نظرة ازدراء إلى شعر المديح ، ويبالغ بعضهم فيسميه شعر المتسولين ، إغراقا فى الحط من شأنه — إلا أننا لا نسلم لهم بكل مايدعون ، فليغربلوا هذه الأشعار ، وليخرجوا منها ما قاله الشاعر طلبا للرزق ، ثم ليستجلوا نفس الشاعر من شعره ، وليتبينوا منازعه من خلال أقواله » .

ذلك يعنى بوضوح أن المؤلف يريد إثبات قضية جديدة . ويبغى أن يبين أن الشعر العربى لا ينقصه شىء يتمتع به شعر غيره ، فهل المتنبي هو الرجل الذى يصلح لذلك المشروع ؟ يجيب الناقد « نعم ، بلا شك» ص (و)، فديوان أبى الطيب ، فضلا عما يحويه مما هو خاص بعصره ، يضم جزءاً عظيما مما يتصل بالإنسانية . وهذا الشاعر قد شارك الناس فى آمالهم وآلامهم، وصور علل أخلاقهم ، وأمراض قلوبهم ، ووصف لهم علاج أدوائهم

(١) القاهرة سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢١ م) فى ٢٩٠ صفحة .

« ص و » ، والظاهر أن شعر الرجل لم يبق إلا لأن مدائحه وأهاجيه ليست فى الحقيقة إلا جزءاً يسيراً بالنسبة إلى مجموع شعره « ص ز » .

إن مما يخشى منه أن يكون وضع هذا المبدأ ، مع أن جزءاً منه له أساس ، قد دفع حلمى إلى تفسيرات لا يمكن قبولها لأنها مغتصبة . وهاك أجزاء هذا البحث : يدرس المؤلف فى الفصل الأول (ص ١ — ٦٨) حياة الشاعر بطريقة تفصيلية ، وفى أغلب الأحيان لا يتعدى أن يأخذ أقوال المؤرخين المعروفين ، ومع ذلك نراه أحيانا — كما فى الدعاية الثورية فى السماوة — يحلل الوسط التاريخى ، ويحاول أن يجد فيه التفسير لأعمال حرَّفتها عن طبيعتها التقاليد . وفى الفصل الثانى (ص ٧٩ — ١٢١) يرسم حلمى صورة للمتنبى ، ليس فيها من جديد . والفصـــل الثالث (ص ١٢٧ — ١٧٧) على ديوان المتنبى ، والأحكام المختلفة التى أصدرها النقد العربى ، ولا تبدو فيه الذاتية إلا نادراً . والفصل الرابع (ص ١٧٧ ، وما يليها) يدل على جهد حقيقى بذل للتجديد . يرفض حلمى تقسيم الشعر إلى الأنواع التى قبلها النقد الشرقى ، ويختار تقسيما جديداً ، فيدرس بالتتابع الشعر النفسى فى الديوان (ص ١٧٨ وما يليها) « هذا الشعر الذى نجده فى الهجاء والنسيب والرثاء » ، والشعر الوصفى (ص ٢١٠ وما يليها) « وهو لوحات للطبيعة والحيوانات ، والوقائع الحربية ، والنماذج الإنسانية العليا » ، والشعر الفلسفى (ص ٢٢٤ وما يليها) « من قضايا تشاؤمية ، أو شك ، أو اعتقاد بوجود ما وراء الطبيعة ، أو زهد ينطق به بعض شعره » ، وقد أورد لكل واحد من هذه الأنواع شواهد تميزه ، وتبين بدقة المظهر الذى يبدو فيه فى الديوان . وفى الفصل الخامس (ص ٢٥٤ وما يليها) يدرس المؤلف فن المتنبى ، ويلاحظ أولا (ص ٢٥٥) أن المتنبى مع أنه تابع للطريق التقليدى ، قد أدخل فى الشعر العربى عنصراً جديداً ، سيتناوله من بعده أبو العلاء ، وهو الأسلوب الكتابى ، وطريقة انتحاء الحكم والملاحظات الخلقية ، والانتقاد على

العادات ، وبعد ذلك (ص ٢٥٨ وما يليها) بين الطريقة التى جدد بها الشاعر العبارات المستعملة ، بجعلها موجزة أو مطنبة ، وأوضح لمَ كان كل أسلوبه يتجه إلى الإيجاز ، وإلى التعبيرات الحكمية . والمؤلف يرينا أيضاً (ص٢٦٤ وما يليها) المسلك الخطابى الذى يظهر فى الشرح والتوضيح ؛ وينتقل بعد ذلك إلى القيمة الموسيقية لأشعار المتنبى (ص ٢٧٠ وما يليها) ، وهنا يذكر المؤلف بعض التأثيرات الوزنية ، التى حدثت من ترتيب الكلمات ، وتقطيع الأشطار إلى أجزاء متساوية ، وتكرير اللفظه نفسها ، ويتبين أخيراً بعض خصائص فى أسلوبه (ص ٢٧٦ وما يليها) كاستخدام الكلمات القديمة ، أو النادرة ، أو الخاصة بالنثر ، ويطيل الوقوف لدى كثرة استخدام الجمع بين الأضداد فى عدد كبير من شعره (ص ٢٨٣ وما يليها) ، وعند ما يشبه أن يكون تمرينات ، من بليغ كبير ، على النكات البلاغية ، واللعب بالألفاظ (ص ٢٨٥ وما يليها) .

هذه الترجمة ينقصها — كما نرى — خلاصة ، فبعد عرض المبدأ الذى وضعه حلمى فى مقدمته ، كان من الواجب ، تبعاً للمنطق السليم — أن نجد فى الكتاب نظرة شاملة ترينا الجانب الإنسانى الخالد ، فى ديوان أبى الطيب ، وليس العيب فقط فى فقدان مثل هذه النظرة ، ولكن نستطيع أن نقول : إن هذا الكتاب ينكر — فى الحقيقة — بصورة قاطعة ، كل ما يدين به أبو الطيب ، لأصوله الأدبية ولزمنه ؛ كما أن خضوع حلمى تمام الخضوع لمبدئه ، جعله يهرب إلى شروح ، تكاد تكون ضد المعنى الأدبى .

ليس لنا أن نشكو من هذه الموضوعية الاضطرارية ، فإن نتيجتها أنها قدمت لنا ترجمة ، مع أنها بلا شك لا زالت غير كافية ، إلا أنها أرقى من كل ما لدى الشرق العربى قبل نشرها .

وفضلا عن هذا ، ألف منذ ذلك الحين ، عدد آخر من الدراسات ، تكمل فى نية مؤلفيها ما بدأه كتاب حلمى .

ظهرت سنة ١٩٢٣ سلسلة مقالات للعقاد[١] ، تستحق عناية خاصة[٢] .
فى المقال الأول منها يتناول هذا الناقد ثورة أبى الطيب فى السماوة (من ص ١١٨ — ١٢٣) وبحثه قريب من بحث كراتشوفسكى ، مؤسس على الظروف التى هيأها الوسط التاريخى والدينى من ناحية ، وعلى الفكرة الفلسفية للشاعر من ناحية أخرى ؛ وهذا البحث يقودنا إلى أن نستخلص أن المتنبي لم يدع النبوة بالمعنى الحرفى للكلمة ، ولكنه استخدم دعاية دينية ليحقق أطماعه السياسية ، وأن هذه الدعاية كانت سبب تلقيبه بالمتنبي .

وفى المقال الثانى (ص ١٢٤ — ١٣٠) يدرس العقاد ميل الشاعر إلى احتقار العالم الذى يحيط به ، ويحترم فى مقابل ذلك سموه الخاص . والناقد فى هذه القضايا الطبيعية يجد تفسيرها فى بعض مظاهر فن المتنبي ، ومن بينها المبالغة فى التهويل ، واستخدام التصغير المحقر . والدراسة الثالثة (ص ١٣١ — ١٣٨) كرست لشهرة المتنبي ، والناقد يرى فى هذه الشهرة ينبوع الحسد ، والأحقاد ، والضغائن ، التى جرها الشاعر خلفه طول حياته . والتى شكا منها غالباً فى شعره ، وهو يؤكد أن هذه الشهرة أذكت خصومات نهضت حول الشاعر ، ومنافسات بين الأمراء الذين رغبوا فى أن يجذبوا الشاعر إلى بلاطهم . ويضيف إلى ذلك فى مقال رابع (ص ١٣٩ — ١٤٣) أنه برغم كل شىء ، كان المتنبي ، مدينا بشهرته لعبقريته بوجه خاص ؛ فالعقاد يرى أنه كان فى الحقيقة (شاعراً من شعراء العرب العظام) ويعنى بالشاعر العظيم هذا الذى « تتجلى فى شعره صورة كاملة للطبيعة بجمالها وجلالها ، وعلانيتها وأسرارها ،

---

(١) عباس محمود العقاد صحفى ، ناقد ، شاعر ، ولد فى أسوان سنة ١٣٠٤هـ (١٨٨٩م).
انظر المشرق سنة ١٩٢٧م العدد ٩٤٤ ، وزكى الدين ص ١٠٨ ومايليها . وسركيس ١٣٤٧.
(٢) هذه المقالات ظهرت فى الجريدة القاهرية : البلاغ فى ٤ ، ١٠ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٣ ، و ٢٨ يناير ، و ٦ فبراير سنة ١٩٢٤ ، وقد جمعها العقاد فى كتابه : مطالعات ، من ص ١١٨ — ١٧٩ (من ١٢٦ — ١٨٩ فى الطبعة الثانية) وقد رجعت إلى الكتاب .

ويستخلص من مجموعة كلامه فلسفة للحياة . ومذهب فى حقائقها وفروضها ، وبدون شك ، لم يكن المتنبي ممن شغفوا بمحاسن الطبيعة وأسرارها ، ولكنه كان ممن يقبلون بجملتهم على جهاد الحياة ، وقد أفاده ذلك خبرة وعلما ، إذ فتح أمامه سفر الحياة ، ، فاستخلص منه فلسفة ، أبان عنها بأسلوب يشبه فى عظم قوته ، ما أحس به إحساساً عميقا من الحقائق .

وفى مقال خامس (ص ١٤٤ — ١٥٥) يرسم العقاد أهم الخطوط فى فلسفة المتنبي ، (لأنه كشكسبير ، وجيتى ، وشيلر ، وهيني، وبيرون) له فلسفته الخاصة ، وهو يستحق أولى من أى شاعر آخر (عـــدا المعرى) لقب فيلسوف ، لأنه فى أشعاره يعرف ربط النتيجة بالسبب على طريقـــة المفكرين .

ما مذهبه ؟ إنه يترك أولا مشكلة أصل الإنسان ، تلك المشكلة التى لا اتفاق عليها ، ليشغل نفسه فقط بالحياة الحاضرة ، فى سنتها وصروفها ، وعنده ، أن الحياة حرب ضروس ، علاقة الإنسان فيها بالإنسان ، علاقة المقاتل بالمقاتل .. وما المودة فيها إلا حيلة من حيل الحرب ، أو هدنة فى حومة القتال ، فاحذر الناس واستر الحذر ، ويجب الاجتهاد فى أن تكون الأكثر قوة فى هذا الجهاد للحياة . أما المسرات التى تقدمها الحياة ، فلا يجب اعتبارها إلا تسلية ، لا يليق الانصراف إليها ، لأن هدف الرجل هو المجد . وهذا لا ينال أبداً بالرفق ، بل بالقوة . ومن الواضح أن مثل هذه الفلسفة تذكرنا بفلسفة نيتشه . والعقاد فى مقال سادس (ص ١٥٦ — ١٦٤) يعقد موازنة بين شاعر أمراء القرن العاشر ، وبين مؤلف كتاب « هكذا تكلم زرادشت » ، فهل التشابه بين المذهبين اتفاقى ليس غير ؟ يرجح الناقد ذلك ، وإن كان — كما يقول — لا يرى من المستحيل أن نيتشه عرف ديوان أبى الطيب مترجما ، وعلى كل حال ، جمع العقاد كثيراً من الشعر الذى بينه فى الحقيقة تشابه وبين قطع من كتاب « هكذا تكلم زرادشت » ، عند ما يتكلم صاحبه فيما هو حسن

عنده وما هو قبيح ، وكتاب (الفجر) . ولم يكتف بهذا ، بل فى مقال سابع (ص ١٦٥ — ١٧٣) أراد أن يرينا أن فلسفة المتنبي تكون همزة الوصل بين غريزة حفظ الذات لداروين ، وإرادة القوة لنيتشه[1] ، وأن الشاعر بوضعه الشجاعة فى خدمة حفظ الذات ، وصل إلى أن وفق بين أصلين لا يمكن الجمع بينهما فى الظاهر . والبيتان الآتيان قطعيان فى ذلك :

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه ... حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس أورده التقى ... وحب الشجاع النفس أورده الحربا

وهو تبعا لرأيه يعنى السادة والعبيد ، فغريزة المحافظة على الذات لدى الفريقين تؤدى إلى أفعال مختلفة ، بعضها نبيل ، وبعضها حقير .

ولكى يتم الناقد المصرى بحثه ، درس فى مقال أخير (ص ١٧٤ — ١٧٩) أسلوب المتنبي فقال : « إن كان الفن هو صقل العبارة وتوشية الكلام ، ولطافة المدخل ، وحسن الاحتيال ، ودقة الذوق ، ورقة الملمس ، ومهارة اليد ، فليس المتنبي من رجال الفن فى مرتبة تذكر ، وليس له من حذق الصناعة نصيب يعد ويؤثر . وأما إن كان الفن يتسع لما تتسع له الحياة ، من اختلاف العبارات والإشارات ، وتنوع الصيغ واللهجات ، ويحوى من قوالب النظم بقدر ماتحويه النفوس الشاعرة من أفانين الشعور ، ومشارب الذوق ، فليدخل المتنبي عالم الفن فى مقدمة الداخلين ، وليكن ثم على طليعة أمثاله من الصانعين والفنانين ، يدخل ولكن من باب المتانة والصلابة ، لا من باب الجمال والزينة »

والعقاد يذكر بعض شعر المتنبي المضحك ، لما فيه من التصنع ، ويبين

---

(١) هكذا يرى العقاد أن قول نيتشه فى « إرادة القوة » : ما السعادة ؟ هى الشعور بأن القوة عظيمة ، وأن العقبات قد ذللت • إنها ليست الرضا ، ولكنها زيادة القوة . ليست السلم ، ولكنها الحرب . ليست الفضيلة ولكنها الشجاعة — يجب أن يكون قريبا من قول المتنبي:

ومن طلب الفتح الجليل فإنما ... مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

أنه كتب تحت إيحاء مؤثر غير الطبيعة الحقيقية للشاعر ، فأبو الطيب لا يعرف أن يسخر نفسه للتظرف ، وعندما يخضع له يكون ذلك بدعوة من ممدوحيه ؛ وأما طبيعته الرزينة فلم تسمح له بالتفوق إلا فى الأنواع الرزينة . أليس ذلك فى الحقيقة ، أفضل ما يستطاع تقديمه من الشهادات على نبوغ المتنبى ؟ !

مقالات العقاد ، يستطاع الحكم عليها بأنها مختلفة القيمة ، اختلافا قويا . فبعضها لدى الشرقيين ، يساعد مساعدة هامة فى دراسة المتنبى ، ويلقى ضوءا جديدا على بعض النقط فى حياة أبى الطيب وديوانه ، اللذين لا يزالان مجهولين لدى النقد العربى ، ومن وجهة نظر أخرى ، تقوم لدينا هذه المقالات شاهدا دقيقاً على الأفكار التى تتصورها الآن مصر عن شاعر الكوفة .

ربما كانت فائدة المقالات الخمس التى كتبها المازنى[1] ، وكرسها لديوان أبى الطيب وأخلاقه[2] من هذا القبيل ، والكاتب لا يعدها إلا تكملة لتأليف حديث لم يسمه ، وهو — بدون شك — بحث حلمى أو العقاد[3].

فى المقالة الأولى (ص١٨٤) يبحث الكاتب عن الأسباب التى جعلت من المتنبى شاعره المفضل ، وبتعبير أدق : الشاعر الذى يظل شعره حيا فى ذاكرته أكثر من كل من عداه ، ويجد تفسير هذا فى القوة التى تطبع ديوان الشاعر كله ، تلك القوة التى لا تصدر عن ذكاء ميسور ، ولكن من مقدرة المتكلم ومن سمو تفكيره ، وفحولة أسلوبه ، « وهى صفات قلما يخلو منها شاعر كبير ، ولكنها لا تؤدى إلى مثل ما تحسه من القوة فى شعر المتنبى ، إلا إذا اجتمعت ، والأدب العربى يرى إذاً فى أبى الطيب شخصية فريدة فى قيمتها (ص١٩٣ ومايليها) ، وهذه الشخصية نفسها ، مع ذلك ، أثارت فى القرون

(١) إبراهيم عبد القادر المازنى شاعر ، وناقد مصرى . انظر سركيس ص١٦٠٨ ، وشيخو فى « الأدب العربى فى القرن العشرين » ص ١٨٤ — ١٨٨ .

(٢) مقالات نشرت فى المجموع المسمى « حصاد الهشيم » من ص ١٨٤ — ٢٢٩ .

(٣) حصاد الهشيم ص ١٨٤ (من الطبعة الأولى) بالهامش .

الوسطى كثيراً من الإعجاب بالشاعر والخصومة له ، والآن ، وقد عاد الهدوء ، لن نقدر شاعر سيف الدولة ، إلا بأشعاره ، فهناك نجد الشهادة على قوته وشجاعته ، واحتقاره للناس الذين لا يجد لهم . هناك نجد معرض طموحه (ص ٢٠٦ وما يليها) وجنونه بالعظمة ، هذا الجنون الذى لم يؤد — لحسن حظ نادر — إلى أن يُسخَر به ، ولكن عرضه لصغائر تشبه تلك التى يلوم الناس عليها نابليون . والمتنبى ، فضلا عن ذلك ، يشبه هذا الإمبراطور فى بعض النواحى : كوضاعة النشأة ، والنفور من الناس ، والطموح .

والذى يسود فلسفة أبى الطيب المتنبى فكرة الموت ، الذى لولاه لأصبحت أعمالنا عبثاً ، وشجاعتنا بلا فائدة ، وحكمتنا لا مغزى لها . وكل ما يقال عن بخله يستحق أيضاً تدقيقا أعمق (ص ٢٢٢ وما يليها) ففى الحقيقة (المال عند المتنبى لم يكن مطلوباً لذاته .. بل لأنه عون على الغايات .. لأن المال اقوى أداة للوصول إلى القوة) .

دراسة المازنى فى بعض النقط تقودنا إلى دراسة العقاد ، ولكن هذه أكثر من تلك ذاتية .

مهما كانت دراسات العقاد والمازنى وما يقدمانه من القضايا ، قابلة للمناقشة ، فقد برهن هذان الكاتبان على ذكاء يجذب الانتباه إليه ، ونود لو كنا نستطيع القول نفسه عن عدد من المحاضرات ، كرسه شفيق جبرى الدمشقى[١] على المتنبى[٢] .

ليس ثمت حقا شيء خصوصى ، يؤخذ من المحاضرات الستة الأولى ،

---

(١) شاعر وناقد ولد فى دمشق سنة ١٣١٣هـ (١٨٩٥ م) . انظر شيخو فى المشرق سنة ١٩٢٧ ص ٩٤٢ ، والمرجم ، والأدب العربى فى القرن العشرين ص ١٨٢ .

(٢) تحت عنوان «المتنبى» جمع جبرى فى مجلد واحد (دمشق سنة ١٣٤٩هـ — ١٩٣٠م) أولا : ثمانى محاضرات على الطريقة الأدبية . ثانيا : ثلاث عشرة محاضرة على المتنبى وديوانه ، ومقالين فى فن المتنبى . وسلسلتا المحاضرات كانتا قد ظهرتا فى مجلة المجتمع العربى بدمشق فى بحر سنتى ١٩٢٩ — ١٩٣٠ م .

المؤلفة من دراسات ثرثارة ، صبيانية ، فى الوسط الذى ولد فيه المتنبى (ص ٦١) وفى أجداده العرب (ص ٣٠ وما يليها) ، وفى عواطفه نحو جنسه (ص ٧٩) ، ووطنيته التى تدفعه إلى أن يضع نفسه دائما فى خدمة المسلمين ، إذا لم يستطع أن يقف نفسه على خدمة العرب الخلص فحسب (ص ٨٠ وما يليها) ، وفى دراساته وأساتذته ، (ولم يستطع جبرى أن يجد الكلمات : سيفا ، ورمحا ، وفرسا ، فى بيت شعرى من غير أن يجد فيها نفوذاً بدويا) ، وفى ثورته بالسماوة (ص ١٠٦ وما يليها) وإقامة الشاعر فى حلب ، والفسطاط ، وبغداد ، وشيراز (ص ١١٥) حيث ارتكب الباحث هفوات تاريخية شنيعة . ويجب أن نصل إلى المحاضرات التى تدرس أخلاق المتنبى (ص ١٣٨ وما يليها) وإحساسه (ص ١٤٩ وما يليها) وتشاؤمه ، وحبه للحياة ، وكبره (ص ١٥٨ وما يليها) وأفكاره الدينية والفلسفية (ص ١٦٧ وما يليها) لنجد أخيراً بيانات مفيدة برغم أنها ليست جديدة ، كما أننا فى المقال الخاص بعبقرية المتنبى (ص ١٧٥ وما يليها) نجد كثيراً من التقدير الدقيق لقيمة الشعر الغزلى للشاعر . وهو يقوم تقويماً عادلا قوة شعور رجل يصل إلى أن يثير غيره بعد أن يتخلص من سيطرة شعوره . وفضلا عن ذلك ، يقدر جبرى تقديراً دقيقا مراثى المتنبى ، التى ترتفع من درجة التوسط إلى التفوق ، عند ما يترك الشاعر نفسه لحزنه ، أو لتأملات فلسفية فى الحياة . أما الأشعار الهجائية والمدحية للمتنبى فبعيدة عن أن تكون محل الإعجاب فى نظر جبرى ، لخشونة البعض ، والتهويل فى البعض الآخر ، جعلها غالبا مكروهة ، وهى بوجه عام ، حتى أفضلها ، تنقصها الجدة . أما النوع الوصفى — بوجه خاص — فالمتنبى لا نظير له فيه ، سواء أكان الموصوف معركة ، أم موضوعا مألوفا ، أم منظراً من مناظر الطبيعة ، أم حيوانا ، فإن فن هذا الشاعر يستطيع أن يبرزه مصوراً بسمات سامية خالدة . وأما النظرات الفلسفية المدمجة فى كل قصيدة بالديوان تقريبا ،

فستبقى أبياتها غذاء روحيا لنخبة المتأدبين ، يعودون إليها ، كلما شعروا بالحاجة إلى التشكى من القدر ، ومن العالم ، ومن الناس ، وما دامت اللغة العربية لغة قسم كبير من البشرية . « فإذا كان المتنبي شاعر الهيجاء فإنه شاعر الحكمة والمثل ، فقد بلا أخلاق الناس ، وامتحن الدنيا ، وعرض الحياة فاستنبط من هذا كله روائع الحكم وسوائر الأمثال ، فلا خوف على خلود عبقريته ، ما دمنا نحتاج فى كل عصر من العصور إلى شكوى الدهر والدنيا والناس ، وإلى الموعظة والاعتبار وإلى مايجرى مجرى هذه الأمور وأشباهها ، « فلا خوف على خلود هذه العبقرية ما دامت العربية لغة كثير من الخلق ومادام أهل هذه اللغة يتمثلون بالأبيات التى تشتمل على صور الحياة بمجامعها : كرمها ولؤمها ، وحلوها ومرها ، وعزها وذلها ، وراحتها ونعيمها ، وخيرها وشرها ، وأملها ويأسها ، فلم يخطىء أبو الطيب فى قوله :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

إن هذه الأشعار ستظل الغذاء الروحى للطبقة الممتازة . ويعنى الناقد قليلا بموضوع السرقات (ص ١٩٨) ويحلها برأى شخصى له : ذلك أن مصدر الفكرة فى البيت الشعرى لا يعنيه كثيراً ، مادام الشعر جيداً ، ثم إن البحث فى أسلوب المتنبي يبدو سطحيا ، يستوحيه الناقد من الثعالبي (ص ١٩٩ وما يليها) واقتصر الناقد — وربما كان حكيما — على أن يستخلص أن فن المتنبي ، فى الحقيقة يشعر به أكثر مما يستطاع توضيحه ، فالشاعر أمير قدير يسيطر علينا حتى يلاشى إرادتنا ، « فهو كالملك الجبار تهولنا كبرياؤه فيسلبنا مشيئتنا فنذعن لسلطانه ، سواء أعدل أم عسف » .

ليس من المفيد أن نطيل القول فى بيان مظاهر التفاوت فى قيمة بحوث جبرى ، وعدم كفايتها ؛ فهى لا تدل على تقدم فى الدراسات المتنبية ، لا من وجهة النظر التاريخية ، ولا من وجهة نظر النقد الأدبى ، وفائدتها الوحيدة أنها تقدير للمتنبي ، وهى — تحت مظهر موضوعى علمى — معرض كامل لعلل

واضحة أو غامضة ، ممحصة ، أومقبولة بدون مراجعة أو تمحيص ، تلك العلل التى كشفها الجيل الشرقى الذى ولد فى آخر القرن التاسع عشر ، ليبرر إعجابه بأبى الطيب المتنبى .

درس محمد الأسمر ديوان أبى الطيب بطريقة مخالفة ، قد تكون جيدة ، فى سلسلة المقالات الستة التى كتبها [1] ، فبعد أن وضع فى أولى المقالات مبدأ انقسام الشعر باعتبار بواعثه أربعة أقسام : شعر غنائى ، وحكمى ، ووصفى ، وحماسى — اجتهد فى أن يوضح خصائص كل نوع فى ديوان المتنبى . وفى مقال ثان حلل شعور أبى الطيب فى نسيب قصائده ، وبين مافيه من مسلك تصنعى ، ينسبه إلى عدم إخلاص الشاعر ، ويستثنى من ذلك فقط قطع الشباب ، وقطعة أو اثنتين من قطع الشيخوخة ، والشاعر نفسه أيضاً يحس بنقصه فى هذا الغرض ، ويجتهد فى أن يخفيه بالصنعة فى الأسلوب. وفى المقالات الثلاثة التالية يعالج الأسمر شعور المتنبى ، فى المدح والرثاء ، والهجاء ، فيبين أولا الصلة الوثيقة التى تجمع هذه الأنواع التى هى « الأغصان الثلاثة لشجرة واحدة » ، ويدفع عن نفسه بعدئذ رغبته فى أن يدرس كل بيت على حدة « فليس فى ذلك نفع عظيم ولا فائدة ذات قيمة » ولكنه أراد فقط أن يبين فيم يمتاز أبو الطيب من نظرائه ، فذكر أن بينه وبين الشعراء الآخرين فرقا ، هو أن المتنبى يعجب بمن يمدحهم ، ولا يفكر فى المال فقط عند ما يشيد بمزاياهم ، ويطلب منهم أن يضعوا حداً لنوالهم (هكذا) . وفى الرثاء ، يمتاز حتى من الشعراء السابقين ، بأن من العسير أن يبوح بحزنه (وقصيدته فى رثاء جدته دالة جدا فى هذا الموضوع) . إنه يبحث عن العزاء ، لا فى النسيان الوقتى الذى تأتى به الدموع ، ولكن فى الجلد والعمل ، ولا يظهر عواطفه إلا إذا كانت تدل على حقيقة . وفى

---

(١) ظهرت فى السياسة الأسبوعية بالقاهرة ، فى ١ و ١٥ مارس و ٥ و ١٩ من ابريل و ٣ و ١٧ مايو سنة ١٩٣٠ م .

الهجاء. كذلك يجتهد أبو الطيب دائما فى أن يكون مخلصاً، ولذلك هو فى أهاجيه يترك نفسه للغضب الذى يجعله يحقد، فيفوه بكثير من الشتم والبذاءة. وفى مقال أخير يدرس الأسمر الشعر الحكمى، والوصفى، والحماسى، عند المتنبي، والأول ليس للشاعر منه نصيب، كما لا يجود فى الشعر الوصفى، إلا عند ما يصور المواقع الحربية، والشعر الحماسى كذلك لا يُرى فى شعره إلا قليلا، إذا استثنينا قصص حروب سيف الدولة. وختم الأسمر بحثه بأن قال بضع كلمات عن أسلوب المتنبي الذى يحي فنه فى مخيلتنا المناظر المختلفة للكون.

برغم كل ما تستحقه المحاولة الجديدة من العطف، تنالنا خيبة الأمل، عند ما نصل إلى نهاية هذه الدراسة، من ناحية بسبب هذه الصبيانيات التى نجدها بها، فالأسمر يبدو وافر السذاجة حقا، عندما يؤمن بأقوال الإعجاب التى يهتف بها الشاعر لممدوحيه، ومن ناحيةٍ أخرى. هو ضعيف فى ملكة الحكم، كما ينبىء عن ذلك بعض آرائه، فمثلا كيف يمكن الادعاء بأن النوع الفلسفى لا وجود له فى ديوان المتنبي، فى الوقت الذى نجد فيه هذا النوع بكل دقة فى كل شعره، فى المقاطع الحكيمة، بل فى الغزل والرثاء، حيث العاطفة تقود الخطا دائما، إلى نظرات فى حظوظ الناس، وسرعة عطب الحب، وأخيرا كيف لا نلوم الأسمر على أنه — بدون لباقة — لم يدرس النوعين الأخيرين اللذين لهما نصيبهما من الديوان؛ وفى الحقيقة، إن تكريس بضعة أسطر فقط للشعر الحماسى، والشعر الوصفى، كما نجدهما عند أبى الطيب — لا يعد نقصا فقط، لانه قد يكون ناشئا أيضاً من عدم فهمه للديوان الذى يحلله.

كتب محمد صدر الدين مؤلفاً حديثاً عنوانه : «سيف الدولة وزمنه»[١] وبه فصل خصه بالمتنبي ، نجد فيه سلسلة من النظرات الإجمالية ، التي تعتمد على دراسات القرون الوسطى ، وبخاصة يتيمة الدهر للثعالبي . وطرافة هذه الدراسة في أنها قد كتبها بالإنجليزية هندي أثاره تاريخ هذه الأسرة العربية الصغيرة[٢].

...

من التحليل السابق ، نستخلص بعض الصفات المشتركة ، في الدراسات التي أوحى بها شاعر الكوفة منذ ستين عاما .

فأولا ، هذه الأبحاث المذكورة مع عدنا لما كان منها ابتدائيا ، عن قصد وتعمد ، تبدو كلها حتى أكثرها تعمقا ، سطحية ثرثارة ، وفي الحقيقة ، تحل فيها القصة مكان الواقعة التاريخية ، في الجزء الخاص بتاريخ الحياة ، ويغلب التأكيد والتعميم ، على التحليل الدقيق ، في الجزء النقدي .

ومن ناحية أخرى ، برغم المجهود الذي بذل للتخلص من الاستعارة من مؤلفات القرون الوسطى ، ظلت هذه مستبدة ، وأخذت تعود إلى الظهور في الاستشهادات الطويلة ، وأحيانا في تحريف يسيرلها . وفي هذه الدراسات عيب آخر ، ذلك أنها لاتعني — بوجه عام — بتطور المتنبي الأدبي ، فحقا هي تقبل — نظريا — أن هناك فرقا بين شعر الطفولة وباقي الديوان ، ولكن — عمليا — يستشهد مؤلفو هذه الدراسات بشعر من كل العصور بدون تمييز ، ليؤيدوا أحكامهم على أسلوب المتنبي ، أوفلسفته ، أوأخلاقه . وأخيراً نجد كل هذه المؤلفات ، ماعدا كتاب حلمي ، مؤسسأ على نقد

---

(١) لاهور سنة ١٩٣٠ م .
(٢) هذا الفصل كان تحت الطبع عندما أقيم بالجامعة الأمريكية في بيروت في ٢ يونية سنة ١٩٣٥ م — الاحتفال الألفي للمتنبي ، الذي نظمته العروة الوثقى .

ذاتى ، وتبعاً لذلك ، يكون دائما عرضة للجدل ؛ ومن الخير أن نلحظ أن عدداً عظيمامن بينها، وبخاصة الأكثر عمقاً ، هو فى الحقيقة ، وجهات نظر ؛ وأن العقائد الوطنية والعربية ، التى دفعت النقاد إلى أن يبحثوا فى المتنبى الجوانب التى تقرّب بينه وبين العباقرة الأوربيين — دفعت إلى عقد صلات واهية ، وإلى شروح مغتصبة . وهذا بلاشك حظ عظماء الرجال ، وبخاصة فى الأدب ، فهم مدينون — فى الأغلب — بمجدهم الذى يتألق بعد موتهم ، لتدليس المعجبين ، الذين يسعدهم أن يجدوا أفكارهم ، فى مؤلفات وضعت فى عصور وأجواء مخالفة لعصورهم وأجوائهم . ومن النادر ، مع ذلك ، أن نجد تحريفاً أشبه بالحق أكثر مما نجده فيما يتعلق بالمتنبى ، ونرى إلى أى حد وصلت هذه التأويلات فى مؤلفات الدرينى ، والمازنى ، وشفيق جبرى ، وقد أفلت حلمى من ذلك مصادفة . ولا نعثر فى أى مكان أكثر مما عند العقاد — برغم أن بعض مقالاته يستحق التقدير — على مايشعر المرء بخطر مثل هذا الاتجاه ، فلدى هذا الناقد الذى لايبرح مخيلته تعريف هيجو للشاعر المحبوب لديه — يصبح المادح من أجل المال ، لسيف الدوله وكافور وابن العميد « نفسا ذات ألف صوت ، وضعها الله الذى أعبده ، فى قلب كل شىء كصدى رنان » ، وبتحليل عميق لفلسفة المتنبى، أنتج قلم العقاد موازنة بين فكرة أبى الطيب ، ومناهج داروين ونيتشه ، مع أن كل كلمة منها خطأ [١] .

---

(١) مثل ذلك بيتان من الشعر فى القطعة ١٠٨ ، وقد وجد فيهما نقد القرون الوسطى ترجمة لأرسطو ، أو عبارة جارية . انظر العكبرى ج ١ ص ٤٤ سطر ٢٠ ومايليه . وعلى كل حال بوضع البيتين فى موضعهما من النص يكون لهما قيمة تخالف تلك التى أعطاها لهما العقاد ، وهناك فى الحقيقة الأفكار مسلسلة :

مضى بعد ما التف الرماحان ساعة .·. كما يتلقى الهدب فى الرقدة الهدبا
ولكنه ولى ، وللطعن سورة .·. إذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا !
وخلى العذارى والبطاريق والقرى .·. وشعث النصارى والقرابين والصلبا
أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه .·. حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس أورده التقى .·. وحب الشجاع النفس أورده الحربا =

والأكثر خطراً من ذلك أن هذه التفسيرات لاتشوه فقط شخصية المتنبي ، وتعطى فكرة خاطئة عن ديوانه فى مجموعه ، ولكنها أيضاً تبتلع مجد الشاعر الذى تدعى أنها تخدمه .

حقـا لِم لَم يفطن العقاد إلى أن الحكم على عمل المتنبي بالنسبة لزمنه ، وعقد الصلة بينه وبين نظرائه ، هو إبراز عظمته ، بينما موازنته بالمناهج المنطقية ، كمناهج دارون ونيتشه ، تظهر نقصه وعدم التلاؤم بين أفكاره .

ونستخلص من ذلك إذاً ، أن الشرق العربى ليس لديه كتاب نقدى جدير بهذا الاسم ، يدرس المتنبي وديوانه . ونضطر إلى أن نثبت أنه — من وجهة النظر التاريخية — قد بقى مجال العمل واسعا ، مع اعترافنا بقيمة تاريخ حياة المتنبي لحلمى ، وبعض مقالات العقاد . ولا زلنا نبحث فى هذا العدد الكثير من المؤلفات المعاصرة المكتوبة بالعربية — عن دراسة تستخدم كل المواد الحاضرة ، وتتبع طريقة صارمة خالصة من كل تأثير غريب عن النقد التاريخى .

ومن جهة أخرى ، هذه المؤلفات — فى نظرنا — تظهر نقصا خطيرا ، فهى تجعلنا نشعر بالأسباب العاطفية ، التى تدفع الشرق إلى حب ديوان شاعر الكوفة ، فى الوقت الحاضر . والعقاد والمازنى ، وجبرى ، والأسمر خاصة بينوا لنا بوضوح العواطف الوطنية والقومية التى سرهم وجودها لدى شاعر سيف الدولة ، ولكنهم ، على العكس ، كانوا غير أهل لأن يعرضوا البواعث الأدبية الخاصة بهم ، والتى جعلتهم يتحمسون لبعض شعر المتنبي ، وليس المراد أنهم أغفلوا ذلك فى دراساتهم ، ولكن لأنهم ، عندما يدرسون أسلوب أبى الطيب ، يرضون بوجه عام أن ينقلوا أحكام نقد القرون الوسطى ،

= ترى أن هذا الشعر بما يحويه من تلميح ليس إلا مدحا حاذقا يخاطب به الحمداني ، وأن الفكرة فكرة شاعر أكثر منها فكرة فيلسوف ، ومن السهل ذكر أمثلة أخرى لتفسيرات العقاد المتعصبة .

وهذا الذى تناول من بينهم تلك المشكلة بأشد الطرق دقة وهو حلمى ، اقتصر [1] على أن يذكر تحليل الثعالبى فى اليتيمة ، وأهمل دراسة القيمة الموسيقية للشعر ، والتى ليس مصدرها القافية أو الوزن ، ولكن رنين الكلمات المختارة .

وإذاً يظل السر مغلقا ، بالنسبة إلينا — فى أن بعض أبيات الشعر محبوبة لدى الشرقيين ، لا للفكرة التى توضحها ، ولا للفن الذى يتجلى فيها ، ولا للقافية التى تمتاز بها، ولكن لنظام تركيب الحروف المتحركة والساكنة ، ذلك النظام الذى يفلت حسنه من آذاننا .

وأخيراً ، تظل مغلقة بالنسبة إلينا أيضاً ، مشكلة المكان الذى يليق أن نضع فيه ، بين الشعراء العالميين ، شاعراً من القرون الوسطى ، لا يزال إلى اليوم موضع الإعجاب من مراكش إلى الهند . والآن نشعر ، أكثر من كل وقت آخر ، بأن الفكر الشرقى لا يستطيع أن يولينا فائدة ما ، فمن المؤكد أنه ، لكى ننال جوابا شافيا، لا يصح أن نتجه إلى الرجال المعجبين بأبى الطيب ، لبواعث وطنية ، أكثر من إعجابهم به لأسباب أدبية . فهل يستطيع المستشرقون أنفسهم أن يقدموا لنا هذا الجواب ؟ هذا ما يجدر بنا أن نراه .

الفصل الخامس

المتنبي والمستشرقون[1]

من المعقول أن نتوقع لشاعر كان صيته – وسيظل – عظيما فى العالم العربى ، أن ينال شهرة بين المثقفين من الغربيين ، على الأقل ، ولكن – فى الحق – لم يكن شيء من ذلك ، وإذ استثنينا المتخصصين ، وبعض محبي البحث[2]، وجدنا الجمهور يجهل كل الجهل حياة المتنبي وديوانه .

ومع ذلك ليست غلطة المستشرقين أنهم لم يكرسوا منذ وقت مبكر ، جزءاً من نشاطهم لدراسة هذا الشاعر ، فانه بمجرد أن صارت اللغة العربية موضوعا لدراسات متتابعة فى أوربا ، نال شعر المتنبي عناية دارسى العربية .

فى سنة ١٦٥٦م نشر يوليوس Golius (مات سنة ١٦٦٧) للمرة الأولى قطعة من شعر المتنبي، مصحوبة بخلاصة لتاريخ حياته، فى طبعته الثانية لكتابه[3] « قواعد إربنيوس » « La Grammaired, erpenius »

---

(١) جبريلي Gabrieli فى كتابه : دراسة (Studi) ص ٤٠ – ٤٥ ذكر ملخصا جليلا للمؤلفات التى كتبها المستشرقون عن المتنبي .

(٢) ذكر مارتينو Martino فى كتابه « المنتخب من الغزل العربى » « Anthologie de l'Amour arabe» (باريس سنة ١٩٠٢) بعض شعر المتنبي ، ويبين جبريلى (Gabrieli) أيضا فى كتابه : « دراسة » (Studi) ص ٤١ والملحوظة رقم ٢ – أن جوت «Goethe» وبخاصة الشاعر البولندى « ميكو فيكز » «Mickiewicz» عرفا ديوان المتنبي مترجما ، واغترفا منه ، أو أوحى إليهما ببعض القصائد .

(٣) «Thomae Erpenii grammatica arabica» ص ٢٤٨ ، القطعة الأولى ، وقد درس يوليوس «Golius» عن قرب ديوان المتنبى ، كما يدل عليه حاشية مخطوطات مجمع ليد العلمى «l'Academie de Leyde» رقم ٦٢٦ (انظر De Goeje) ج ١ ص ٣٩٢ ، وقد نسب جينبول «guynboll» فى كتابه « الشرق » «Orientalia» ج ١ ص ٢٢١ هـذا الكتاب خطأ إلى ل . ورنر « L.Warner» تلميذ يوليوس .

بعد ذلك بثلاثين سنة ، بعناية « جالاند » (Galland) (مات سنة ١٧١٥) ظهر كتاب « المكتبة الشرقية » (Bibliothéque Orientale) « لبارتليمي دربيلوت » (Barthélemy d'Herbelot) ، وبه ترجمة حياة الشاعر مأخوذة بلا شك من ابن خلكان[١]

ولكن ،كما قال جبريلي[٢]، « هذا الذى كشف عن شاعر الكوفة ، وجعله معروفا لدى جمهور غفير هو ج . ج . رسك (G.G. reiske (مات سنة ١٧٧٤)، فقد أذاع هذا المستشرق فى كتابه «Proben der arabischen Dichtkunst aus den Motenebbi ست عشرة قطعة غزلية ، وقطعتين فى الرثاء للمتنبي، بالنص العربي، مصحوبا بالترجمة الألمانية، وبعض التفسيرات[٣]،ولكن اختيار القطع التى ذكرها (رسك) لم يكن موفقاً ، إذا استثنينا القليل، كما سيبين

(١) « المكتبة الشرقية » ص ٦٣٨ .

(٢) جبريلي فى كتابه ص ٤٠ فى الأسفل .

(٣) القطعة ٨ (الأبيات من ٣ ــ ٢٧) و ٣٩ (الأبيات من ١ ــ ٨ ومن ١٦ــ١٧) و ١١ (الأبيات من ١ ــ ١١) و ٣٤ (الأبيات من ٧ ــ ١١) و ١٢ (الأبيات من ١ ــ ١٥) و ١٣ (الأبيات من ١ ــ ٤) و ٤٢ (الأبيات من ١ ــ ٥) و ٢٤ (الأبيات من ١ ــ ١٢) و ٢٩ (الأبيات من ٤ ــ ٨) و ٤٤ (الأبيات من ٦ــ٧) و ٤٠ (البيت ٢) و ٢٦ (الأبيات من ٣ ــ ٥) و ٣٣ (البيت ٣) و ١٩ و ٦٥ . وهناك أيضا قطع المتنبي أو معلومات عنه فى الكتب الآتية لرسك .

أولا : فى كتاب تاريخ الإسلام لأبى الفداء (طبع ليبزج سنة ١٧٥٤) ج ٢ ص ٤٨٣ (تاريخ حياة المتنبي) ص ٧٧٤ (أراء في الشاعر) .

ثانيا : معلقة طرفة (طبع ليبزج سنة ١٧٤٢) ص ٦٧ .

ثالثا : فى الملحوظات التى أضيفت إلى «Tabulae syriae» (لوحة سورية) الكوهلر «Koehler» ص ٢٠٨ (وصف بحيرة طبرية للمتنبي) .

رابعا : رسك «Reiske» و ج . إ . فابرى « J. E. Fabri » فى كتابهما « فن الطب فى الآثار العربية والعبرية « Opuscula medica ex monumentis Arabum et Ebraeorum طبع « جرونروهال » « Grüner, Halle » سنة ١٧٧٦ ص ٧٦ قطعة المتنبي التى يصف فيها الحمى ، « وانظر براون » « Browne » يتحدث عنها في كتابه « الطب العربى » « La Médecine Arabe » ص ٣٤ ــ ٣٥ .

ذلك (همر)[١] «Hammer» ، وفضلا عن ذلك . لم يكن المترجم يحمل للمتنبي إلا احتراما محدوداً ، فهو فى نظره ، يدعى أنه شاعر وعالم ، له قلب متكبر أثر ، ملىء بالقسوة ، وهو لا يرى خيراً فى هذا العالم ، رجل صالح لكل شىء ، ويرى فى كل شىء عدوا ، ثم هو ، فضلا عن ذلك ، فنان متكلف ، بعض أشعاره ذات الاستحالة التامة مثل لا نظير له للسفسطة الحقيقية ، دساس ، مجنون بالأشياء التى لا ارتباط بين بعضها وبعض .

كان من الواجب أن مثل هذا الحكم يحد تماما انتشار دراسة المتنبي فى أوربا ، وإذا لم يكن قد حدث ذلك ، فلأن (رسك) ، بغير اختياره طبعا ، قد وجه انتباه المستشرقين إلى هذا الشاعر .

وفى سنة ١٧٩١ ذكر (س . ف. جونتر واهل) «S.F Günther Wahl» فى كتابه المنتخب الجديد من الأدب العربى[٢] «Neue Arabische Anthologie» خمس قطع ومرثية ، أخذها من مختارات رسك ، وأوردها بالنص العربى من غير ترجمة .

وفى سنة ١٧٩٧ نقل ج .هـ. هندلى (J. H. Hindley) فى كتابه : « مختصر فى حياة أبى الطيب وأدبه[٣] » (Sketch, biographical and literary of Abuàl-Taieb al-Motanabbi) حياة أبى الطيب التى كتبها «در بيلوت» ، وترجم قطعتين قالها . ثم ختم ذلك بمدح حماسى لشاعر الكوفة ، إذ يرى أن « كثيرا من قصائده فخم وعظيم جدا » .

وفى سنة ١٨١٣ أورد «ديفال دستانس» (Duval Destains) مرثية المتنبي[٤]

---

(١) فى كتابه (المتنبي) المقدمة ص XI .

(٢) فى القسم الثانى ص ١٠ — ٢٠ .

(٣) فى المجموعات الشرقية « The Oriental Collections » جـ ١ ص ١٤ .

(٤) فى (كتاب عطارد الغريب) « Le Mercure Etranger » رقم IX .

لفاتك[١]، وترجمة لها ، ثم أتبعها بهذا الحكم: «تراكيبه مليئة بالحماسة والحرارة، وسماته مرسومة بشجاعة ، وصناعته جميلة بقدر ما هي قوية ، كل هذا أنزله بين شعراء العرب المنزلة الممتازة التي يحتلها . وهو معتدل في أسلوبه ، فلا يرى عنده هذا المدح ، المنحط ، المتكلف . إن المتنبي يصف بقوة ، ويمدح برقة، وينثر في شعره أفكارا خلقيه ، ولا يخضع لقانون العرف » .

ومنذ سنة ١٨١٩ أخذ عدد الكتب التي كتبها المستشرقون على المتنبي ينمو . ولأجل تبسيط العرض نجمعها بحسب مؤلفيها .

فني هذا التاريخ، ذكر ج . ف . فريتاج[٢] (G.W. Freytag) (مات سنة ١٨٦١) في ملحوظاته على كتابه[٣] (Selecta ex historia Halebi) «مختارات من تاريخ حلب » النص العربي مع الترجمة اللاتينية لقصيدتين لأبي الطيب ، إحداهما مدح بها مساوراً ، والأخرى كافورا[٤] . وفي سنة ١٨٢٣ أتى المستشرق نفسه بالنص والترجمة اللاتينية ، لقصيدة مدح مهداة إلى ابن العميد[٥].

وعنى « جرانجرت دي لاجرانج» «Grangeret de Lagrange» (مات سنة ١٨٥٩) مرات عدة بديوان المتنبي ، فني سنة ١٨٢٢ نشر وترجم ثلاث قصائد في مدح فاتك [٦] ، وكذلك القصيدة التي مدح بها الشاعر « دلّير بن لَشْكَرَوَزّ» [٧] بعد ذلك بسنتين، وأخيراً في سنة ١٨٢٨ ، جمع هذا المستشرق

---

(١) القطعة ١٥٥ .

(٢) قصصي ألماني . وفي القاموس التاريخي أنه مات سنة ١٨٩٥ (المترجم) .

(٣) ملحوظة رقم ٢١١ ، ص ١٣١ — ١٣٣ ورقم ٢١٦ ، ص ١٤١ — ١٤٦ .

(٤) القطعتان ٧٠ و ١٣٥ .

(٥) القطعة ١٧٢ .

(٦) في الجريدة الأسيوية « Journal Asiatique » العدد ٢ ص ٣٣٥ — ٣٤٨ — القطع ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٦٣ .

(٧) في الجريدة الأسيوية العدد ٢ ص ٨٠ — ٨٨ ، القطعة ١٨٠ .

تلك الأعمال المتفرقة فى كتابه: المنتخبات العربية[١] (Anthologie arabe) مصحوبة بهذا الحكم : « عندما ننتقل إلى قراءة أبى الطيب، بعد دراسة عميقة للغة العربية ، لا تستطيع إلا أن تعرف فيه الصفات التى تكون الرجل العبقرى ، هذا الشاعر ذو خيال ، وحمية ، وحماسة ، ويمتاز خاصة بسمات الفحولة ، والنشاط ، وسمو الأفكار . له أسلوب موجز ، قوى ، يضيئه تعبيرات ممتازة . وله روح تندفع بطبيعتها إلى السمو الذى يصل إليه أحيانا ، ولكنه أيضا ، لقوة رغبته فى أن يصل إلى الكمال ، يخطىء كثيراً فى اختيار الأفكار أو الصور ، وحينئذ يسقط فى المبالغة والزهو »[٢].

فى مقابل هذا التقدير يجب أن نضع تقدير سلفستر دى ساسى ، (Silvestre de Sacy) (مات سنة ١٨٣٨) الذى كتب فى سنة ١٨٢٣[٣]:

« أنا لا أظن أن شاعراً كالمتنبى لعب دوراً هاماً ، نرى اليوم فائدة كبيرة فى أن نعرف الدوافع الحقيقية لسلوكه . ومع ذلك لا يعطينى التملق المفرط فى قصائده ، أية فكرة عالية عن أخلاقه . وخصوماته مع الرجال، الذين كانوا قبل قليل موضوع مدائحه ، ترتبط — على ما يبدو لى — بخلق الطموح المخدوع، أو الطمع الذى لا يشبع » . إلى هذه الحكم الذى يتجه إلى الرجل أكثر مما يتجه إلى الفنان ، يجب أن نضيف حكما آخر يؤرخ بسنة

---

(١) من ص ١ — ٢٤ ترجمة فرنسية . وفى الصفحات من ١٠٠ — ١١٧ ملحوظات ، وفى الصفحات من ١ — ٤٣ (مبتدئا من الآخر) النص العربى ، وسينقل ا . كاهن « A. Kahn » فى كتابه : (الأدب العربى) « La Littérature Aarabe » جزءا من مؤلف (جرانجرت) « Grangeret » نحو سنة ١٩٠٠ .

(٢) ص ١٠٢ .

(٣) فى جريدة العلماء « Journal des Savants » العدد ٦٩٢ ، وفى هذا المقال ، حلل س . دى ساسى كتاب هورست « Horst » الذى ظهر قبل ذلك بزمن قليل ، وسيكون موضوع دراستنا فيما بعد .

١٨٠٦[١]: « شعر المتنبي ليس له - بكل تأكيد - قيمة الشعر القديم ، ولا صعوباته ، وبرغم الشهرة التى تمتع بها ناظمه أرى ، كما رأى رسك Reiske أنه مدين بهذا التقدير الخارق للعادة ، لفساد الذوق عند العرب » . ومع ذلك ، ترجم أستاذ الاستشراق فى فرنسا أربع قطع مهداة إلى سيف الدولة[٢]، وأربع قطع من شعر الصبا ، فى أسلوب أكثر جمالا من الأصل تقريبا ، وقد أضاف إليها كثيراً من الملحوظات ، وسلسلة من الأحكام التى خففت قليلا من حكميه السابقين .

وفى هذا الوقت تقريبا ، استمر المستشرقون الذين يتكلمون الألمانية فى دراسة ديوان المتنبي بطريقه أعمق مما فعل الفرنسيون .

ففى سنة ١٨٢٣ أورد « هورست » (Horst) تحت عنوان (Carmen Abu-Ltajjib Ahmed ben Alhosain Almotanabbii quo laudat Alhosaïnum ben Ishak Altanuchilam) «قصيدة أبى الطيب المتنبي التى مدح بها الحسين بن إسحق

---

(١) المنتخب « Chrestomathie » الطبعة الأولى (باريس سنة ١٨٠٦) وأعيد بنصه فى الطبعة الثانية (باريس سنة ١٨٢٦) (وهى الوحيدة التى رآها المؤلف) ج ٣ ص ٢٨ .

(٢) هاك ماتحويه الدراسة الجزئية التى كرسها سامى على المتنبي فى كتابه (المنتخب « Chrestomathie » ج ٣ . من ١ — ٥ ترجمة للقطعة ١٢٦ ، ومن ٥ — ١٠ ترجمة للقطعة ١٢٧ ، ومن ١٠ —١٨ ترجمة للقطعة ١٢٩ ، ومن ١٩ — ٢٤ ترجمة للقطعة ١٣٠ (كل واحدة من هذه القطع الأربع مسبوقة بترجمة الهوامش التى تحويها المخطوطات رقم ١٤٢٨ من الكتب القديمة للمكتبة الوطنية ، ثم ذكر الظروف التى أوحت بهذه القصائد) ، ومن ٢٤ — ٢٦ ترجمة للقطع ١ — ٢ من الهجاء الذى رواه الواحدى ص ٣٧ ، واليازجى ص ٢١ والعكبري ج ١ ص ٣٠٨ (قافية الراء) والقطعة ١٨ . والصفحات من ٢٧ — ٨٠ ملحوظات لغوية ، نحوية ، تاريخية أدبية ، ومن ص ٢ — ٢٩ (مبتدئين من آخر المجلد) النص العربى للقصائد والهوامش . يجب أن نلاحظ أن هذا الكتاب ظهر بعد كتابى هورست «Horst» و «همر برجستال « Hammer-Purgstal » ، اللذين سنتحدث عنهما ، ولكن كان من اللائق أن نذكره قبل أحكام هذين المستشرقين الألمانيين لأنه . بوجه خاص . حكم سلفستر دى ساسى ، وأنه مؤرخ بسنه ١٨٠٦ .

التنوخى، نص قصيدة[١] مدح للشاعر مع ترجمة لاتينية لها ، وملحوظات عليها ، وقد اجتهد « هورست » فى أن يخفف من القسوة المتناهية فى حكم « رسك » ، من غير أن يعترف ، مع ذلك ، للمتنبي بمنزلة تضارع منزلة شعراء البدو .

وفى فيينا بعد ذلك بعام ، أظهر « همر برجستال » (Hammer Purgstal) (مات سنة ١٨٥٦) ترجمة كاملة باللغة الألمانية لديوان أبى الطيب ، تحت عنوان (Motenebbi, der grösste arabische Dichter) « المتنبى أكبر شاعر عربى » وقد رجع إلى نسخة الواحدى . والترجمة ، مع أنها بأسلوب جميل ، لذيذة ، ولكنها غير صادقة[٢] . ومع ذلك قد يكون « همر برجستال » فكر ، بمحض إرادته ، أن يظهر تأثير الجمال الذى يستخلص من النص[٣] ، أكثر من تفكيره فى أن يبين الفكرة التى يوضحها هذا النص ، وقد سبقت هذه الترجمة بمقدمة طويلة عجيبة نوعا ما[٤] . والمستشرق النمسوى يعلن أيضا معارضته لهورست ، ويناقض فى كل الآراء رسك ، وس . دى ساسى ، الذى يضع فى مقابلته « جرانجرت دى لاجرانج »[٥] . وقد قال[٦] : « المتنبى أعظم شعراء العربيه ، وبعض النقاد من العرب حاول أن يضع أبا تمام بجانبه ، أو أرفع منه ،

---

(١) القطعة ٢١ . من ص ١ — ٢ تاريخ حياة أبى الطيب مترجمة من أبى الفداء ، ومن ٣ — ١١ ترجمة مع شرح لغوى ونحوى لكل بيت ، ومن ١٢ — ٢١ ملحوظات على حياة أبى الطيب مأخوذة من (رسك) و (دربلوت) و (ساسى) و (فريتاج) ، ومن ٢٢ — ٢٦ ملحوظات على الحسين بن إسحاق ، ومن ٢٦ — ٥١ دراسة القصيدة .

(٢) دل سلفستر دى ساسى فى كتابه (المنتخب) ج ٣ ص ١٤ على أن المترجم جعل اسم مدينة (سمندو) علما لأحد القواد البيزنطيين .

(٣) مقدمة (همر برجستال) ص XXX IV وما يليها .

(٤) هاك ماتحويه هذه المقدمة : من ص IX — XXXVIII دراسة حياة المتنبي وديوانه ، ومن ص XLVI-XXXIX ترجمة ألمانية لمقال ابن خلكان عن حياة المتنبى . و ص XLVII ومايليها تاريخ حياة له آخر ، مأخوذ من مخطوط لم يطبع ومن ص LVI-XLIX المبادىء التى قامت عليها هذه الترجمة .

(٥) المقدمة ص XIX وما يليها . (٦) المقدمة ص IX.

ولكن تسعة قرون وضعت قيمة المتنبي فوق كل شك فى استحقاقه المرتبة الأولى ، بينما اسم أبي تمام يذكر جامعا لديوان الحماسة فقط ، أما ديوانه فلم يعرف إلا قليلا ، فى حين استمر مجد المتنبي حيا ، لا يضارعه مجد فى الشرق والغرب. إنه ملك للفن الشعرى ، وأب للقريض ، وشاعر ساحر لا يضارع ».

ومما لاريب فيه أن «همر برجستال» لا ينكر بعض مظاهر الضعف فيه شاعرا ، ورجلا ، فهو ، مثلا ، يقدر ما فى الديوان من قصائد كتبت على عجل [١] ، قدرها الحقيق ، ويقوم تماما دعوى الشاعر للنبوة ، وخلقه الحذر ، ولكن عطفه عليه ، يقوده إلى الإسراع حين يتحدث عن هذه الموضوعات الدقيقة ، فيرى أن القصائد التى أنشأها أبو الطيب على عجل ، لافائدة لها ، ولكنها تؤرخ شبابه (هذا غير حقيق) ؛ وأن الجوهر الأساسى من ديوانه ، مع ذلك ، ليس فيها ، بل فى القصائد التى مدح بها سيف الدولة ؛ لأنها تاج الديوان كله ، لا لامتيازها الشعرى فحسب ، ولكن أيضا لغزارة المعلومات التاريخية والجغرافية التى فيها ، عن حروب سيف الدولة ، وهى بذلك تكمل القصص الناقصة لغيره من المؤرخين [٢]. لأبى الطيب — بدون شك — مظاهر ضعف ، ولكن سببها فورة كبريائه . أما اللوم الذى وجه إليه « رسك » على انه مبالغ فى الشعور بقيمته فلا وجه له ، إذا اعتبرنا أن صرخات الكبرياء التى يبين عنها شعره ، كان مضطرا إليها ، ليظهر قيمته أمام حماته» [٣]

مقدمة «همر برجستال» ، كما نستطيع أن نراها — دفاع لمصلحة الشاعر ، الذى نال إعجابه ، بدون تحفظ ، أكثر منها دراسة للشاعر ، ولم يغير المستشرق النمسوى رأيه فى التقدير بعد ثلاثين سنة [٤] .

---

(١) المقدمة ص XXV.
(٢) المقدمة ص XXVI.
(٣) المقدمة ص XXIII.
(٤) « همر برجستال » تاريخ الأدب « Literatur geschichte » جـ ٥ ص ٧١٢ وما يليها .

فى الوقت الذى ظهرت فيه ترجمة « همر برجستال » أصبح من الممكن فهم حياة ابى الطيب بوضوح ، وتقدير ديوانه تقديراً أدق ، ويدل على ذلك بصورة قاطعة الدراسة التى كتبها ب . بوهلن (P. Bohlen) بمدينة « بُنْ » (Bonn) سنة ١٨٢٤ تحت عنوان (Commentatio de Motenabbio Poeta Arabum celeberrimo) (شرح شعر المتنبي : الشاعر العربى المشهور). هذا الكتاب مكون من أربعة أقسام : الأول (من ص ١ – ١٠) يدرس حياة المتنبي ، ويختم بقائمة للدراسات التى كرسها المستشرقون على الشاعر . والقسم الثانى (ص ١١ – ٣٥) يحوى عرضا شائقا لآراء أبى الطيب الدينية ، أخذها من المعلومات التى فى الصبح المنبى للبديعى ، وأضاف «بوهلن» إلى هذا صورة للشاعر ، مستعينا بالمواد الغزيرة التى يحويها الديوان . والجزء الثالث خصص لدراسة الديوان دراسة أدبية ؛ وهنا يذكر المؤلف سلسلة من أحكام السابقين ، ويناقشها ، ويضيف إليها حكمه الخاص . وعنده أن المتنبى ليس من العظمة ولا من الحقارة بالقدر الذى يقال عنه ، فهو شاعر ذو مهارة لا تجحد ، ولكنه متأثر بوسطه ، لم يستطع أن يقاومه ، وكثيرا ما كان صورة للانحطاط الأدبى للعصر الذى عاش فيه .

درس «بوهلن» بعد ذلك نظام القصيدة عند أبى الطيب ، وأخذ نموذجا لذلك القصيدة التى مدح بها محمد بن عبيد الله العلوى ، وذكر نصها ، وترجمتها اللاتينية (ص ٤١ – ٤٥)[١] ، ودرس العبارات الدارجة (Les clichés) التى استعملها الشاعر (ص ٤٧ – ٥٩) ، ووصف المعارك الحربية (ص ٧٢–٧٨) وأخيرا أبيات شعر متفرقة ، فى الترحيب بمقدم سارٍ (ص٧٣–٨٨) ، والقسم الأخير خصص لدراسة الأنواع الشعرية عند العرب (ص ٨٩ – ١١٤) ، وذكر « بوهلن » فى ملحق نص قصيدتين : إحداهما مدح بها الغيث بن

---

(١) القطعة ٩ .

بشر العجلى ، والأخرى سيف الدولة ، مع ترجمتهما وملحوظات عليهما ، وكذلك فعل بالقصيدة التى وصف بها الشاعر سفره فى بلاد العرب ، عقب خروجه من مصر [١] .

ظهور كتاب « بوهلن » يفتح تاريخا جديدا لدراسات المتنبى ؛ لا لأنه كان فى الحقيقة الدراسة الأولى التى كرست لشاعر الكوفة ، ولكن لأنه يمتاز بخلال نقدية تستحق تمام الاهتمام . و« لبوهلن » فضل أنه فهم قيمة كتاب الصبح المنبى ، وعرف أن يستخلص منه فروضا أكدها مانشر من ذلك الكتاب ، وقد اقتنع بان أفضل الينابيع لحياة المتنبى هو — فى الحقيقة — الديوان . وأخيرا رأى مثل « جرانجيرت دى لاجرانج » أنه لكى نحكم على شاعر عربى ، يجب أن نتخلص من أحكامنا الغربية التى كنا نتخيلها من قبل . وقد قدر المستشرقون دراسة « بوهلن » عظيم التقدير . واستفادوا منها بطرق شتى .

يجب أن ننتظر بعد ذلك حتى سنة ١٨٤٠ ، لنجد دراسة جديدة واسعة لأبى الطيب ، فى هذا التاريخ ذكر « ت . جينبول » (T. Juynboll) النص العربى لقطعة [٢] ، لا معنى لها مع ذلك ، وترجمها إلى اللاتينية ، وصحب ذلك بملحوظات على حياة شاعر الكوفة وديوانه ، وبدراسة ثمينة ، فى وقتها ، للمخطوطات الصالحة لأن تستخدم لطبع الديوان .

---

(١) القطع ٢٧ و ١١١ و ١٦٤ .

(٢) « جينبول » فى « الشرق » (Orientala) ﺟ ١ من ص ١٩١ — ٢١٥ النص العربى القطعة ١٢٩ ، ومن ٢١٦ — ٢٣٧ دراسة مخطوطات الديوان المحفوظة بمجمع ليد العلمى ، وبخاصة المخطوط رقم ٦٢٩ . (انظر دى جوج (De Coeje) ﺟ ١ ص ٣٩٣) ومن ص ٢٣٧ — ٢٤٩ تاريخ حياة المتنبى مستقى من المصادر العربية . والمستشرقين (دى ساسى ، بوهلن ، همر) ومن ص ٢٥٠ — ٢٩٤ الترجمة اللاتينية مع شروح .

ثم لا نستطيع إلا أن نشير مارين إلى تقريظ « ماك جكن دى سلان » (Mac-Guckin de Slane) الذى ظهر سنة ١٨٤٣ [١].

وفى سنة ١٨٤٧ نشر « ج . ف . هس » (J. F. Hesse) فى «أبسال» (Upsal) النص العربى لقصيدتين أهديتا إلى على بن صالح الروذبرى ، وإلى سيف الدولة ، مع شرح الواحدى عليهما ، وترجمة لاتينية لهما ، وملحوظات . وسبق ذلك كله بذكر الكتب التى ألفت عن المتنبى ، وبعرض وجيز للأحكام التى أصدرها الواحدى ، والثعالبى ، وهمر برجستال ، ورسك ، ودى ساسى ، وبوهلن ، وجرانجيرت دى لاجرانج ، على ديوان المتنبى [٢]. هذا الكتاب جمع أمين ، ولكنه خال من الجدة .

فى هذا العام نفسه ، ظهرت دراسة أخرى بليبزج . كتبها «ف . ه . ديتريسى» (F. H. Dieterici) مات سنة ١٩٠٣ ، وهى تدل — على العكس — على مجهود عظيم للوصول إلى تقدير ديوان المتنبى . ولم يستعن الكاتب بشرح ، بل بكتاب مؤلف شرقى هو «الثعالبى» ، فتحت عنوان : «المتنبى وسيف الدولة» ترجم فى الحقيقة فصل هـــذا المؤرخ فى اليتيمة ، وأتمه بما وصل إليه

---

(١) ظهرت فى قاموس تراجم ابن خلكان (وفيات الأعيان) (Ibn Khallikan biographical Dictionary) ص XXXIII (انظر جبريلى فى كتابه Studi ص ٤٣) .

(٢) هس Hesse فى كتابه (Poemata Motenabi quoe cum Commentario el Vahidi ex 111 Cd. mss. bibliot. Upsal exscripta et versione notisque instructa) . (شعر المتنبى مع شرح الواحدى) . سجل مخطوطات مكتبة أبسال مع ترجمة وملحوظات تاريخية .

بالكتاب مقدمة ودراسة مأخوذة من كتب السابقين ص I — XI . ومن ص ١ — ٩ نص القطعة ٧٤ ، مع شرح الواحدى ، ومن ١٠ — ١٧ نص القطعة ١٦٩ مع شرح الواحدى أيضا ، ومن ١٨ — ٢٧ ترجمة لاتينيه للقطعة ٧٤ متبوعة بملحوظات ، ومن ٢٨ — ٣٧ ترجمة لاتينية للقطعة ١٦٩ مع ملحوظات ، ومن ٣٨ — ٤٦ ذيل به بيان المخطوطات التى استخدمها واختلاف النصوص .

المستشرقون (١) .

من الممكن أن يلام « ديتريسى » بأنه أقام — بكل بساطة — مقام رأى « رسك » و س . دى‌ساسى » رأى ناقد من القرون الوسطى ، ولكن ذلك فى هذا التاريخ كان تطورا هاما فى دراسات المتنبي ؛ فلأول مرة حقا ، يعرض ديتريسى ، فى أوربا ، الأسباب التى من أجلها ، كانت القرون الوسطى تعجب بشاعر الكوفة ، ومن أجل هذا يقول بالتغرب العقلى (٢) الذى نادى به «بوهلن» ، « وجرانجرت دى لاجرنج » للوصول إلى فهم الشاعر العربى .

بعد ذلك ببضع سنين ، قدم « ديتريسى » للاستشراق — فضلا عن هذا — مادة جديدة لدراسة المتنبي وديوانه : ذلك أنه إلى هذه اللحظة حقا ، ما كان يستطاع أن يعرف ديوان هذا الشاعر إلا فى مخطوطات أو طبعات رديئة لكلكتا و بومبى ، ظهرت سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) وسنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٤ م) حتى إذا كان عام ١٨٥٩ وعام ١٨٦١ ، أظهر هذا العالم الألمانى الجزء الأول ثم الجزء الثانى من ديوان أبى الطيب ، مع شرح الوحدى (٣) . هذه الطبعة يجب أن تعد من أجمل آثار العلم الحديث ، ففى المقدمة وضع « ديتريسى » المتنبي فى وسطه الأدبى ، وأشار إلى الضرورة التى قضت على الشاعر أن يوفق بين خضوعه وبين ميوله فى الاستقلال ، وأضاف إلى ذلك أن المتنبي ، لتأثره العميق بحياة البدو التى تذوقها وقتا طويلا (أعاد الشعر إلى

---

(١) الصفحة الأولى وما يليها مقدمة على طبيعة المنتخبات فى الأدب العربى ، وقيمتها . وص ٧ وما يليها ، القسم الاول دراسات على المتنبي : تاريخ حياته مأخوذ من « بوهلن » و « همر برجستال » ، ودراسة الديوان مأخوذة من الثعالبى : العبارات العامية ، وعيوب المتنبي ومحاسنه ، ص ٧٩ وما يليها ، والقسم الثانى على سيف الدولة ص ١١١ ومايليها ، والقسم الثالث الترجمة ص ١٢٧ والقسم الرابع شروح لغوية وأدبية وتاريخية ثم الفهارس .

(٢) يريد بذلك أن من الواجب تقدير المؤلفات الشرقية بقوانين غير القوانين الغربية .

(٣) المتنبي بجمع شرح الواحدى «Motonabii carmina cum commentario Waidii»

الينابيع التي كان ينبع منها) وأنه « كان الأخير الذي قلد تقليداً موفقاً ، الشعر القديم لأعظم شعراء العرب [١] » .

لن يشار إلا للتذكار فحسب إلى رأى « ت . ج . أهلواردت » « T. G. Ahlwardt » (مات سنة ١٩٠٩) الذى لا يرى فى أبى الطيب إلا مقلداً هزيلا [٢] للشاعر الجاهلى امرىء القيس .[٣]

فى سنة ١٨٥٩ وجد (ت . نولدكه T. Noldeke) (مات سنة ١٩٣٠) الفرصة سانحة لتقدير ديوان المتنبي ، عند ما كتب مقالا يتحدث فيه عن نشر « ديتريسى » للديوان [٤] ، وهو فى الجملة ، لم يصنع إلا أن نقل حكم « رسك » ، و « س . دى ساسى » . وقد بحث مع ذلك ، عن تفسير لأخطاء المتنبي فى الوسط الأدبى لعصر الشاعر ، ويرى أن أبا الطيب « عظيم العبقرية فى الشعر ، ويجب أن تنسب أخطاؤه إلى العصر والظروف ، أكثر مما تنسب إليه نفسه » .

فى هذا التاريخ عينه كتب ج . موهل « G. Mohl » (مات سنة ١٨٧٦) مقالا آخر [٥] عن عمل « ديتريسى » ، وفيه حكم على أبى الطيب بما يأتى :

« لم ينل واحد من شعراء البلاط شهرة كهذه التى نالها المتنبي ، ولا شيء يستطيع أن يعطينا فكرة دقيقة ، ولا أن يقدم لنا مثلا أكثر تأثيراً ، لأخلاق شعراء البلاط ومكانتهم من حياة المتنبي [٦] . والخلاصة أنه شخصية غريبة لها قيمتها ، برغم ما يلوثها من عيوب نشأت من موقفه شاعراً . على أن روح العصر تغفرها بل وتجعلها مشروعة . وقد حفظ له أكثر من ثلاثمائة قصيدة ، كانت منذ البداية ، وظلت عدة قرون ، موضع الإعجاب

(١) Motanabii Carmina المقدمة VIII .

(٢) Ueber die Poesie der Araber « حول شعر العرب » ص ١٨ .

(٣) شاعر جاهلى ينسب إليه ديوان ضخم . انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ٢ ص٥٠٥ .

(٤) ز . د . م . ج سنة ١٨٥٩ العدد XIII ص ٣٠٥ — ٣١٠ . انظر جبريلى ص ٤٣ — ٤٤ .

(٥) الجريدة الأسيوية سنة ١٨٥٩ العدد XIV ص ٣٤ـ٣٧ .

(٦) يتبع ذلك ترجمة حياة الشاعر .

والنقد ، والشروح ، التي لا عد لها » . يمكن الجدل في المكان الذي يحتله أبو الطيب في الشعر العربي ، ولكن « أمته هي المختصة بأن تعينه له ، وإذا كان قد حافظ على هذا المكان قروناً عدة ، فليس لنا إلا أن نقبل رأى قضاته الطبيعيين » .

كان الحكم الذي أصدره [١] (الفرد فون كريمر Alfred Von kremer) سنة ١٨٧٧ مسيئاً نوعا إلى المتنبي ، برغم الجهد الموضوعي الذي لا ينكر . فبعد أن رسم هذا المستشرق منهج شاعر الكوفة في حياته ، حكم على ديوانه قائلا : « قصائد أبي الطيب تمتاز بالمبالغات ذات الذوق الرديء ، وبالأسلوب الكثير الصنعة ، وبتغيير معاني الكلمات ، وهي لذلك تقدم لعلماء اللغة الفرصة في أن يكتبوا شروحا علمية . ولكي يظهر المتنبي بمظهر العلماء ، أخذ ، بمحض إرادته ، يأتي باصطلاحات فنية ، وتعبيرات نادرة ، حتى أصبحت أشعاره وحدها بدون شرح غير مفهومة . هذه الأخطاء لا يعوضها ، إلا إلى حد ما ، قطع صادقة الجمال ، وأوصاف شعرية عالية ، وأفكار سامية ، ومع ذلك ، هناك خصوصية من الواجب أن نضعها في المقدمة : تلك هي الميزات السامية للقطع الرثائية الفلسفية [٢] ، والتعزيات والحكم ، التي يمتاز بها الشعر الحديث ، بموازنته بالشعر القديم البدائي ، حيث نجد في الحديث نتاج النشاط العقلي المفكر ، المتأمل ، المجرد الذي لا يوجد عند القدماء ، والذي يظهر بوضوح لأول مرة عند أبي العتاهية [٣] » وفي نظر « أ . فون كريمر » يباين ديوان أبي الطيب تمام المباينة ديوان أبي فراس ، من حيث صدور هذا من تلقاء

---

(١) Culturgeschichte (تاريخ الثقافة) جـ٢ ص ٣٨٠ وما يليها .
(٢) يشير هنا « أ . دى كريمر » إلى الأفكار الحكيمة التي تضمها بعض القصائد .
(٣) شاعر عراقي مات سنة ٢١٠ هـ (٨٢٥م) تقريبا . انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ٨١ .

النفس ، ومن حيث رقة العاطفة والبساطة (١) ، ولهذا يظل ديوان المتنبي أقل كثيراً من ديوان أبي فراس .

لا نستطيع إلا أن نشير ، مارين ، إلى بعض الاستشهادات بشاعر الكوفة ، تلك الاستشهادات التي نجدها في المؤلف الضخم ، الذي وضعه (إ . جولدزيهر I. Goldziher) (مات سنة ١٩٢١) ، ويرى هذا العالم أن المتنبي تتمثل فيه بعض الاتجاهات الاجتماعية ، وبعض الأفكار اللادينية لعصره ، ولكنه في الحقيقة ، غير مبتدع (٢) . والمتنبي ، في فنه يبدو أيضاً أحد قادة مدرسة المحدثين (néo- classique) ، وقصائده تناقض قصائد الأقدمين الذين كان يسوى نفسه بهم (٣) ، للحرية التي استخدمها في نظام القصيدة وهذا الحكم قد أقره بعض النقدة الشرقيين ، كابن الأثير في كتابه المثل السائر (٤).

ك بروكلمان C . Brokelmann في كتابه الأول : (Geschichte der arabischen Litteratur) «تاريخ الأدب العربي» الذي ظهر سنة ١٨٩٨ (٥) خص المتنبي بدراسة هامة : فصور بتفصيل أوسع مما فعله « أ . فون كريمر » حياة هذا الشاعر ، ومر بأخلاقه مراً سريعاً ، ولخص موقف النقد الشرقي إزاء ديوانه ، وختم بهذا الحكم : « كان المتنبي نفسه يعتقد أنه فاق القدماء ، ونحن لانستطيع أن نعد هذا الاعتقاد إلا غروراً ، لأن القليل من العبارات

(١) انظر Culturgeschichte ج ٢ ص ٣٨٢ و ٣٨٥ .

(٢) راجع Hebraiche Bibliographie المكتبة العبرية لسنة ١٨٧٠ ص ٥٩ — ٦٠ في المقال القصير الذي عنوانه Mutanabbi und ein jude « المتني واليهودية » وأيضاً في : Muhammadanische Studien « دراسات إسلامية » ج ١ ص ٧٨ و ١٥٢ وما يليها . وجولدزيهر يذكر المتنبي ليرى : أولا . المعارضة التي وجدت في القرن الرابع (العاشر الميلادى) بين الحجازيين واليمانيين . ثانيا : رد الفعل العربي ضد من ليسوا بعرب ، وصاروا سادة الخلافة.

(٣) جولدزيهر Abhanlungen ج١ ص ١٤٥ وما يليها .

(٤) المرجع السابق ج ١ ص ١٦٠ .

(٥) الجزء الأول من ص ٨٦ــ٨٩ .

الشعرية الرائعة حقا (والتى معانيها ، فضلا عن ذلك ، ليست له) تتوارى وراء البلاغة المتكلفة ، والمجازات الفارغة ، والمبالغات فى المدح ذات الذوق الردىء ». و « بروكلمان » مثل « فون كريمر » يضع أبا فراس فى منزلة أعلى حقا من منزلة أبى الطيب[1] ، وقد عاد « بروكلمان » بعد ذلك بعشر سنين فأخذ رأيه هذا ، وأكمله فى كتابه الثانى[2] الذى خصصه للجمهور ، فقال : « أكثر معاصرى المتنبى ، والمتأخرين عنـــه من النقاد يرونه أحد أعاظم الشعراء ، أو على الأقل خاتمة الشعراء العظام . بعض هذا الرأى له أساس ؛ فإن أبا الطيب فى الحقيقة قد نمى ، فى النظام (cadre) القديم للقصيدة ، البذر الذى غرسه واعتنى به عظماء الشعراء فى العصر الأموى ، إلى تمام إنصاجه ، بل إلى ما فوق إنضاجه ، فقد أخذ بآخر ما انتهى إليه من هذه النتائج فى هذا الفن ، وغالباً ما كان يفقد الذوق ، ويظل فن أبى الطيب لغزاً بالنسبة إلينا ، وبينما نستطيع أن نعجب فى الشعر القديم بنقاء الصورة نقاء تاما ، برغم معانيه الأجنبية الغريبة عنا ، نرى كل شىء قد شوه عنـد المتنبى ، باستخدام فنون البيان ، والمجـاز ، والتشبيهات المتـكلفة التى لا تفهم ، ويظهر الزهو المتصنع عند الشاعر الشرقى بغزارة ، بينما نبحث عنـه عبثاً ، لدى الشعراء الأقدمين من البدو ، الأمر الذى حمل الأوربيين على أن يحكموا على الشعر العربى كله أقسى الأحكام ضده .

ليس من السهل أن نكون فكرة عن رأى المستشرق « ك. إيوارت » (C. Huart) (مات سنة ١٩٢٦) فى المتنبى ، من الخلاصة التى ظهرت سنة ١٩٠٤ فى كتابه « الأدب العربى » (Littérature Arabe)[3] فهو فى الحقيقة إذا قال حينا : « إن شعر المتنبى قد استحسن وانتقد بإفراط ، فى العالم العربى والعالم الأوربى ،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ٨٦

(٢) ص ٩٠ .

(٣) ص ٩٢ـ٩٤ .

رأيناه يترجم بيتا [١] لشاعر الكوفة بجده — لبعض الأسباب — شديد التكلف ، ثم يضيف قائلا : « هذه الاختراعات الثقيلة من مدعى النبوة ومعاصريه، كان لها نجاح عظيم، حتى أصبحت حاكمة مستبدة بالشعر الشرقى » وربما كان رأيه — مع أنه حكم بقسوة على تصنع المتنبي — أن الشرقيين هم وحدهم الأكفاء لأن يقدروا ديوان المتنبي ، وأن يفرضوا فى ذلك رأيهم .

مهما كانت الخلاصة التى ذكرها عن أبى الطيب سنة ١٩٠٧ « ر . أ . نيكلسون « R.A.Nicholson » فى الطبعة الاولى من كتابه: تاريخ الأدب العربى A.Literary History of the Arabs [٢] — مفصلة نوعا ما، فهى لم تضف شيئاً تقريباً إلى أعمال المستشرقين . فتاريخ حياة شاعر الكوفة هناك (ص ٣٠٤ — ٣٠٧) نسيج من قصص مستعارة من جامعي العرب . كما أن تقديره لنقد القرون الوسطى أو الأوربية معروف فى أماكن أخرى ، والجدير بالعناية فقط هو موقف « نيكلسون » إزاء ديوان المتنبي ، فهذا العالم الإنجليزى يقبل مبدأ : « أن الشرقى مولداهو وحده الكفء لان يقدر المتنبي التقدير العادل» (ص ٣٠٨)، ولهذا يجب أن نحاول تحقيق « وجهة النظر الشرقية . لنعارض بها ، بكل ما فى استطاعتنا ، أفكارنا عما يتحقق به الشعر الجيد ، والذوق الحسن » ، وإذا أريد الوصول إلى تقدير عادل لشاعر سيف الدولة ، يجب الالتجاء إلى ناقد عربى، يكشف لنا أسرار فن المتنبي ، والثعالبي بيتيمته خير من يكفل لنا ذلك. ونتج من هذا أن ذكر « نيكلسون » باختصار، نظرات هذا المؤلف فى أبى الطيب وديوانه (ص ٣٠٩ — ٣١٢) . وبعدئذ وصل إلى

---

(١) ترجم ليوارت البيت الآتى :

في جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان

وهو من قصيدة يمدح بها الشاعر سيف الدولة . (المترجم)

(٢) رجعت إلى الطبعة الثالثة . لندن سنة ١٩٢٣ ص ٣٠٤ــ٣١٢ . وارجع إلى رأى حلمى فى هذه الدراسة ص ١٤٩ والملحوظة رقم ١ ، وإلى جبريلى فى كتابه ص ٤٤ وما يليها .

هذا الاستنتاج الغريب الذى سنعود إليه : « نستطيع أن نسمى المتنبي فيكتور هيجو الشرق .. إن قوة الفحولة فى شعره ، وتوثب بيانه وفخامته ، وغزارة خياله ، وشجاعته فى ألا يكترث ، هى الصفات التى جعلتنا نعده فنانا عبقرياً » .

لكتاب « كراتشكوفسكى Kratchkowsky » عن المتنبي وأبى العلاء أهمية كبرى ، وأفكار أبى الطيب الدينيـة هى صلب هذه الدراسة ، ويجب أن نضيف إلى هـذا تقديره لديوان أبى الطيب الذى ظهر سنة ١٩١٣ فى مقدمة[١] ديوان أبى الفرج الوأواء الدمشق . وفيها يعترف « كراتشكوفسكى » بقيمة المتنبي فنانا ، ولـكنه يراه متصنعاً . يكشف فيه صفات المفكر ، ولـكن يعيب عليه بعده عن الإحساس الحقيق . وفى الجملة يفضل عليه أبا فراس ، لأنه أكثر بساطة فى أسلوبه ، وأغنى منه خاصة فى التعبيرات التى يمليها القلب.

لم يظهر أى مؤلف جديد له أهمية ما فى السنوات التى تلت ذلك التاريخ ، ولا يكاد يظهر من وقت لآخر إلا مقال قصير أو حكم سريع على أبى الطيب : فى سنة ١٩١٠ ترجم « ج . هورفتز (J. Horovitz) » بعض أبيـات القطعة ٨٩ ، لا لقيمتها الأدبيـة ، ولـكن لفائدتها التاريخية[٢] . وعلى العكس من ذلك ترجم « ج . ديوهرست J. Dewshurst » إلى الإنجليزية سنـة ١٩١٥ بعض أشعار المتنبي ، للأسلوب الذى بدا له ممتازاً[٣] . وقد كتب إلى « رينى باسـت (René Basset) » (مات سنة ١٩٢٤) « برغم كل شيء ، لا نستطيع أن نعد المتنبي إلا ناظما عظيم المهارة ، يلعب بالـكلمات والأساليب والتعبيرات بصورة تحير الأفـكار ، ولـكن هـذا كل شيء . حكمه الفلسفية ليست إلا

---

(١) المقدمة ص ٢٨

(٢) Die Beschreibung eine Gemàldes bei Mutanabbil فى كتاب Der Islam (الاسلام) ج ١ ص ٢٨٥ وما يليها .

(٣) فى جريدة الجمعية الملـكية الأسيوية Journal of the Royal Asiat. society. يناير سنة ١٩١٥ .

قضايا مطروقة، ولو أنها قد جمعت فى مؤلف خاص كتبه الصاحب بن عباد. وفى الفخامة، والغنى فى اللغة، وبريق الأسلوب، يستطاع موازنة المتنبى «بجان بابتست روسو» (Jean Baptiste Rousseau) الذى دعى فى وقته : بالشاعر الفرنسى الغنائى الاول [١]» . وقد رأى «أ . مز» «A. Mez» (مات سنة ١٩١٧) قريباً من هذا، عند ما قال : «إن المتنبى شاعر فنى مغرم بالأمور المجردة [٢]. وكارادى فو (Crra de Vaux) فى كتابه «مفكرى الإسلام» «Penseurs de L'Islam» الذى ظهر سنة ١٩٢١، لم يذكر إلا وهو مار، المتنبى «الذى عرف بأنه خاتمة الشعراء العظام» وقد حكم عليه هذا الحكم بدون مراجعة. لأن النقد العربى وصفه به [٣]، وكذلك يذكر (ل . ماسينيون (L. Massignon) أنه إذا كان أبو الطيب «قد انتقد كثيراً، فمن المحقق أنه فى رأى المسلمين أعظم شاعر عربى [٤]» ، وقرر أنه «يوجد هنا وهناك عند المتنبى، حكم ذات إيجاز مؤثر، ومعرفة بالنفس قوية [٥]» .

بعد ذلك ببضع سنوات أخذ (هـ . أ . ر . جب H.A.R.Gibb) فى كتابه (الأدب العربى Arabic Literature [٦]) ما قاله بروكلمان عن ديوان المتنبى . ورأى فى هذا الشاعر أحد خواتيم شعراء العرب العظام . وأخيراً يرى «جودفروى — ديموميينس» (Gaudefroy - Demombynes) فى

---

(١) صحيفة العصور الإسلامية Bulletin des périodiquel de L'Islam (١٩١٤—١٨) (مجلة تاريخ الأديان سنة ١٩١٩) المجلد LXXX ص ٣٢٠ ، وقد علمت من المأسوف عليه هنرى باست Henri Basset أن رينى باست René Basset ترجم ديوان المتنبي بأكمله، وأنه كان عازما على نشره عند ما عصف الموت بهذا الغرض سنة ١٩٢٤ ، ولسوء الحظ لم أر هذه الترجمة .

(٢) فى كتابه «نهضة الإسلام» (Die Renaissance des Islams) ص ٢٦٠ . هذا الكتاب ظهر بعد موت مؤلفه .

(٣) مفكرو الإسلام ج ١ ص ٣٣٣ وما يليها .

(٤) Méthodes de réalisations artistiques «مذهب الواقعية فى الفن» ص ٢١ .

(٥) مأخوذ من رسالة شخصية صرح لى السيد ل . ماسينيون بنشرها .

(٦) ص ٦١ .

أبي الطيب ، شاعراً منح بسخاء طبيعة جددت فى تمجيد سيف الدولة أساليب الشعر البدوى وموضوعاته ، و « رأى العرب فيه أنه أعظم شعرائهم[١] » .

إذا كان شرح بوهلن – كما رأينا – يجب أن يعد من أهم أعمال الاستشراق التى أوحى بها أبو الطيب ، فكم يكون أكثر سداداً ، أن نحكم بذلك على الدراسات الثلاث ، التى خص بها شاعر الكوفة « ف جبريلى F.Gabrieli » .

عنوان الدراسة الأولى : حياة المتنبى[٢] La Vita di al-Mutanabbi وهى تعنى بحياة الشاعر فقط ، ولأن الكاتب قد استفاد من كل المؤلفات الشرقية والأوربية ، وضع حياة المتنبى فى أكمل وضع ظهرت فيه حياة أبى الطيب إلى يومنا هذا

وفى (دراسة شعر المتنبى Studi sulla Poesia di al - Mutanabbi[٣]) التى تلت الدراسة السابقة ، بحث « ف جبريلى » المظهر الخارجى لديوان الشاعر – إذا كان من الممكن قول ذلك – ببيان علاقته بالتطور العام للشعر العربى . وذكر بصورة موجزة ، لكن دقيقة ، ما يميز شاعر سيف الدولة من الشعراء المحدثين والأقدمين (ص ٣–٦) ، وأوضح مجهود المتنبى ضد نُظُم القصيدة ، وكذلك تردده فى أن يستمر فى الحرية التى اصطنعها أبو نواس وأبو العتاهية ، واستخلص أن المتنبى ظل ، فى الحقيقة ، أقرب إلى القدماء منه إلى المحدثين (ص ٧–١٢) . هذه النتيجة تبدو مع ذلك طبيعية جداً ، إذا درسنا قليلا الأصول الأدبية لأبى الطيب ، وقد فطن إلى ذلك

---

(١) العالم الإسلامى والبيزانطيون Le Monde musulman et byzantin ص ٣١٦ .

(٢) ظهرت فى مجلة الدراسات الشرقية Rivista degli Studi orientali بروما . أبريل سنة ١٩٢٦ العدد IX ص ٢٦ – ٦٨ .

(٣) ظهرت فى Rendiconti della reale Academia nazionale dei Lincei روما سنة ١٩٢٧ السلسلة السادسة (T III) الجزء الأول ص ٣ – ٤٥ .

الحاتمي والعميدى وآخرون ، رأوا ديوان المتنبي وليد المعرفة العميقة بدواوين الجاهليين والإسلاميين والمحدثين .

لا يستطيع أحد أن ينكر تأثير شاعر الكوفة فيما جاء بعده من أدب : شعر أو نثر مسجوع (ص ١٢ — ٢٠). وإن ثقافة المتنبي، وبخاصة اللغوية، تفسر ما لديه من ذوق التدقيق ، وحب استعمال القديم ، مما نجده أيضاً لدى علماء عصره (٢٠ — ٢٢) .

دراسة المذهب الديني للشاعر الكوفي يعترضها كثير من الصعوبات . «وجبرييلي» لا يعُدحجة قاطعة هذه الأبيات التي ذكرها الشرقيون والأوربيون، والتي تجعلنا نصدق أن هذا الذي يلقبونه بالمتنبي ملحد حقيق . من المؤكد أننا لا نستطيع الشك في عدم اكتراث الرجل ، ولكن رفع عدم الاكتراث العملي الذي لا شك فيه، إلى إلحاد نظرى ناشيء عن تفكير واقتناع، يبدو لى أن ذلك رغبة فى أن نجعل الشاعر بالأبيات منفصلة عن قصائدها وظروفها التي ألفت فيها — يقول ويشعر بما لم يكن يوما يتخيل أن يفكر فيه أو يعبر عنه (ص٢٢ — ٢٦) . لا يليق إذاً أن نعطى هذه الفكرة الدينية أصالة وأهمية نشأت بكل بساطة من العبارات الموهمة لبعض النقاد الشرقيين (ص ٢٧). وهكذا القول فى الأفكار الفلسفية لأبى الطيب ، فهى عبارات مبتورة تجعلنا نكشف فيه إنسانا شاكا مصمما على التشاؤم . ولكن ، يجب ألا تعد هذه الشكاوى المنثورة والعرضية نتيجة لعمل عقلى نظرى ، وإذا لم نحكم عليه إلا بديوانه الشاهد الوحيد الذى لا يُنقض حقا ، لا يبدو المتنبى ، رجلا نظر إلى مشكلة الكون نظرة أشمل من هذا الرجل الذى لم يفكر فى الخليفة. لقد عاش حياته العملية يوما فيوما ، ولم يستنبط للحياة قانوناً عاما ، وهذه النظرات الحكيمة التى تزخرف ديوانه لم يأت بها إلا محافظة على تقليد شديد القدم (ص٢٧ — ٣٣). درس «ف . جبرييلى» بعدئذ موقف النقد العربى والأوربى إزاء ديوان ابى الطيب ، وقد وقف مع ذلك عند حد النظرة

السريعة إلى المجموع . وأغفل بوجه خاص النبضة الحديثة لدراسة المتنبي فى الشرق القريب (ص ٣٤ — ٤٥) .

فى دراسة أخيرة عنوانها «شعر المتنبي[1] «La Poesia di al- Mutanabbi» درس المستشرق الإيطالى قصائد أبي الطيب من الداخل — إذا أمكن قول ذلك — لا باعتبار تأثيرها فى القارىء أو السامع ، بل باعتبار قيمتها الحقيقية. وهنا تعرض مسألة فرعية هي :

« بأى مقياس يمكن أن نميز ، نحن الغربيين ، الحسن وغيره ، من أعمال فنية لأناس يختلفون عنا ، ويرى «ف . جبريلى» — مع اعترافه بالصعوبات ، أن مثل هذا الحكم لا يعني مقدرتنا (ص ١ — ٤)، فهو يبرز السمات المميزة لديوان المتنبي ، المملوء قسمه الأعظم بالمدائح والمراثى ، وإذاً فهذا القسم خلقته المنفعة ، أقيم فيه التصنع مقام الاختيار ، وحلت التشبيهات والمجاز ، مكان ذكر سمات خاصة بكل شخصية ، والأمثلة على ذلك كثيرة . « وجملة القول أن الأمراء ، والوزراء ، والكتاب ، والندماء ، تظل فى الحقيقة ظلالا باهتة ، ولم يرد الشاعر العربى ، أو لم يعرف ان يبعث فيهم الحياة ، إما لأنه لا قدرة له على ذلك ، وإما لأن العرف يمنعه » (ص ٤ — ٨) . ويقال مثل ذلك عن الشخصيات الممدوحة أو المهجوة فى قصائد الرثاء أو الهجاء (ص ٩).

« وإذا كان أبطال شعر المتنبي لا ينبضون بحياة خالصة حرة حين يحبهم أو يكرههم » فأين إذاً يجب أن نبحث عن قيمة ديوان هذا الشاعر ؟ أفى المعانى؟ إنها ليست إلا ترهات ذات بريق كاذب ؟ أفى الفن : باستخدام الخيال والتشبيه ، والمبالغة ؟ هذه كلها ليست إلا شعوذة عقلية (ص ١٠ — ١٢) . والمقطوع به أنه يبقى بعد قراءة هذا الديوان ، إعجاب عميق بمهارة المؤلف ،

---

(١) ظهرت فى Giornale della Societa Asiatica Italiana (جريدة الجمعية الأسيوية الإيطالية) : فلورنسا سنة ١٩٢٩ المجموعة الجديدة الثانية الجزء (١) ص ١ — ٢٥ .

ومايبديه من الغنى فى لغة عرفت بأن ثروتها لاتنفد (ص ١٣) . وإثبات هذا لا يكفى لتبرير ما يبعثه شعر الشاعر من سحر حى فى النفوس ، فالمتنبي أكثر من أن يكون فنانا قوليا ، وفى القرن الذى كان فيه الجنس العربى منهزما تماما أمام غيره من الأجناس الأخرى ، كان المتنبي يمثل مزاج منتصرين تقهقروا (ص ١٤) ، ،وكانت الحياة البدوية الحرة مثله الأعلى دائما ، وإعجابه بها ألهمه أفضل أشعاره حسنا . هذه الأشعار التى يصف فيها حروب سيف الدولة ، ،الذى يراه بعين شاعر جاهلى ، يعظم الحرب للحرب ، أكثر مما يراه بعين تقى مسلم ، . وأملى عليه أيضاً نزوعه إلى الاستقلال ، وأسفه على حياة الصحراء ، وإعجابه بمكانة سيد العرب (ص ١٥ — ٢٠) .

ويمكن أن يقال أيضاً : إن المكان الواسع الذى شغلته المرأة والحب ، والطريقة التى بها تغنى فى المطالع الغزلية لقصائده ، تنبع أيضاً من هذه الوراثة العربية ، لأن ،السيدات اللاتى أحبهن المتنبي وأعجب بهن . لسن المخلوقات ذوات الدل من نسوة الحريم ، ولكن الفتيات البدويات اللاتى أثرن حماسة الشعراء الأقدمين ، (ص ٢١ — ٢٣) . هذا الشعر الذى أوحى به البدو هو أفضل ديوان المتنبي ، لا الشعر الحكمى ،المعين المشترك لأدب عصره، . وكان شاعر الحمدانيين ضحية وسطه الأدبى ، ويجب أن نبحث عن ذلك ونتحراه ، فنجد لديه ، تعمية لا وضوحا . وإلغاء لشخصيته الفنية ، التى تلوح — إذا أردنا الحق — بين حين وآخر فى كل الديوان ، كأشعة سريعة البدوّ والاختفاء ، وهى أكثر تبعثراً ، وأقل بروزا . وهذه الأشعة تتخلى عن مكانها ، لا لشعر التشاؤم ، ولكن للعبقرية الماكرة التى تلهو بالمتنبي ، ومن ثم لا نستطيع أن نعطى المتنبي فى الشعر العالمى إلا مكانا متواضعاً ، يختلف كل الاختلاف عن هذا الذى أعطاه له الشرقيون ، والمتحمسون المعجبون من الأوربيين ؛ فشعره متخلف جداً عن القسم الأعظم من الشعر العربى الجاهلى ، ومع ذلك ربما يكون هو الأخير الذى وجد فيه صدى للشعر الجاهلى (ص ٢٤ وما يليها) .

بعد هذه النظرة الشاملة للمؤلفات التى خصت بها فى أوربا حياة المتنبي وديوانه ، وبعد ذكر هذه الأحكام المختلفة الصادرة على هذا الشاعر من أعظم المستشرقين شهرة ، أصبح من الممكن أن نعود إلى السؤال الذى وضع من قبل ، وهو : هل نجح المستشرقون أكثر من النقاد العرب فى أن يشعرونا بقيمة المتنبي ، وأن يضعوه فى مكانه الحق من الشعر العربى أولا ، ثم من الشعر العالمى ؟

يجب أن نقول أولا : إن كثيرين قد أخفقوا فى هذه المهمة ، فمن المؤكد أن البعض مثل « هندلى » و « ديفال ديستينس » و « همر برجستال » مقودين بميل لم يكلفوا أنفسهم عناء توضيحه [١] — رأوا فى شاعر الكوفة عبقرية ممتازة ، وأن ديوانه غنى ، حماسى ، فخم ، ملىء بالبساطة البدوية ، واختيار أكثر الصور الرقيقة المحبوبة جمالا [٢] ، وآخرين مثل « رسك » و « سلفستر دى ساسى » محكومين بمذهب الذوق الحسن ، الذى اجتهد « سلفستر دى ساسى » مع ذلك فى أن يقاومه — لم يروا فى أبى الطيب إلا مهرجا حقيراً وسفيها معا ، طماعا قليل الحياء ، مدعيا للعلم ، لا يدين بشهرته إلا لفساد الذوق عند العرب [٣] ، وأخيراً نرى القسم الأكبر ، لاعتقاده أن العرب هم وحدهم القادرون على أن يحكموا على ديوان المتنبي ، قد وقف ببساطة عند حد النقل لتقدير النقد الشرقى فى القرون الوسطى أو اتباع اتجاهاته .

ليس هناك ما يستفاد من التحمس الذى لا حد له من الفريق الأول ولا من التحيز بدون روية من الفريق الثانى ، وهؤلاء وأولئك اكتفوا بالحكم بدل أن يفهمونا سببه .

(١) وبما يتعلق « بهمر برجستال » يبدو أنه كان متأثراً بالمعجبين من العرب بالمتنبي ولكن هذا ليس مؤكدا .

(٢) هندلى Sketch جـ ١ ص ١٤ .

(٣) دى ساسى . انظر ص ٨٩ وما يليها .

أما موقف القسم الثالث ، فهو على الضد ، أكثر علمية . وقد وضع هؤلاء المستشرقون السؤال الذى أقلق نفس من يدرس أدبا يخالف آدابنا ، كهذه الآداب الشرقية ، فهل نستطيع نحن الأوربيين أن ندعى قدرتنا على الحكم بسدادٍ على هذه الكتب التى فكر فيها مؤلفوها ، تابعين فيها مبادىء لا تتفق مع مبادئنا ، وألفوها بطرق تصطدم بكل طرقنا ؟ أليس الأفضل أن نعترف بعدم أهليتنا ، وأن نقر — فيما يتعلق بالمتنبى — بأن ديوان هذا الشاعر مدين بنجاحه فى الشرق ، لأسباب تجعل شعره فى أغلب الأحيان يبدو تافها بالنسبة لذوقنا ؟

على هذا المبدأ يبدو أن موقف الفريق الثالث من المستشرقين هو الموقف الوحيد المعقول ، وبالتجربة ، لا يضع هذا الموقف — مع ذلك — محذورات قوية أمامنا . وسنلاحظ أولا أن بعض النقاد لم ينجح نجاحا تاماً فى أن يحتفظ بالشك العلمى ، وقد رأينا كيف كان ، نيكلسون ، شاكا فى قيمة حكمه ، ثم انتهى بأن كتب : إن المتنبى « هو فيكتورهيجو الشرق[1] » . ومن ناحية أخرى نرى الخضوع للنقد العربى ذا أخطاء كبرى ، فكم كانت تقديرات المثقفين الشرقيين مختلفة الاتجاه ، وهى خطرة على الأقل عند نقلها ، بدون شرح لأسبابها ، فإذا ارتأى أحد الأوربيين أن يختار بالمصادفة واحداً من هذه التقديرات ، فهو بدوره يجد نفسه فى بحر » .

هؤلاء الذين كانوا مثل هورست ، وأهلواردت ، ونولدكه ، وبروكلمان

---

(١) ترى عند « همربرجستال » (المتنبي : فى المقدمة ص XV بالأسفل) أكثر الأحوال غرابة فى الدلالة على عدم إمكان البقاء فى الشك العلمى ، فقد كتب « كل شعب هو أفضل من يحكم على عظمة شعرائه وقيمتهم ، على الأقل فيما يتعلق باللغه والأغراض الشعريه ، وحكمه فى هذه الناحيه أفضل من كل أحكام المستشرقين الأوربين » . ولكن هذا لم يمنعه من أن يعلن « أن المتنبى أعظم شعراء العرب » .

متأثرين بالنظريات التقليدية للعرب ، وجدوا فى شاعر سيف الدولة مقلداً ماهراً — لا أكثر — لشعراء البدو الأقدمين . وهؤلاء الذين كانوا على الضد ، مثل فريتاج ، وهس ، ودى سلان ، ونيكلسون ، وكارّا دى فو ، وإيوارت ممن رأوا رأى عامة المثقفين ، وجدوا فى أبى الطيب فنانا متصنعاً لا اتساق فى شعره ، ولكنه أيضا ، فى الكثير الغالب ، ملىء بالقوة والعظمة الحقيقية ، ونرى إذاً من الناحية العملية أن نقد هؤلاء المستشرقين القارس ، لا يتجنب فقط مشكلة حسبت فى أول الأمر غير قابلة للحل ، ولكنه ، زيادة على ذلك ، يؤدى بدون وعى إلى تفضيل مذهب المدرسة العربية على الأوربية .

من المؤكد أن عددا صغيرا من ناقدينا مثل بوهلن ، وجرانجيرت دى لاجرانج ، إلى حد ما ، وموهل ، وفون كريمر ، وكراتشكوفسكى ، وبخاصة ف . جبريلى ، قد تجنبوا ، كما يمكن التحقق من ذلك — الحماسة التى لا حد لها ، وتعصب فريق المادحين أو القادحين ، هؤلاء قد درسوا ديوان أبى الطيب بصراحة ، وحاولوا أن يستخلصوا منه الجوانب المؤثرة فى الرجل وحياته ووسطه ، بعد أن تخلصوا من عقائد الشرق والغرب الأدبية . تقديرهم ذاتى ، بدون شك . ولكنه لا يرتبط بما نزعمه لنا من ذوق جيد ، ولا بذوق الشرقيين ، ويمكن ، بلا ريب ، قبوله أو رفضه كله أو جزء منه ، كما يمكن أيضا مراجعته وإكماله ، ومما لا شك فيه على كل حال أنه إذا أراد ناقد أوربى أن يصل إلى حكم برىء على ديوان شاعر الكوفة ، فمن الواجب عليه أن يلجأ إلى الطريقة التاريخية .

نستطيع أن نقول إن وجود المؤلفات والأحكام التى لخصناها أو ذكرناها سابقا ، يستطيع الآن أن يجنبنا بعض الأخطاء أو الارتيابات .

فأولا ، كما أوضح ذلك ف . جبريلى ، لن نظل محافظين على أن نمتنع عن إبداء الرأى فى ديوان المتنبى ، وهو الموضوع الثانوى الذى أثاره

نيكلسون وآخرون وبما لا غنى عنه ، بدون ريب ، قبل الحديث عن ديوان هذا الشاعر أن نألف الوسط الذى ظهر فيه ، وأن نتقمص — ببذل جهد دقيق — روح هذا الزمن ، وذوقا يشبه بقدر الإمكان ذوقه ، ويتسع لاستساغة طرقه فى التعبيرات الفنية . ومما لا شك فيه أنه بعد أن يتم هذا العمل البدائى يجب أن نعترف مخلصين بأن بعض النواحى الأدبية : كقيمة الكلمات التى اختارها ، ورنينها ، تظل لغزا بالنسبة لآذاننا الغربية ، وفيما عدا ذلك لن نكون أقل من النقاد الشرقيين مقدرة ، بل ربما فقناهم ؛ لأنه ليس لدينا أى روح تعصبى — فى تقرير الجهد والقيمة والجدة فى شعر المتنبى .

ومما لا يقبل الجدل اليوم من ناحية أخرى أن بعض عبارات موجزة ، مهما تكن صحيحة وعادلة ، لا تستطيع أن تعطينا فكرة صادقة عن ديوان مختلف غير متسق ، كديوان شاعر الكوفة ، وفون كريمر مثل قاطع فى ذلك . وأخيراً لن يكون من الحق ، إمكان عقد موازنة ، بين أبى الطيب وفيكتور هيجو ، او جان بابتست روسو ، كما فعل ذلك نيكلسون ، و ر. باست ؛ أو بينه وبين شكسبير . ودانتى ، كما حاول العقاد ؛ فإنه لا توجد صلات مشتركة بين هؤلاء الفنانين المختلفين جنسا وتفكيراً . وإذا قبلنا أن هذه الموازنة لها فائدة ، لا نجدها تخلق لنا إلا ارتباكات يؤسف لها .

إننا إذاً باعتبار ما قدمناه من معلومات ، سنحاول أن نستخلص : لماذا يبدو أن حياة أبى الطيب وديوانه ، يستحقان عناية أحد الغربيين بهما .

الخلاصة

ليس المراد هنا أن نقدر المتنبي فى نفسه ، أو أن ندرس ديوانه بطريقة موضوعية ، فنعنى بأن نخلص أنفسنا بقدر الإمكان من مألوفاتنا الغربية ، بل سنعنى ، على الضد ، بأن نحكم على ديوان أبى الطيب بحسب وجهة نظرنا الأوربية ، لنضعه فى مكانه من الشعر العربى ، ولنبين بم يمتاز ، وما يعرضه لعيوننا من جمال خاص

* * *

قد يكون منطقيا ومرغوبا فيه ، أن نستطيع البدء فى هذه الدراسة مباشرة ، من غير أن نشغل أنفسنا بشخصية المتنبي . ولكن ذلك ، لسوء الحظ ، غير ممكن ، فإن الشاعر ، بذوقه وميوله ، وما لجنسه وعصره من ذوق وميول كذلك ، يقفان دائما فى الحقيقة بيننا وبين قصائد الشاعر . وكم أظهر كثير من المستشرقين قسوة نحو شاعر سيف الدولة ، لأنه فقد عزة النفس فى منهج حياته ! فلنحاول إذاً ، من غير أن ندع أنفسنا تنزلق إلى سخف المدافعين — أن نصلح بعض الأحكام التى حملت على المتنبى بصفته رجلا

فقد اتضحت الفكرة التى كان شعراء العرب عامة ، وشعراء القرن الرابع بخاصة يحملونها عن فنهم [1] ، ولم يستطع المتنبي — وهو مادح أن تكون له أفكار مخالفة . وعابوا عليه أنه كان دنيئا ، مفرطا فى التملق ، مخفيا أومشوها عقيدته، مبديا شراهة إلى الثروة والمجد ، لا يرحم منافسيه ، مليئا بنكران جميل كافور . ولكن هذا العتب لا يتجه إليه وحده ، ومن الواجب أن يتجه إلى هذا الجمهور من الشعراء المتملقين الذين عاشوا — فى كل مكان — يحرقون البخور بإسراف أمام العظماء ، غير مبالين بالحق ،

(١) يرى بلاشير فى كتابه ص ٧ أن هذه الفكرة كانت البحث وراء الثروة عن طريق المدح .

ولا الشرف ، ولا العزة ، وهذا ، كما قال موليير (Moliére) « ليس ذنب الذين يتملقون ، ولكن ذنب الذين يريدون أن يتملقهم الناس » .

وعابوا عليه كبرياءه وفخره ، مع إيضاحهم أن ذلك لا يكاد يتفق مع عبوديته لممدوحيه ، ولكنهم هنا أيضا لم يقدروا تمام التقدير أن صيحات الكبر والتحدى لمنافسيه أو ثالبيه فرضها عليه حاجته إلى أن يدافع عن مكانته ، وأن يرفع نفسه فى نظر حماته الذين كان من السهل خداعهم ، وهذه أقوال شائعة فى شعر البلاط . ولنضف أيضا أنها كانت من التقاليد الخالصة للشعر القديم ، حيث تنشأ للهجاء والفخر القصائد الطوال . وأخيراً نستطيع أن نجد فى أوربا ، لدى مثل كورنى Corneille ، وشاتوبريان chateaubriand، وبيرون Byron ، وفينى Vigny ، وبارس Barrés — عشرات من هذه التصريحات ، التى تشبه فى تساميها تصريحات المتنبى ، ومع ذلك لم تصدمنا[١] .

وسيعترض ، وهذا حق ، بأن خطيئة البعض لا تمحو شيئاً من إثم الآخرين ، وهنا ، فيما يتعلق بالجرى وراء المال ولو ارتكب المرء ما يأباه الضمير ، من المستطاع حقا لوم شاعر الكوفة ، على أنه لم يقاوم تيار عصره ، مع شدة شعوره بعظمته ، ولكن هذا اللوم أيضا يقبل المناقشة ، فمن المحقق أن المتنبى فكر فى أن يحوز الثروة . بوضع نفسه فى خدمة العظماء ، ومع ذلك شعر بثقل هذه العبودية ، بعد بضع سنوات ، نال فيها خيبة أمل متلاحقة ، كما رأيناه[٢] . وإذاً حدثت ثورة السماوة ، التى كان مفروضا فيها بالنسبة إليه

---

(١) — أليس تصريح « مارى باشكرتسف » Marie Bashkirtseff فى مذكراتها اليومية ، طبعة « de la Madeleine » ص ٤٧ ، ذا مسلك يشبه مسلك المتنبى حين تقول : إننى أضع نفسى فوق الكل ... وأعنى أن ينسى ، ويداس ، ويحتقر ، ويمحى كل من سبقنى ، وألا يبقى قبلى ولا بعدى شىء إلا ذكراى » . ومع ذلك لم يثر هذا القول أى غضب فى نفوس الممتازين .

(٢) ارجع الى « بلاشير » ص ٥٥ وما يليها ، فإنه يرى أن المتنبى قد أخفق مراراً عند ما كان يمدح أمراء سوريا ، وكان ذلك من أسباب ثورته فى السماوة .

أن تكون نتيجتها سعة فى الحياة واستقلالا بوجه خاص . وإخفاقه فى هذه المحاولة يشرح عذر المتنبى . فإذا كانت حياته وخلقه كما قيل عنهما ، وإذا كان بعد ثورته فى السماوة ، قد قنع بمكانته شاعراً مأجوراً ، فذلك لأن المجتمع الذى عاش فيه ، حال بينه وبين تحقيق حلمه ، وهكذا رأيناه قد قال فى شعره : تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن .

بعد توضيح ذلك ، نستطيع بجرأة أكثر ، أن نبدأ فى دراسة ديوان المتنبى ، غير خائفين من أن بعض الأحكام الفجة على الرجل ، ينصب على الشاعر .

...

إذا نظرنا إلى الديوان فى مجموعه ، رأينا قصائد المتنبى تمتاز بميزتين : فهى إنتاج شاعر من شعراء البلاط ، كما أنها تنتمى إلى مدرسة المحدثين Nèo-classique . ومن هذا ينتج أنه لا يستطاع موازنتها إلا بقصائد شعراء من هذا النوع ، فلا نجد إذاً عند أبى نواس ولا أبى العتاهية موضوعات تصلح لعقد موازنات مقنعة بينهما وبين المتنبى ، فإنهما — كما قيل — من مدرسة أخرى[1] ، وطبيعة ديوانهما من طبيعة ثانية ، ولكن الموازنة بينه وبين ابن الرومى ، وابن المعتز ، وبينه وبين أبى تمام والبحترى بخاصة — على العكس ، تفرض نفسها بنفسها ؛ لأن المتنبى يرى نفسه تلميذ هؤلاء الشعراء سنوات طوالا[2] . يقلدهم فى أول الأمر تقليداً تاماً ، ثم يتبعهم بعد ذلك فى خفاء ، ويحتفظ ، إلى آخر حياته ، بما أخذه منهم ، وديوانه كدواوينهم ، أهم أغراضه المدح ، وهو مثلهم فى وقوفه عند أخذ الأنواع الثلاثة التقليدية ، وهى المدح والهجاء والرثاء ، ليدخل فيها كل الأغراض الغنائية من غزل ، وحكمة وحماسة ، مما توحى به الظروف . هذا ، ومن المستطاع عده نموذجا

---

(١) ارجع إلى بلاشير ص ١١ (٢) بلاشير ص ٣٢

للشاعر النديم ، الذى لا يختص بزمان ولا مكان ، لأن قسما عظيما من ديوانه غير شخصى ، يبدو كأنه أثر فنى للوسط أكثر من أنه إنتاجه ، وكل القطع التى قالها فى الطور الأول من حياته ، والتى كتبها قبل ثورة السماوة وبعدها بقليل ، والتى مدح بها بدرا الخراشانى ، وأبا العشائر ، وبعض قصائد الطور الثانى والثالث مما مدح به سيف الدولة ، وكافورا ، وفاتكا ، وابن العميد ، وعضد الدولة ، من المستطاع أن يكتبها أى شاعر ماهر ، من هذا العصر أو من غيره ، فنى هذه القطع لا تبدو ميزة زمن ما ، ولا طابع شاعر خاص . إنها من شعر البلاط الجميل ، رقيقة غالبا ، ونفيسة دائما ، متكلفة ، كثيرة الصنعة ، وفضلا عن ذلك تجرى على وتيرة واحدة . ولنلاحظ ، برغم هذا ، أن ديوان أبى الطيب إذا اقتصر على القصائد التى سنتحدث عنها ، يظل أيضاً أثراً أدبياً ممتازاً ، ولكنه فقط لا يستحق دراسة خاصة ، وبالنسبة إلى مجموع الأدب العربى لا يزيد فى الأهمية عن ديوان مسلم بن الوليد أو أبى تمام ، أو البحترى ، أو ابن هانىء أو ابن الهبارية . وإذا كانت قصائد أبى الطيب تنزل من الأدب العربى فى المكانة الأولى التى نعرفها ، وظلت زهاء عشرة قرون موضع الدراسة والمناقشة ، والشرح ، والتقليد ، بحماسة عجيبة فذلك لأنها تمتاز عن شعر هؤلاء الذين ذكرناهم ببعض الخصائص . وبعبارة أخرى ، إذا كان شعر شاعر الكوفة متى ظهر فى أوساط المثقفين من الأدباء والظرفاء ؛ وكان — كما قلنا [١] — موضع التقدير أو الدراسة — كلما وجد فى العالم الإسلامى وسط ملائم له ، فذلك لأنه يمتاز برغم كل شىء ، بأشياء أخرى غير الأساليب الثمنية ، والبلاغة الموفورة ، والرقة التى يبحث عنها الفنانون . تلك هى أننا نجد معنى عظيم الأهمية ، وشديد القدرة

(١) انظر الصفحة ٢ و ٤ .

على أن يثير ما عند أدباء العرب فى كل زمان من إنسانية ، هذا المعنى ربما لم يحاول أحد أن يبين صوره المختلفة ، وهو مع ذلك ، الوسيلة الوحيدة لتوضيح ما ناله ديوان المتنبي من شهرة ، منذ القرون الوسطى إلى الوقت الحاضر [١].

أحد عناصر هذا المعنى بدويته ، ونرى هذا الاتجاه من أبي الطيب فى تقليده فى شعره ، لشعراء شبه الجزيرة العربية الأقدمين ، وفى استعارته موضوعات وصفية من حياة الصحراء . ولنحترس من أن توقعنا كلمة (التقليد) فى خطأ : ذلك أنها عند المتنبي لا تعنى الاقتداء التام . وإن هذا المعجب العظيم بالجنس العربى ، مع احتقاره للبدو [٢] — قد أحب حياة الصحراء ، والقفار الشاسعة ، وضيافة رؤساء العرب [٣] ؛ وإذا كان قد سيطر عليه — كما هو مؤكد — بعض المثل الأدبية ، فى تصويره المنمق للحسان اللاتى يرحلن على ظهور الجمال ، أو فى وصفه لآثار الديار ، فذلك لأنه قد عاش فى الأحوال المتقلبة للغارات التى شنها الحمدانيون ضد البيزانطيين ، ورحل فى شبه الجزيرة العربية ، وخرج للصيد مع بدر الخراشانى أو عضد الدولة . وإلى هذه التجارب الشخصية يعود — بكل تأكيد — قسم عظيم من هذا المسلك البدوى فى قصائد الصيد ، والطرد [٤] ، والوصف الذى يدخله فى العديد من قطعه التى أنشأها فى أزمان مختلفة . وبهذه الروح نفسها يعالج أبو الطيب هجاءه ؛ فهو — فى حقيقته — عظيم الصبيانية ، شديد الخشونة [٥] ؛ لأن شاعر القرن الرابع للهجرة ، يجب عليه حتما أن يتخذ طرقا تشبه طرق

---

(١) جبرييلى فى (Studi) فى آخر المقال ، كان الوحيد على ما أعتقد الذى وردت إليه فكرة عمل ذلك ، ولكن هذا التحليل لم يأت به إلا ليدعم به تقديره الشخصى كأوربى .

(٢) بلاشير ص ١٠٢ .

(٣) بلاشير ص ٢١٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ وكذلك أول القطعة ١٢٩ .

(٤) بلاشير ص ١١ وما يليها ، ٩٩ ، ١١١ ، ٢٤٧ وما يليها .

(٥) بلاشير ص ١١٦ وما يليها ، ٢٠٨ وبخاصة ص ٢٣١ وما يليها .

شعراء العرب الأقدمين ، أو أهاجي من العصر الأموى ، عند ما ينشىء شعره فى مناسبة تشبه مناسباتهم .

هكذا ، كانت البدوية إذاً ، فى جزء من ديوان المتنبي ، سبباً من أسباب نجاحه لدى المثقفين فى عصره ، والعصور التى تلته ، فقد ذاقوا عنده طعم العبارات القديمة ، التى نهلوا منها فى دواوين الشعراء الأولين ، مع الاقتصاد فى استخدامها ، والتقليل من خشونتها ، والإكثار مما يتفق مع ذوقهم ، مع جعل هذا الاتباع إصلاحا أكثر منه تقليداً .

وثمت عنصر آخر يكون هذه الخاصة الثابتة : وهو النغمة الحماسية التى يصل إليها أحياناً أبو الطيب ، وهنا فقط قد يكون واجباً أن نتحفظ طويلا ، فمن الحق أن الشاعر فى كثير من القصائد التى مدح بها سيف الدولة ، عرف أن يرتفع بشعره إلى عظمة مايصفه[1]، ولكن ليس معنى ذلك أن نرى فى ديوانه السمو المؤثر للشعر الحماسى ، كما اعتقد ذلك النقاد الشرقيون ، فإن بينهما فرقا . وفى الحقيقة نجد غالب ما اعتبر شعراً حماسياً فى قصائد المتنبى ليس إلا فخراً شديد المبالغة ، وأحاديث يكسوها التعاظم ، وأوصافا مهولة ، برغم أن الحقائق لا قيمة لها ، مما نجده فى كل الشعر القديم ، وما ينهج نهجه ، والشرقيون ، مفتونين كذلك بالبدوية التى فى شعر الشاعر الكوفى ، قد بالغوا حتى أخطئوا فيما أثبتوه وجعلوه حقا .

وأهم عنصر جعل ديوان أبى الطيب محبوباً فى الشرق ، هو العدد الكثير من الأقوال الحكيمة التى نجدها فيه ، والتى هى — بدون شك — ليست جديدة ، فمن الكثير على عبقرية الشعر العربى ، وهو مكتنز ، مختصر ، مضغوط ، ألا يبدو فيه النوع الحكمى غزيراً ، فى دواوين الشعراء السابقين والمعاصرين والمتأخرين عن أبى الطيب ، ومع ذلك لم يستطع واحد أن يخضع بسهولة لهذا القانون الأساسى للشعر العربى ، الذى ينهى عن أن يرتبط بيت

---

(١) بلاشير ص ١٧٠ وما يليها .

بآخر ، ويأمر بتكديس الفكرة فى بيت واحد ، وكانت نتيجة ذلك أن لا شاعر أكثر منه عرضا للحكم والأمثال ، حتى ابن الرومى ، والشرقيون قد فتنوا بهذه الكثرة ، وسُرُّوا من أن يؤلفوا منها قوائم [1] ، ومع ذلك لم يكونوا يتأثرون فى القرون الوسطى بابتكار الفكرة ، ولم يكن للمعنى بالنسبة إليهم إلا أهمية ثانوية — كما رأينا [2] — وإنما كانوا يعجبون لدى شاعر سيف الدولة بأنه عرف أن يدخل فى قصائده كثيراً من الأبيات ذات الإيجاز الأخاذ .

والعنصر الأخير الذى ثبَّت شهرة أبى الطيب هو ما فى شعره من موسيقى . ويظن أنه منذ القرن التاسع عشر بوجه خاص ، شعر الشرقيون فى وضوح تحت التأثير الأروبى . وبصورة أدق ، منذ ذلك الحين ، أخذ شراح شعر الحكمة لشاعرهم الأثير — على طريقتهم — يكشفون عمقا ، لم يفطن إليه نقاد القرون الوسطى ، وربما لم يفطن إليه الشاعر نفسه ، وهاك أحدهم [3] يقول :

« إذا خلد المتنبى . فإن الذى يخلده ، إنما هى تلك الحكم الرائعة ، التى استفاضت فى شعره ، فاستشهد الناس بها ، بحسب مايقتضيه مقام الاستشهاد ، فكأن أبا الطيب لسان حال البشر بأجمعهم . فقد يقذف المتنبى فى بيت أو فى بيتين مذهبا فلسفيا أو علميا ، يشتغل به المفكرون كل حياتهم » .

ليس ثمت مجال للعودة إلى بيان الأسباب ، التى دفعت أغلب النقاد المحدثين

---

(١) كالجرجانى فى الوساطة ص ١١٣ — ١٣٩ ، والثعالبى فى اليتيمة جـ ١ ص ١٤٥ — ١٥٣ ، والعكبرى جـ ١ ص ١٠٤ — ١٠٦ (آخذاً من الكتاب السابق) ، و جـ ١ ص ١٦ وما يليها .

(٢) انظر ص ٦٤ وما يليها .

(٣) شفيق جبرى، ص ١٦٨ .

فى مصر وسورية ، إلى أن يرفعوا إلى هذه الذرا ، تلك الأبيات القوية لأبى الطيب [1] ، ولنذكر فقط أن هؤلاء النقاد يشعرون شعوراً واضحاً أن الشعر القوى لشاعرهم الأثير عندهم هو من النوع الفلسفى . والمتنبى فى الحقيقة ليس شاعر العاطفة ، وهو حتى فيما يحس به بعمق لا يستطيع أن يجلوه لنا — بوجه عام — إلا بطريقة متصنعة ، وفى لغة متكلفة . ومن هذه الناحية لا شىء أقل تأثيراً من أنّاته مثلا على موت جدته ، التى كانت — مع ذلك — عزيزة [2] جداً لديه ، وعلى الضد من ذلك ، عند ما يتحدث عن تمرده ضد النظام الاجتماعى ، أو يعلن احتقاره للترك سادة الخلافة ، أو يبالغ فى عظمة الجنس العربى ، أو يتحدث عن شقاء الحياة ، أو عما يقاسيه الرجل الممتاز من الصعاب ، أو خوف الكائن الحى أمام الفناء ، وفى كلمة واحدة ، عندما يعبر عن قلقه أمام مشاكل الحياة والموت ، فإنه يكتب حينئذ بأساليب قوية ، ذات تأثير حتى تجعلنا نعده « شاعراً يضرب على الأوتار المختلفة للنفس الانسانية » [3] .

لم يكن إذاً مكان الشرف الذى نزله أبو الطيب فى الشعر العربى مختلسا فإنه بالخصائص العديدة التى انفرد بها هذا الشاعر ، وميزها المعجبون به طوال عشرة قرون ، بطريقة كثيرة الدقة أو قليلتها — قد استحق أن يأخذ مكانه إلى جانب أبى نواس وأبى العتاهية ، اللذين يمتاز عنهما بوضوح الأسلوب ، وإلى جانب ابن الرومى ، مع أن المتنبى ليس له قوته ولا غزارته ، وخاصة بجانب أبى العلاء ، الذى مهد لقدومه أبو الطيب وسهل عليه طريق التعبير .

* * *

---

(١) راجع ص ٦٥ وما يليها ، و ص ٦٨ وما يليها .

(٢) بلاشير ص ١٠٦ وما يليها .

(٣) Gaudefroy-Demombynes فى كتابه Institutions Musulmanes (المدارس الإسلامية) ص ١٨٢ .

والآن ماذا يستحق المتنبي من ألقاب الإعجاب ، أو على الأقل ألقاب الاحترام ؟ وما أجزاء ديوانه التي تستحق أن تحوز عنايتنا ؟ والإجابة على هذا لا ترمى أن تثير فينا ميلا لأن ندرك أفكارا غريبة عنا ، وينابيع للإلهام غير ينابيعنا ، وطرقا للتعبير تخالف طرقنا ، وهى لذلك لا ترضى نفوسنا وعواطفنا . ولكن إذا قبلنا مبدأ أن القصيدة العربية لا يستطيع أحد أن يتذوقها تمام التذوق ، إلا إذا قرأها فى لغتها نفسها ، فذلك يتطلب أن نكشف فى ديوان هذا الشاعر الصلات التى تربط بينه وبين أفكارنا . ومن الناحية الشعرية مايبعث فينا صدى وإن كان خافتا . والإجابة تختلف اختلافا لا حد له ، تبعا للأمزجة ، وهى لا يمكن إلا أن تكون شخصية . وأعظم ضرر أوذى به المتنبي أن هذه التقديرات نظر إليها كأنها الرأى العام ، وأخذت حكم العقيدة .

أنا لا أظن الأوربى الذى يقرأ أبا الطيب فى لغته يستطيع أن يجد لذة كبيرة فى بدوية أشعاره [1] ، لأنه مهما كانت قيمة تصويرها البادية ، فإن بينها وبين قصائد الشعراء البادين كل الفرق الذى بين التقليد والأصل .

ولا أظن أيضاً أننا نهتم اهتماما قوياً بالمسلك الحماسى لبعض القصائد التى مدح بها سيف الدولة . إنها بالنسبة إلى الشعر العربى شىء يستحق العناية بلا ريب ، ولكن بموازنتها بكتاب (Légendes des Siécles) (قصص القرون) . تبدو لا جاذبية فيها ولا عظمة ، ومن العسير علينا حقا ، ونحن أوربيون ، أن ننسى أن لدينا فى آدابنا شعراً حماسياً .

ولا أظن كذلك أن واحدا منا يتأثر بالصنعة فى أسلوب المتنبى ، ولا بالتكلف فى تشبيهاته وأخيلته ، ونكاته ، وربما أحب أحد متحذلقى القرن

---

(١) يرى جبريلى ضد ذلك تماما . انظر ص ١٠٦ وما يليها .

السابع عشر رطانة الحب التى فى بيت المتنبى [١] :

كل جريح ترجى سلامته   إلا فؤادا دهتـــه عيناها

وربما نجد أحد المعجبين بملارميه [٢] « Mallarmé »، المغرمين بماشذ عن الطبيعة يتأثر عندما يرى المتنبى يشبه حذاءه بالجمل [٣] ، ولـكن من المشكوك فيه أن إنسانا عادياً — كما يقال — تعنيه هذه النكات .

ولا أظن كذلك أن الحماس يملؤنا . عند قراءة هذه الأشعار المصطنعة التى يمجد فيها أبو الطيب الشجاعة والعظمة والصفات العقلية لممدوحيه ، ومن العبث أن نقنع أنفسنا بأنه أشاد بهذه الصفات ، لأن العرب « يعدون هذه الفضائل وحدها هى الجديرة بالإطراء » ، وأنه « صورها بحماسة لا نظير لها [٤] » . نحن لا نستطيع أن نحس بغـــير الضجر والاشمئزاز لدى قراءة هذه الأشعار المسهبة ، والتى على وتيرة واحدة ، مع خلوها من الأفـكار القيمة .

وإذاً ، فماذا يتبقى من المتنبى فى نظرنا ؟ يتبقى منه بكل دقة ما أكد فى عصرنا شهرة المتنبى فى الأوساط العربية بمصر وسورية ، وأعنى به هذه الأشعار الغنائية والفلسفية التى تزين أغلب قصائده . وفى الحق أن عدداً عظيما من المستشرقين قد أنـكر قطعياً فائدة هذه الأشعار ، فبروكلمان ،

---

(١) القطعة ١٧٤ . قارن ذلك بأبيات الآنسة (دى سكيدرى) (Mlle de Scudery) فى (La Clélie) : « الحب ألم لذيذ ، لن يعرف قلبى الموت من أجله ، ولـكن عند ما يمكن شفاؤه يكون الألذ له أن يموت بسببه » .

(٢) شاعر فرنسى ولد فى باريس « ١٨٤٢—١٨٩٨ م » أحد دعاة الرمزية . (المترجم)

(٣) انظر قول المتنبى :

لا ناقتى تقبـل الرديف ولا   بالسوط يوم الرهان أجهدها
شراكها كورها ، ومشفرها   زمامها ، والشسوع مقودها

(٤) موهل Mohl فى الجريدة الأسيوية Journal Asiatique سنة ١٨٥٩ العدد XIV ص ٣٦ .

ور . باست ، وف جبريلي بوجه خاص ، لم يروا فيها إلا الأضحولة ، أو أفكارا عامة ، ينقصها العمق والابتكار معا . ولكن هل لهم أن يتذكروا « أن كل شيء قد قيل منذ وجد الناس وفكروا » وأن الشاعر — بعد كل شيء — ليس فيلسوفا ، وأنه يقوم بدوره تمام القيام ، عندما يستطيع أن يلبس فكرة شائعة ثوب الشباب ، بوضعها في بيت من الشعر لا عيب فيه . ومن يجسر أن يبحث عن فلسفة عميقة في الحكم الكورنية [١] ، التي هي محط إعجاب التلاميذ الفرنسيين ؟ ومثل البيت الآتي :

ظفر بلا خطر ، انتصار لا مجد فيه .

لا قيمة له إلا في الوزن ، وحين ننثره ، ونجرده من الوزن الذي يصونه ويجعل له قيمة ، لا نرى فيه إلا فكرة شائعة ذات فقر مثير . ولتقدير الشعر الحكمي أو الغنائي لأبي الطيب ، لن نفصل بين المعنى والأسلوب ، فالاثنان يكونان وحدة لا تتجزأ ، حيث الوزن والصناعة في الأسلوب يهيئان للفكرة وجوداً جديداً مستمرا . وبيت من الشعر مثل قوله :

كثير حياة المرء مثل قليلها ... يزول ، وباقي عيشة مثل ذاهب

من الأفكار الشائعة [٢] ، وقيمته في صناعته التي يختص بها [٣] المتنبي . هذا وكم مرة قرأنا عند شعراء العرب وصف مجيئهم في خفاء (متخيل) بالقرب من الجميلات اللاتي يحبونهن ، ومع ذلك لم يذكر واحد — بلا ريب — هذا الموضوع التافه في جملة أجمل توازنا ، وأكثر إيجازاً ،

---

(١) حكم الشاعر كرنى (Corneille) .

(٢) القطعة ٧٨ على ترتيب العكبرى جـ١ ص٩٧ . والبيت ترجمة لإحدى أفكار أرسطو . أو مأخوذ من ابن الرومى . ولكن لماذا ننسى هنا سفر الحكمة (Eclésiaste) أو قول مونتنى (Montaigne) : « كثير الحياة وقليلها سواء » .

(٣) ماسينيون فى رسالة شخصية .

من هذا البيت الذى هو درة شعر المتنبي على حسب رأى الشرقيين (١) :

أزورهم ، وسواد الليل يشفع لى   وأنثنى ، وبياض الصبح يغرى بى

ومن أجل أبيات من هذه الطبيعة استطاع نقاد العرب فى مصر ، وسورية ، أن يعلنوا أن المتنبي ذو عبقرية لا نظير لها ، ولكن كان خطؤهم كبيراً ولاشك عندما أرادوا أن يسووا شاعر الكوفة بدانت ، أو بفيكتور هيجو . ومع ذلك لنظل متمسكين بالخطة العربية الخالصة ؛ لأن كل شيء يتغير حينئذ ، ففى أدب لا نحصى فيه كثيرا من شعراء الحكمة ، يأخذ أبو الطيب مكانه فى الصف الأول بدون نزاع ، وإذا وازناه بغيره من فنانى لغته ، نعرف بم سحر المتنبى المعجبين به من العرب ، وهو لا يبدو لنا حينئذ مجرد مغرم بالأفكار الشائعة ، ولكنه ساحر بليغ ، يعرف كيف يصقل عباراته بكثير من الفن ، ويجعلها ذا أسلوب عاطفى سام ، يشرِّف الأفكار العامية ، فلا نعود نجد فيها أفكارا شائعة ، فى أسلوب عامى ، لما ألبسها المتنبى من زينات باهرة .

(١) القطعة ١٣٧ . البيت ٧ ، وعن شهرة هذا البيت انظر العكبرى جـ ١ ص ١٠٤ وما يليها .

فهرس الأعـــلام

العلامة × تدل على أن هذه الشخصية لها اتصال ما بالمتنبي .

والعلامة ×× تدل على أن هذه الشخصية شرحت ديوان المتنبي شفهياً أو كتابياً ، أو خصصت له ترجمة مهمة .

ملحق

بالكتب التي رجع إليها المستشرق الدكتور بلاشير في تأليف كتابه عن المتنبي

ملحوظة : المؤلفون الذين أمامهم هذه العلامة (x) لم يتحدثوا قط عن المتنبي ، ولكنهم ذكروا معلومات عن الوسط التاريخي ، أو الجغرافي ، أو الديني ، أو الاجتماعي ، أو الأدبي الذي عاش فيه الشاعر .

ا

ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة .

x ابن أبي أصيبعه : عيون الأنباء في طبقات الأطباء . طبع القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢م) في مجلدين .

ابن الأثير (ضياء الدين) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . طبع بولاق سنة ١٢٨٢ هـ في مجلد واحد .

ابن الأثير (عز الدين) : الكامل في التاريخ . طبعة القاهرة سنة ١٣٠١ هـ .

x الأريب : صلة تاريخ الطبري. طبع القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ (ذيل تاريخ الطبري).

الإسكندري : تاريخ أدب اللغة العربية في العصر العباسي . طبع القاهرة سنة ١٢٣٠ هـ في مجلد .

الإسكندري وعناني : الوسيط . الطبعة الرابعة بالقاهرة سنة ١٣٤٢ هـ في مجلد واحد .

× الإصطخرى : المسالك والممالك . طبع ليد Leyde سنة ١٨٧٠م فى مجلد واحد.
× الأصفهانى (أبو الفرج) : كتاب الأغانى . الطبعة الثانية بالقاهرة . فى ٢١ مجلدا .
ابن الإفليلى : شرح ديوان المتنبى [مخطوط برلين ورباط]
ابن الأنبارى : نزهة الألباء فى طبقات الأدباء . طبعة القاهرة سنة ١٢٩٤هـ فى مجلد .
أهلواردت (Ahlwardt) : - Die Handschriften
Verzeichnisse der Koniglichen — Bibliothek zu Berlin .
طبع برلين سنة ١٨٩٤م فى تسعة مجلدات .
إيوارت (Huart) : الأدب العربى : (Littérature Arabe)
الطبعة الرابعة بباريس سنة ١٩١٣م فى مجلد واحد .
« تاريخ العرب · (Histoire des arabes)
طبع باريس سنة ١٩١٣م فى مجلدين .
× « فارس القديمة · (La Perse Antique)
ضمن مجموعة (تطور الإنسانية) (l'Evolution de l'Humanité)
طبع باريس سنة ١٩٢٥ م فى مجلد واحد .

ب

× بابان وهوسى (Babin et Houssaye)
(A travers la Perse meridionale)
فى مجلة [برج العالم] سنة ١٨٩٢م (Le Tour du Monde)
× الباخرزى : دمية القصر . طبع حلب سنة ١٣٤٨هـ (١٩٣٠م) فى مجلد واحد .
بارهبروس (Bar Hebraeus)] : تاريخ مختصر الدول . طبع الصالحانى فى بيروت سنة ١٨٩٠م فى مجلد واحد .
البارودى : مختاراته . طبع القاهرة سنة ١٣٢٧هـ - سنة ١٣٢٩هـ فى أربعة مجلدات.

باسيت (Basset) : Bulletin des Periodiques de l'Islam Revue de
فى مجلة تاريخ الأديان سنة ١٩٧٩ l'histoire des Religions

× البحترى : ديوانه ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١م) فى مجلد واحد .

بحيا بن بقودا : الهداية إلى فرائد القلوب . طبع ا . س . يهودا فى ليد سنة ١٩١١ م فى مجلد واحد .

البديعى : الصبح المنبى عن حيثية المتنبى . طبع القاهرة سنة ١٣٠٨ هـ على إطار شرح العكبرى فى مجلدين .

براون (Brown) : الطب العربى .
(La Médecine Arbe) (Arabian Medicine)
وترجمه إلى الفرنسية هـ . رينو .H. Renaud طبع باريس سنة ١٩٢٣م مجلد واحد .

البرقوقى : شرح ديوان المتنبى . القاهرة سنة ١٣٤٨هـ (١٩٣٠م) فى مجلدين .

بروكلمان (Brockelmann) : Geschichte der Arabischen Litterature
طبع ويمر ، وبرلين سنة ١٨٩٨ — سنة ١٩٠٢ م فى مجلدين .

البستانى (بطرس) دائرة المعارف ، طبع بيروت فى أحد عشر مجلدا .

البستانى (فؤاد أفرام) : المتنبى . فى المشرق عدد ديسمبر سنة ١٩٢٧م ببيروت .
« « « أبو الطيب المتنبى . مقدمة وقطع مختارة فى مجموعة الروائع الجزء ١١ ، ١٢ ببيروت سنة ١٩٢٧ .

ابن بسام : الذخيرة .

ابن بشكوال : الصلة . فى مجلدين .

البغدادى (الخطيب) : تاريخ بغـــداد . القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ فى أربعة عشر مجلدا .

البغدادى (عبدالقادر) : خزانة الأدب . بولاق سنة ١٢٩٩م فى أربعة مجلدات .

البكرى (توفيق) : مناقب المتنبى ومعايبه . المقتطف سنة ١٨٩٣م .
« « : فحول البلاغة . القاهرة سنة ١٣١٣ هـ فى مجلد واحد .

البكرى (أبو عبيد) : معجم ما استعجم . طبع وستنفلد سنة ١٨٧٧م في مجلدين.
بلاشير (Blachére) : الشاعر العربى المتنبي والمغرب الإسلامى .
Le Poéte arabe al-Motanabbi et l'Occident musulman
في مجلة الدراسات الإسلامية — Revue des Etudes islamiques
« : مقال « المتنبي » في دائرة المعارف الإسلامية .

بهلن (Bohlen) : Commentation de Motenabbio poeta arabum celeberrimo eiusque carminibus
طبع بون سنة ١٨٢٤ في مجلد واحد .

ت

× أبو تمام : ديوانه .

ث

الثعالبي : يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر . دمشق سنة ١٣٠٢ هـ في أربعة مجلدات

ج

× الجاحظ : الحيوان . القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ في سبعة مجلدات .
جيب (Gibb) : الأدب العربى . Arabic Literature . لندن سنة ١٩٢٦م في مجلد واحد .

جبريلى (Gabrieli) : حياة المتنبى . Vita di al-Mutanabbi في مجلة الدراسات الشرقية روما سنة ١٩٣٦ — Rivista degli Studi orientali
« : دراسة شعر المتنبي . Studi sulla poesie di al Mutanabbi. في Rendiconti della Reale Academia nazionale dei Lincei روما سنة ١٩٢٧ . السلسلة السادسة .
« : شعر المتنبي La Poesia di al-Mutanabbi في جريدة الجمعية

الأسيوية الإيطالية . فلورنسا سنة ١٩٢٩م . السلسلة الجديدة .
Giornale della Societa asiatica italiana
الجرجانى : الوساطة بين المتنبي وخصومه . صيدا سنة ١٩١٢ فى مجلد واحد.

× جرسان (Garcin) : علم البلاغة وعلم العروض فى لغات الشرق الإسلامى .
Rhétorique et Prosodie des Langues de l'Orient musulman
الطبعة الثانية . باريس . فى مجلد واحد .

× دى جوج (De Goeje) Memoire sur les Carmathes du Bahrain
طبع ليد سنة ١٨٦٢ م فى مجلد واحد .

» » Catalogus codicum arabicorum bibliothecae academiae Lugdunobatavae
الطبعة الثانية . ليد سنة ١٨٨٨م فى مجلد واحد .

جودفروى دىومبينس وبلاتونوف (Gaudfroy-Demombynes et Platonov
العالم الإسلامى والبيزنطى إلى الحروب الصليبية .
Le Monde musnlman et byzantin jusqu aux Croisades
المجلد السابع من مجموعة تاريخ العالم(Histoire du Monde)
طبع باريس سنة ١٩٣١م.

» » — المدارس الإسلامية . Institutions musulmanes
باريس سنة ١٩٣١ م . الطبعة الثانية فى مجلد واحد .

جولدزيهر (Goldziher) Muhammadanische Studien
دراسات الإسلامية. طبع هال (Halle) سنة ١٨٨٩م فى مجلدين .

» » : عقيدة الإسلام وشريعته · Le Dogme et la
ترجمه إلى الفرنسية · Loi de l'Islam. F.Arin
باريس سنة ١٩٢٠ م فى مجلد واحد .

» » : Hebräische فى Mutanabbi und ein jude, Bibliographie.
Alhandlungen zur Arabischen Philologie

طبع ليد سنة ١٨٩٦ م .

جوليوس (Golius) : Tomae Erpenii grammatica arabica
ليد سنة ١٦٥٦ م فى مجلد واحد .

جينبول (Juynboll) : الشرق Orientalia . أمستردام سنة ١٨٤٠ م .

ح

الحاتمى : الرسالة الحاتمية : طبعة رسشر (Rescher) فى مجلة (الإسلام Islamica) أكتوبر سنة ١٩٢٦ م الجزء ٣ ص ٤٣٩ وما يليها .

حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
طبعة فلوجل فى ليبزج ولندن سنة ١٨٣٥ فى ثمانية مجلدات .

حافظ إبراهيم : ديوانه ، الطبعة الثانية . القاهرة سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) فى ثلاثة مجلدات .

الحصرى : زهر الآداب . طبعة زكى مبارك . القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ فى أربعة مجلدات .

حلمى : أبو الطيب المتنبي . القاهرة سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) فى مجلد واحد .

الحمدانى : صفة جزيرة العرب . طبعة ملر فى ليد سنة ١٨٨٤ — سنة ١٨٩١ م فى مجلدين .

× ابن حوقل : المسالك والممالك . ليد سنة ١٨٧٣ م فى مجلد واحد .

خ

× ابن خرداذبة : المسالك والممالك . ليد سنة ١٨٨٩ م . فى مجلد واحد .

ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة . القاهرة سنة ١٣١٩ هـ فى مجلدين .

ابن خلدون . كتاب العبر فى أربعة مجلدات . ترجمه إلى الفرنسية دى سلان .

« « : مقدمة ابن خلدون . ترجمها إلى الفرنسية دى سلان .

ابن خلكان : وفيات الأعيان . القاهرة سنة ١٣١٠ فى مجلدين .

ابن خير (أبو بكر) Index librum de diversis Scientiarum ordonibus quos a magistris dedicit Abu Bequer ben Khair.
قرطبة . المجلد التاسع والعاشر من المكتبة الإسبانية العربية

د

دائرة المعارف الإسلامية . طبع ليد سنة ١٩١٣م .

دار الكتب : فهرس الكتب العربية ، المحفوظة بدار الكتب المصرية ؛ سنة ١٩٢٥م فى خمسة مجلدات ، بالقاهرة .

دراز . تاريخ أدب اللغة العربية . القاهرة سنة ١٣٢٨ﻫ فى مجلد واحد .

درنبورج Derenbourg : المخطوطات العربية فى الأسكوريال .
Les Manuscrits arabes de l'Escurial
باريس سنة ١٧٨٤م . فى مجلد واحد .

الدريني : المتنبي : مقالات ظهرت بجريدة الأخبار فى القاهرة . سبتمبر وأكتوبر سنة ١٩٢٨م.

× دوزى (Dozy) : مسلمو إسبانيا . Musulmans d'Espagne الطبعة الثانية. ليد سنة ١٩٣٢م فى ثلاثة مجلدات .

× دسو (Dussaud) : التخطيط التاريخى لسوريا القديمة وفى القرون الوسطى
Topographie historique de la Syrie antique et medievale.
باريس سنة ١٩٢٧ فى مجلد واحد .

دفال ديستنس Duval-Destains : ترجمة قصيدة المتنبي فى مجلة : Mercure Etranger باريس سنة ١٨١٣م .

× دفرمرى (Defremery) :
Memoire sur la famille des Sadyides
فى الجريدة الأسيوية سنة ١٧٤٧م، وطبع على حدة بباريس سنة ١٨٤٨م فى مجلد.

دفوراك (Dvorak) : Abu Firâs, ein Dichter und Held.
ليد سنة ١٨٩٥م فى مجلد واحد .

x ابن دقماق : الانتصار ، لواسطة عقد الأمصار . القاهرة سنة ١٣٠٠ ﻫ .

ديتريسي (Dieterici) : المتنبى وسيف الدولة .

طبع ليبزج سنة ١٨٤٧م . فى مجلد واحد .

ذ

الذهبي : تاريخ الإسلام .

« : طبقات الحفاظ . طبع وستنفلد سنة ١٨٢٣ م فى مجلد واحد .

ر

الراجكوتى : زيادات ديوان شعر المتنبي . القاهرة سنة ١٣٤٦ﻫ.فى مجلد واحد.

رزن (Rosen) : ملحوظات مختصرة على المخطوطات العربية للمتحف الآسيوى.
Notices sommaires des manuscrits arabes du Musée asiatique
طبع سان بطرسبورج سنة ١٨٨١ م . فى مجلد واحد .

x ابن رسته : الأعلاق النفيسة ليد سنة ١٨٩٢م فى مجلد واحد .

رسك (Reiske) : Proben der arabischen Dichkunst in verliebten und traurigen gedichten aus dem Motanabbi.
ليبزج سنة ١٧٦٥ م فى مجلد واحد .

ابن رشيق : العمدة . القاهرة ، فى مجلدين .

رنهاردت (Reinhardt) : Ein arabischer Dialekt gesprechen in Oman und Zanzibar
برلين سنة ١٨٩٤م فى مجلد واحد .

x ابن الرومى : ديوانه .

ز

الزبيدى : تاج العروس من شرح جواهر . القاموس . القاهرة فى عشرة مجلدات .

Zeitschrift der Deutschen Margenlandischen Gesellschaft. Z.D.M.G.

الزركلى : الأعلام . القاهرة سنة ١٣٤٥ﻫ . فى ثلاثة مجلدات .

× زكى الدين : الكتاب الثلاثة . الطبعة الثانية بدون تاريخ . القاهرة .

× زمبور (Zambaur) Manuel de Généalogie et de Chronologie: pour l'Histoire de l'Islam.

هانوفر سنة ١٩٢٧م . فى مجلد واحد .

زيدان : تاريخ أدب اللغة العربية . (أربعة أجزاء) .

× « : تاريخ التمدن الإسلامى .

× « : تراجم مشاهير الشرق .

الزيات : تاريخ الأدب العربى .

س

سامى (سلفستردى) (S. de Sacy) : المنتخب من أدب العرب .

Chrestomathie Arabe. باريس سنة ١٨٢٦م فى ثلاثة مجلدات

« : مختارات نحوية Anthologie Grammaticale

باريس سنة ١٨٢٩م فى مجلد واحد .

« : عرض لدين الدروز Exposé de la Religion des Druzes.

باريس سنة ١٨٣٨م فى مجلدين .

× سالمون (Salmon) دراسة تخطيط القاهرة · Étude sur la topographie du Caire

ضمن ذكريات عن المجمع الفرنسى فى القاهرة . طبع القاهرة سنة ١٩٠٢م .

× السبكى : طبقات الشافعية . القاهرة سنة ١٣٢٤م فى ستة مجلدات .

سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة. القاهرة سنة ١٣٤١م فى مجلدين.

سشلمبرجر (Schlumberger) : إمبراطور بيزنطى فى القرن العاشر :

نسفور فوكاس · Un Empereur byzantin au X[e] siécle, Nicephore Phocas.

باريس سنة ١٩٢٣م .

ابن سعيد : المغرب فى حلى أهل المغرب . ليد سنة ١٨٩٩م فى مجلدين .

سلان (Slane) معجم التراجم لابن خلكان Ibn Khallikan,s
باريس سنة ١٨٤٣ م فى أربعة مجلدات . biographical Dictionary
« : فهرس المخطوطات الشرقية التى بالمكتبة الاهلية :

Catalogue des manuscrits orientaux de la Bibliothéque Nationale
باريس سنة ١٨٨٣ — ١٨٩٥ فى ٣ مجلدات

السلاوى : الاستقصا فى أخبار دول المغرب الأقصى . القاهرة سنة ١٣١٢ هـ فى ٤ مجلدات .
السمعانى : كتاب الأنساب. طبع مرجليوث. ليدن سنة ١٩١٢م فى مجلد واحد.
× السندوبى : الشعراء الثلاثة . القاهرة سنة ١٣٤١ هـ فى مجلد واحد .
السيوطى : حسن المحاضرة . القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ فى مجلدين .
« : بغية الوعاة . القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

ش

ابن الشجرى : أماليه . القاهرة سنة ١٩٣٠ م .
ابن الشحنة : روضة المناظر فى أخبار الأوائل والأواخر . بهامش الكامل لابن الأثير . القاهرة سنة ١٣٠٨ هـ .
ابن شرف : رسالة الانتقاد . ضمن رسائل البلغاء طبع كردعلى . القاهرة سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣م) فى مجلد واحد .
الشروانى : حديقة الأفراح . كلكته سنة ١٢٢٩ هـ فى مجلد واحد .
ابن شنب : دراسة الشخصيات التى ذكرت فى إجازة الشيخ عبدالقادرالفاسى .
Etude sur les Personnages mentionnés dans l'Idjâza du cheikh Abd Al-Qadir al Fâsi : ضمن أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين
Actes du XIV[e] Congrés des Orientalists
باريس سنة ١٩٠٧م .
شوقى : الشوقيات . القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١م) فى مجلد واحد .

شيخو (لويس) : مجانى الأدب بيروت سنة ١٩٢٢ م فى ٦ مجلدات .

» » : شرح مجانى الأدب. بيروت سنة ١٨٨٦م فى ٤ مجلدات.

× » » : الأدب العربى فى القرن التاسع عشر . بيروت سنة ١٩٢٤م — سنة ١٩٢٦م فى جزأين .

× » » : الأدب العربى فى القرن العشرين بيروت سنة ١٩٢٦م فى مجلد واحد .

ص

× الصابىء . كتاب الوزراء ليد سنة ١٩٠٤م فى مجلد واحد .

صاعد الأندلسى : طبقات الأمم. طبع شيخو ببيروت سنة ١٩١٢م فى مجلد واحد

صدر الدين : سيف الدولة وعصره · Saif ad-Dawlah and his Times لاهور سنة ١٩٣٠م .

ض

الضبي : بغية الملتمس ، فى تاريخ الأندلس . المجلد الثالث من المكتبة العربية الإسبانية · Bibiotheca Arab-Hispano مدريد سنة ١٨٨٥م .

ضيف : دراسة الشعر الغنائى والنقد الأدبى عند العرب . Essai sur le Lyrisme et la Critique littéraire chez les Arabes. باريس سنة ١٩١٧ م . فى مجلد واحد .

ط

الطباخ : إعلام النبلاء ، بتاريخ حلب الشهباء . حلب سنة ١٣٤٢هـ . فى ٧ مجلدات .

× الطبرى . تاريخ الأمم والملوك . القاهرة سنة ١٣٢٦هـ .

طه حسين . ذكرى أبى العلاء . الطبعة السادسة . القاهرة سنة ١٩١٥ م فى مجلد واحد .

ع

ابن عباد (الصاحب) : الكشف عن مساوىء شعر المتنبي . القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ فى مجلد واحد .

العباسى : معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص . القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ فى مجلدين .

عبدالفتاح : أشهر مشاهير أدباء الشرق . القاهرة بدون تاريخ . فى مجلدين .

× عبيد . مشاهير شعراء العصر . دمشق سنة ١٣٤١ هـ . فى مجلد واحد .

ابن عساكر : تاريخ دمشق .

العسكرى : كتاب الصناعتين . طبع اسطنبول والقاهرة . فى مجلد واحد .

العقاد : مطالعات فى الكتب والحياة القاهرة سنة ١٣٤٣ هـ . فى مجلد واحد .

العكبرى : التبيان فى شرح الديوان . القاهرة سنة ١٣٠٨ هـ . فى مجلدين .

العمرى (ابن فضل الله) : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار . القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م) .

العميدى : الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى . القاهرة بدون تاريخ .

ابن العيون : لمح السحر من روح الشعر . من مخطوطات رباط .

غ

× الغرناطى (أبو حامد) : تحفة الألباب . نشرت بالمجلة الآسيوية سنة ١٩٢٥م .

ف

ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس . مدريد سنة ١٨٩٠ — ١٨٩٢ م فى مجلدين .

فريتاج (Freytag) مختار تاريخ حلب Selecta ex historia Halebi. باريس سنة ١٨٤٩ م .

فريتاج : Geschichte der Dynastien der Hamdaniden in Mosul und Aleppo.

تاريخ أسرة الحمدانيين فى الموصل وحلب .

× ابن الفقيه : كتاب البلدان . طبع جوج . ليد سنة ١٨٨٥ م فى مجلد واحد .

× فلوجل (Flügel) : Die grammatischen Schulen der Araber

ليبزج سنة ١٨٦٢م فى مجلد واحد .

× الفيروزبادى : القاموس المحيط . القاهرة سنة ١٣٣٠ فى ٤ مجلدات

ق

ابن القارح : رسالته . طبع كامل كيلانى . عقب رسالة الغفران .

× ابن قتيبه : الشعر والشعراء . ليد سنة ١٩٠٣م فى مجلد واحد .

× قدامة : كتاب الخراج . ليدسنة ١٣٠٢ هـ عقب كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه .

× « : نقد الشعر . اسطنبول سنة ١٣٠٢هـ فى مجلد واحد .

× ابن القفطى : تاريخ الحكماء . ليبزج سنة ١٩٠٣م فى مجلد واحد .

القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا . القاهرة

ابن قيم الجوزية : روضة المحبين . طبع أحمد عبيد بدمشق سنة ١٣٤٩هـ فى مجلد واحد .

ك

كارادىفو Carra de Vaux : مفكروالإسلام Les Penseurs de l'Islam

باريس سنة ١٩٢١ م

كازانوفا (Casanova) :

Essai de reconstitution topographique
de la ville d'al-Fostât ou Misr.

ضمن : Memoires de l'Institut du Caire.

القاهرة سنة ١٩١٣ ـــ سنة ١٩١٩م فى ثلاثة مجلدات .

كانارد (Canard) : « سيف الدولة » فى العدد الثامن من المكتبة العربية .
(Bibliotheca Arabica) باريس والجزائر سنة ١٩٣٤م
كاهن (Kahn) : الأدب العربى . La Littérature Arabe.
باريس بدون تاريخ فى مجلد واحد .
الكتبى : فوات الوفيات ، بولاق سنة ١٢٩٩ هـ فى مجلدين .
كراتشكوفسكى Kratchkowsky : المتنبى وأبو العلاء .
Mutanabbi i Abu l-Ala,
نشر فى Zapiski
وطبع على حدة فى (سان بطرسبرج) سنة ١٩٠٩ م فى مجلد واحد .
كرد على : خطط الشام . دمشق سنة ١٣٠٣ هـ فى ٦ مجلدات .
× كريمر (Kremer) : Geschichte derrschenden Ideen des Islams
ليبزج سنة ١٨٦٨ م فى مجلد واحد .
» : Cultur geschichte des Orients unter den Chalifen
فيينا سنة ١٨٧٥ — سنة ١٨٧٧م فى مجلدين .
× الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة . ليد سنة ١٩١٢ م فى مجلد واحد .
كيلانى : بين المتنبى وابن خالويه فى مقتطف نوفبر سنة ١٩٢٩م ص ٥٦٥ وما يليها .
وبين المتنبى وأبى فراس فى مقتطف يناير سنة ١٩٣٠م ص ٧٨ وما يليها .

ل

دى لاجرانج (جرانجرت) (Grangeret De Lagrange) المنتخب من أدب العرب . Anthologie Arabe
باريس سنة ١٨٢٨م فى مجلد واحد .
× لافس ورامبو Lavisse et Rambaud : التاريخ العام .
Histoire Générale. باريس سنة ١٩١٣ م .

× لامنس Lammens : مهد الإسلام Le Berceau de l'Islam
روما فى مجلد واحد سنة ١٩١٤ م .

« : دراسة حكم الخليفة الأموى معاوية : Etudes sur le régne du Calife Omaiyade Mo' awia.
بيروت سنة ١٩٠٨م فى مجلد واحد .

« : شاعر الأمويين . Le Chantre des Omaiyades . فى الجريدة الآسيوية . السلسلة التاسعة العدد ٤ ص ٢٢٧ وما يليها .

× لوسترانج (Le Strange) : The Lands of the aestern Caliphate
كمبردج سنة ١٩٠٥م فى مجلد واحد .

« : فلسطين تحت المسلمين : Palestine under the Moslems
كمبردج سنة ١٨٩٠ م .

ليفى بروفنسال : Levi - Provençal
مؤرخو (شرفه) Les Historiens des Chorfa
باريس سنة ١٩٢٢م . فى مجلد واحد

ليفى بروفنسال : المخطوطات العربية برباط . Les Manuscrits Arabes de Rabat.
باريس سنة ١٩٢١ م . فى مجلد واحد .

« : مخطوطات الاسكوريال العربية . Les M.A. de l'Escurial

م

مارتينو Martino : المنتخب من الغزل العربى : Antholgie de l'Amour Arabe.
باريس سنة ١٩٠٢م . فى مجلد واحد

المازنى : حصاد الهشيم .

ماسينيون : Massignon : الحلاج : شهيد صوفى للاسلام :
Hollâj martyre mistique de l'Islam
باريس سنة ١٩٢٢ م فى مجلدين

ماسينيون : بعثة فى العراق . Mission en Mésopotamie
ضمن ذكريات عن المجمع الفرنسي بالقاهرة . القاهرة .
Les Méthodes de Réalisation artistique des Peuples de l'Islam.
مبارك (زكى) : النثر العربى فى القرن الرابع الهجرى La Prose Arabe
باريس سنة ١٩٣١ م . au IVe siècle de l'Hégire
المتنبي : ديوانه ، وشروح ديوانه .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .
المراكشي : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب . الجزائر سنة ١٨٩٢م فى مجلد .
× المرزبانى : الموشح . القاهرة سنة ١٣٤٣م فى مجلد واحد .
المرصفى : أدب اللغة العربية . القاهرة سنة ١٣٢٦ م فى مجلد واحد .
مز (Mez) : Die Renaissance des Islams هيدلبرج
سنة ١٩٢٢م . فى مجلد واحد .
مزل (Musil) : صحراء العرب Arabia Deserta . نيويورك سنة ١٩٢٧م .
» » : شمال الحجاز The Northern Hégâz . نيويورك سنة ١٩٢٦م .
» » : شمال نجد The Northern Negd . نيويورك سنة ١٩٢٨م .
× المسعودى : مروج الذهب .
× » : التنبيه والإشراف . ليد سنة ١٨٩٤م . فى مجلد واحد .
× ابن مكسويه : تجارب الامم . فى ٣ مجلدات .
× ابن المعتز : ديوانه . القاهرة سنة ١٨٩١م . فى مجلدين .
× المعرى : لزوم مالا يلزم . القاهرة سنة ١٣٤٣هـ . فى مجلدين .
» : رسالة الغفران . طبع كامل كيلانى . فى ثلاثة مجلدات ، القاهرة .
× المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . ليد فى مجلد واحد .
المقريزى : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار .
المقرى : نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب .
× دى منارد (باربييه) (Barbier de Meynard) :

(Tableau littéraire du Khorassan et de la Transoxiane au IVᵉ siécle de l'Hégire).

نشرت بالجريدة الآسيوية سنة ١٨٥٣ م وسنة ١٨٥٤ م .

دى منارد : الكنية واللقب فى الادب العربى

(Surnoms et sobriquets dans la littérature arabe).

نشرت بالجريدة الآسيوية ، ثم على حدة فى باريس سنة ١٩٠٧م

مهل : (Mohl) : تقرير سنوى (Rapport annuel) نشرفى الجريدةالآسيوية .

السلسلة الخامسة . العدد ١٤ سنة ١٨٥٩ م .

ن

ابن نباته : سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ، القاهرة سنة ١٣٢١هـ .

ابن النديم : الفهرست .

× نردن Norden : تحت سماء الفرس : باريس سنة ١٩٢٩ م .

(Sous le Ciel de la Perse)

× أبو نعيم : أخبار أصبهان . ليد سنة ١٩٣١ م فى مجلد واحد .

× نيكلاما Nicklama : رحلة فى روسيا والقوقاز والفرس .

Voyage en Russie, au Caucase et en Perse.

باريس سنة ١٨٧٢م فى ٤ مجلدات .

نيكلسون Nicholson : تاريخ الأدب العربى · A Literary History of the Arabs

الطبعة الثالثة . لندن سنة ١٩٢٣م .

النواجى : حلبة الكميت القاهرة سنة ١٢٩٩هـ . فى مجلد واحد .

× أبو نواس : ديوانه .

النواوى : تهذيب الأسماء طبع وستنفلد .

النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب . القاهرة سنة ١٣٤٧هـ .

هـ

هربيلوت : Herbelot : (المكتبة الشرقية) Bibliothéque Orientale
طبع Maestricht سنة ١٧٧٦ م

هس : Hesse : Duo Poëmata Motanabii.
طبع فى أبسال Upsal سنة ١٨٤٧م .

همر برجستال : Hammer - Purgstall : Motenebbi, der grosste arabische Ditchter.
فينا سنة ١٩٢٤م .

» : (Literature geschichte der araber.)
فينا سنة ١٨٥٤م فى ٧ مجلدات .

هندلى : Hindley
(Sketch, biographical and literary of Abu'l - Taieb al - Motanabbi)
ضمن The Oriental Collections.
من يناير إلى مارس سنة ١٧٩٧ م .

هورست : Horst
(Carmen Abu'Ltayyb Ahmed ben Alhosain Almotenabii qou laudat Alhosainum ben Ishak Altanuchitam.
المتنبى يمدح الحسين بن اسحق التنوخى .
طبع فى بون Bonn سنة ١٨٢٣م فى مجلد واحد .

و

× الوأواء : ديوانه . طبع كراتشكوفسكى فى ليد سنة ١٩١٣م فى مجلد واحد .
الواحدى : شرح ديوان المتنبى . طبع ديتريصى ببرلين سنة ١٨٦١م فى مجلد واحد .

× وستنفلد . (Wüstenfeld) : (Genealogische Tabellen der arabischen Stammen und Familien).

طبع جوتنجن سنة ١٨٥٢ م فى مجلد واحد .

وهل (Wahl): المنتخب العربى الجديد .

طبع ليزج سنة ١٧٩١ م فى مجلد واحد .

(Neue arabische Anthologie).

ى

اليازجى . العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب . بيروت سنة ١٣٠٥ﻫ .

ياقوت . معجم البلدان .

» . إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب .

× اليعقوبى . كتاب البلدان . ليد سنة ١٨٩٢م . فى مجلد واحد .

مصادر التراجم

هاك المؤلفين الذين خصوا المتنبي بترجمة ، مرتبين ترتيباً تاريخياً .

١ — عبد الله الأصفهاني (مات نحو سنة ٣٩١هـ) (١٠٠٠ م) فى كتابه : إيضاح المشكل لشعر المتنبي وعنه أخذ البغدادي ، فى كتابه : خزانة الأدب ج ١ ص ٣٨٥ — ٣٨٩ [ترجمة أساسية] .

٢ — ابن النجار (مات سنة ٤٠٦هـ) (١٠١٥ م) فى كتابه : تاريخ الكوفة ، ومنها أيضاً ملخص فى خزانة الأدب .

٣ — الثعالبي (مات سنة ٤٢٩هـ) (١٠٣٨ م) فى كتابه : يتيمة الدهر ، ج ١ ص ٧٨ — ١٦٢ [عناصر تاريخية أساسية] .

٤ — الخطيب البغدادي (مات سنة ٤٦٣هـ) (١٠٧١م) فى كتابه : تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٠٢ — ١٠٥ [ترجمة أساسية] .

٥ — السمعاني (مات سنة ٥٦٢ هـ) (١١٦٧ م) فى كتابه : كتاب الأنساب . طبع ليد سنة ١٩١٢م ، وهو ناقل عن الخطيب البغدادي باختصار .

٦ — ابن الأنباري (مات سنة ٥٧٧هـ) (١١٨١ م) فى كتابه : نزهة الألباء فى طبقات الأدباء . من ص ٣٦٦ — ٣٧٤ . وهو ناقل عن الخطيب البغدادي باختصار أقل من اختصار السمعاني .

٧ — سبط ابن الجوزي (مات سنة ٦٥٥ هـ) (١٢٥٧ م) فى كتابه : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان . (مخطوط بالمتحف البريطاني رقم ٤٦١٩ . وهو ناقل عن الأصفهاني والبغدادي) .

٨ — النووي (مات سنة ٦٧٦هـ) (١٢٧٧م) فى كتابه : تهذيب الأسماء ، ص ٧٧٥ . ويبدو أنه مختصر للخطيب أو للسمعاني .

٩ — ابن خلكان (مات سنة ٦٨١هـ) (١٢٨٢ م) فى كتابه : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦ — ٣٨ [عناصر تاريخية أساسية] .

١٠ — أبو الفداء (مات سنة ٧٣١هـ) (١٣٣١ م) فى كتابه : مختصر تاريخ البشر، جـ ٢ ص ١٠٥ — ١٠٧ ، وهو آخذ من ابن خلكان باختصار .

١١ — الذهبى (مات سنة ٧٤٨هـ)(١٣٤٨م) فى كتابه : تاريخ الإسلام . مخطوط فى باريس ، وهو آخذ عن الخطيب للبغدادى ، وختم باستشهادات من الثعالبى .

١٢ — الصفدى (مات سنة ٧٦٤هـ) (١٣٦٣م) فى كتابه الوافى بالوفيات . مخطوط فى باريس ، وهو آخذ من سبط ابن الجوزى ، وإذاً فهو آخذ عن الأصفهانى والخطيب البغدادى ، بطريقة غير مباشرة .

١٣ — ابن نباتة (مات سنة ٧٦٨ هـ) (١٣٦٦م) فى : سرح العيون ، وقد نقل عن الأصفهانى .

١٤ — ابن الشحنة (مات سنة ٨١٥ هـ) (١٤١٢م) روضة المناظر، جـ ٨ ص ١٢٤ — ١٢٦ ، وقد نقل عن أبى الفداء .

١٥ — أبو المحاسن (مات ٨٧٣هـ)(١٤٦٩م) فى : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٣٥٩ ، ٣٦٩ — ٣٧٢ ، ٣٧٩ — ٣٨١ ، وقد نقل عن ابن خلكان .

١٦ — العباسى (مات سنة ٩٦٣هـ) (١٥٥٦م) فى : معاهد التنصيص، جـ ١ ص ١٠ — ١١ وقد نقل عن ابن خلكان .

١٧ — البديعى (مات سنة ١٠٧٣هـ) (١٦٦٣م) فى الصبح المتنبى جـ ١ ص ٥ — ٢٤٥ [ترجمة أساسية] .

١٨ — البغدادى (مات سنة ١٠٩٣ هـ) (١٦٨٨ م) فى: خزانة الأدب جـ ١ ص ٣٨٢ — ٣٨٩ ينقل عن الأصفهانى وابن النجار .

١٩ — الشروانى (مات سنة ١١٧٩هـ) (١٧٦٥م) فى حديقة الأفراح ص ٢٥٤ — ٢٧١ ، وبه استشهادات من قصيدتين ، مع أخبار مستقاه من الثعالبى .

٢٠ — اليازجى (مات سنة ١٢٨٨هـ) (١٢٧١م) فى العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب . وبه ترجمة مستقاة من ابن خلكان والبديعى .

من هذه السلسلة التاريخية، نرى أن خمسة مصادر فقط، تعد أساسية ، وأصلا لأن تقدم لنا معلومات، يكمل بعضها بعضا بدون تكرير، لأنها آخذة من ينابيع مختلفة ، وهى ترجمات (١) عبد الله الأصفهانى . (٢) والثعالبى . (٣) والخطيب البغدادى . (٤) وابن خلكان . (٥) والبديعى .

١ – ترجمة الأصفهانى

المؤلف : ابو القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الاصفهانى . (انظر ص١٩ –٣٨ من هذا الكتاب) .

والمعلومات التى أوردها الأصفهانى مدين بها لـ :

١ – محمد بن جعفر بن النجار ، ولد بالكوفة ومات فى بغداد سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥م) وهو مؤلف كتاب تاريخ الكوفة . (راجع إرشاد الاريب جـ٦ ص ٤٦٧ – ٤٦٨) .

٢ – أبى الحسن الطرائفى الذى عرف المتنبي شخصياً فى سورية .

٣ – ابن جى ، وهو نحوى مات سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠١م) وصديق متحمس للمتنى .

٤ – الحلبي ، وهو شخصية غير معروفة .

٥ – أبى على بن حبيب القاشانى . تلميذ للأصفهانى فى قاشان (سنة ٣٧٠هـ) (٩٨٠م) .

٦ – على بن حمزة البصرى . نحوى مات سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) تلميذ معجب بالمتنبي ، وقد عرفه ببغداد (سنة ٣٥٣ هـ ٩٦٤ م) .

٧ – البديهى : شاعر منافس للمتنبي فى أرجان ، وقابله الأصفهانى سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) .

٧ – أبى الحسن السومى : وهو حاكم الأهواز من قبل البويهيين .

---

٢ – ترجمة الثعالبي

المؤلف : أبو منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي . (راجع صفحة ١٥–١٦ – ٣٩ – ٧٨ – ٨١ – ٨٤ – ٩٥ – ١٠١ من هذا الكتاب

وتفصيلات ترجمة الثعالبي مأخوذة من مصادر غير مذكورة ، وهى فى الجملة عرض للظروف التى دعت إلى تأليف القصيدة ، وأخبار تتصل

بذلك ، والترجمة فى مجموعها ذات قيمة متوسطة ، لأن الأسلوب المسجع الذى يستخدمه الثعالبى ينزع كل دقة فى العبارة ، ولكن هذه المعلومات تنفع فى بعض الأحيان .

---

٣ — ترجمة البغدادى

المؤلف : أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ، المعروف بالخطيب البغدادى ، من رجال الحديث العراقيين مات سنة ٤٥٢ هـ (١٠٧١ م) فى بغداد . (راجع ص ٣٨ من هذا الكتاب ، ودائرة المعارف الإسلامية ، ج ٢ ص ٩٨١) .

ومصادر البغدادى هى :

١ — أبو أحمد عبدالله الفرضى ، فقيه ومحدث ، ولد فى بغداد سنة ٣٢٤ هـ (٩٥٥م)، ومات فى هذه المدينة سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥م) . هذه الشخصية سمعت المتنبى يتحدث عندما مر ببغداد سنة ٣٥٣ هـ (٩٦٤ م) ، وقد روى عنه أحمد ابن أبى جعفر القطيعى وهو محدث بغدادى مات سنة ٣٦٨ هـ (٩٧٨ م) وشخص آخر لم يذكر اسمه .

٢ — أبو الحسن محمد بن عمر بن يحيى العلوى الزيدى . ولد فى الكوفة سنة ٣١٥هـ (٩٢٧م) ومات ببغداد سنة ٣٩٠هـ (١٠٠٠م)، وهذا الشخص عرف أسرة المتنبى ، والمتنبى نفسه ، ومعلوماته نقلها عنه المحسن التنوخى ، وعن هذا نقلها ابنه على .

٣ — المحسن التنوخى ، وهو مؤلف فى مواد شتى ، مات سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤م) ، وقد قابل المتنبى فى الأهواز سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) وعنه أخذ ابنه على التنوخى الذى مات سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) .

٤ — القاضى ابن أم شيبان : أبو الحسن محمد بن صالح بن على الهاشمى ، قاض ولد فى الكوفة سنة ٢٩٣ هـ (٩٠٥ م) ومات فى بغداد سنة ٣٦٩ هـ (٩٧٩م)

وقد عرف أبا الطيب وأسرته فى الكوفة وعنه أخذ المحسن التنوخى وعن المحسن أخذ ابنه على .

٥ ــ أبو على أحمد بن أبى حامد محمد ، كان قاضى بغداد ، وقد قابل مع والده المتنبى فى حلب، وكان عدواً للشاعر ، ومعلوماته نقلها عنه المحسن التنوخى ، وعن هذا أخذ ابنه على .

٦ ــ ابن خالويه : نحوى مات سنة ٣٧٠ ﻫ (٩٨٠ م) وقد عرف المتنبى فى حلب وكان عدواً له ، وعنه أخذ المحسن ، ثم عن المحسن ولده على .

٧ ــ أبو الحسن على بن أيوب القمى مات سنة ٤٣٥ ﻫ (١٠٣٣ م) تلميذ معجب بالمتنبى حينما مر ببغداد سنة ٣٤٣ ﻫ (٩٥٣ م) .

---

٤ ـ ترجمة ابن خلكان

المؤلف : أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان ، ولد فى إبريل سنة ٦٠٨ ﻫ (١٢١١ م) وكان قاضى قضاة الشام ومصر . مات فى القاهرة سنة ٦٨١ ﻫ (١٢٨٢ م) [راجع دائرة المعارف الإسلامية]

وهو فى الخلاصة التى ذكرها فى كتابه لم يذكر المصادر دائما ، ولكن معلوماته وصلت إليه عن :

١ ــ الخطيب البغدادى ، وعنه أخذ قصة من غير أن يعترف بالأخذ .

٢ ــ تاج الدين الكندى مات سنة ٦١٣ ﻫ (١٢١٦ م) [راجع ص ٣٥ من هذا الكتاب] وعن هذه الشخصية ذكر ابن خلكان بيتين من الشعر لم يردا فى الديوان .

٣ ــ الثعالبى ، وعنه أخذ قطعة من نثر المتنبى حينما كان بمصر .

٤ ــ أستاذ لابن خلكان لم يذكر اسمه .

٥ ــ ابن جنى مات سنة ٣٩٢ ﻫ (١٠٦٤ م) وعنه أخذ قصة من شرحه على ديوان المتنبى .

٦ ــ ابن رشيق مات سنة ٤٤١ ﻫ (١٠٤٩م) [راجع ص ٣٢، ٤٢، ٤٤ من هذا

الكتاب] وقد أخذ ابن خلكان قصة على موت المتنبي مذكورة فى كتاب العمدة ج ١ ص ٧٩ .

٧ — ابن الإفليلي مات سنة ٤٤١ ﻫ (١٠٤٩م) [راجع ص ٢٦ — ٤٨ وما يليهما من هذا الكتاب] وقد أخذ ابن خلكان قصة من شرحه لديوان المتنبي.

٥ - ترجمة البديعي

المؤلف . يوسف البديعي [انظر ص ٣٩ — ٤٠ — ٥٧ — ٩٣ — ٩٤ من هذا الكتاب] ، والكتاب يبدأ بأغنى ترجمة نعرفها للمتنبي ، والمصادر مذكورة دائما تقريبا ، وعدد عظيم منها مفقود اليوم . وهذه المصادر هي :

١ — أبو الحسن محمد بن يحيي العلوى (١ ، ٦) وهو المصدر الذى أخذ عنه الخطيب البغدادى ، ويبدو أن البديعي نقل عنه مباشرة .

٢ — أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقى (١ ، ٢٥ وما يليهما) وهو شخص غير معروف .

٣ — أبو على (١ ، ٢١ ، ٤٠) وربما يكون أبا على الفارسى النحوى ، مات سنة ٣٧٧ﻫ (٩٨٧ م) عرف المتنبي شخصيا ؛ إذا لم يكن المراد شخصا ذكره الخطيب البغدادى ، واسمه أبو على بن أبى حامد .

٤ — ابن جنى (١ ، ٤٣ ، ٩٠ — ٩٢ ، ٢١٠ — ٢١٢) .

٥ — ياقوت (١ ، ٤٣ وما يليها) ومعلوماته مستقاة من مصادر معاصرة للشاعر .

٦ — محمد بن على بن نصر المالكى (١ ، ٥٨) عاش فى القرن الحادى عشر (راجع ابن خلكان ج١ ص ٢٩٥ ، ٣١٥ سطر ١٦) وهو مؤلف كتاب يسمى (المفاوضة) مفقود اليوم

٧ — ابن بابك (١ ، ٦٣) شاعر مات سنة ٤١٠ ﻫ (١٠١٩ م) وقد قابل المتنبي فى حلب ، عندما كان شاعر سيف الدولة .

٨ — المحسن بن كوجك (١ ، ٦٤ — ٦٥)[مات سنة ٤١٦ ﻫ (١٠١٥م)] وقد

روى معلومات عن أبيه الذى مات نحو سنة ٣٥٩ ﻫ (٩٦٩ م) والذى عرف المتنبي شخصياً فى حلب .

٩ — ابن الدهان (١ ، ٦٥ وما يليها) نحوى عراقى مات سنة ٥٦٩ ﻫ (١١٨٤م) مؤلف رسالة مفقودة اليوم ، واسمها : الرسالة السعيدية فى المآخذ الكندية ، وموضوعها سرقات المتنبي .

١٠ — أبو الفرج الببغاء (١ ، ٧٣) شاعر البلاط فى حلب مات سنة ٣٩٢ ﻫ (١٠٠٧م) صديق شخصى للشاعر .

١١ — أبو بكر الخوارزمى (١ ، ٧٦) عالم شاعر مثقف مات سنة ٣٨٣ ﻫ (٩٩٣م) تلميذ معجب بالمتنبي .

١٢ — على بن حمزة البصرى (١ ، ٧٧) وهو مصدر ذكره عبد الله الأصفهانى .

١٣ — ابن فورجة : (١ ، ٧٨ وما يليها) نحوى من أصفهان مات نحو سنة ٤٣٧ ﻫ (١٠٤٥ م) ، وهو تلميذ للشاعر أبى العلاء المعرى ، وقد نقل قصته عن أستاذه الذى رواها بدوره عن أبى سعيد كبير خدم المتنبي .

١٤ — ابن زبيد التكريتى (١ ، ٨١ — ٨٥) شخصية غير معروفة .

١٥ — ابن سعد (١ ، ١٠٥ — ١٠٨) شخصية غير معروفة .

١٦ — الحاتمى (١ ، ١٤٤ — ١٨٣) عالم بغدادى مات سنة ٣٧٨ ﻫ (٩٩٨م) عدو للمتنبي .

١٧ — أبو عثمان الخالدى مات نحو سنة ٣٥٠ ﻫ (٩٦١ م) وأخوه أبو بكر (مات سنة ٣٨٠ ﻫ)(٩٩٠ م) . (١ ، ١٧٢ وما يليها) شاعران عالمان من بلاط سيف الدولة .

١٨ — على بن عيسى الربعى (١ ، ١٨٢ وما يليها ، ٢١٢ وما يليها) نحوى مات سنة ٤٢٠ ﻫ (١٠٣٠ م) تلميذ معجب بالمتنبى فى فارس .

١٩ — عبد العزيز الجرجانى : كاتب فى ديوان الإنشاء ببلاط عضد الدولة فى شيراز .

٢٠ — أبو نصر محمد الجبلي (١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩) من نبلاء الأهواز . أضاف المتنبي عند ما كان عائداً من بلاد فارس ، وقد نشر الخالديان جزءاً من رسالة أرسلها إليهما هذا الشخص تتحدث عن موت الشاعر .

٢١ — الثعالبي (١ ، ١٧٧ وما يليها ، ١٨١ وما يليها ، ٢٢١ وما يليها) .

ملحوظة : ما بين القوسين من الارقام يدل على أرقام صفحات الكتاب المنشور على إطار شرح العكبري . طبع القاهرة سنة ١٣٠٨ هـ .

والحمد لله على ما وفق

فهرس الكتاب

لمترجم الكتاب

ا ـ تأليف :

(١) شاعر بنى حمدان . (دراسة تفصيلية لأبى فراس الحمدانى) .
(٢) رفاعة الطهطاوى بك . (نال الجائزة الأدبية الأولى ، لمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، سنة ١٩٥٠ م) .
(٣) من بلاغة القرآن .
(٤) الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ، بمصر والشام (تحت الطبع) .

ب ـ تحقيق :

(١) ديوان المعتمد بن عباد . (بالاشتراك) .
(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب . (بالاشتراك) .
(٣) ديوان أسامة بن منقذ (بالاشتراك) .
(٤) البديع فى نقد الشعر لأسامة بن منقذ (بالاشتراك) . (تحت الطبع) .

حـ ـ ترجمة :

ديوان المتنبي فى العالم العربى وعند المستشرقين .